من بيت النبوة

(رجال ونساء حول الرسول)

الطبعة الأولى
1446 هـ
2025 م

اسم الكتاب: من بيت النبوة (رجال ونساء حول الرسول)
المؤلف: حنان الشيمي
موضوع الكتاب: سيرة
عدد الصفحات: 248 صفحة
عدد الملازم: 15,5 ملزمة
مقاس الكتاب: 17 x 24
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2024/2693
الترقيم الدولي: 978-977-669-881

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر.

hakayaproduction@gmail.com
01551751909 _ 01096476744

من بيت النبوة

(رجال ونساء حول الرسول)

أ. حنان الشيمي

إهداء

إلى الباحثين عن قبسٍ من نور النبوَّة

مقدِّمة

إنَّ الصحابة ﷺ قد تربّوا على يَدِ رسول الله ﷺ صُنعوا على عينه، وقد اختارهم الله ﷻ لصُحبة نبيِّه الكريم، ومصاحبة أقواله وأفعاله، والوقوف على نواهيه وزواجره، ومعرفة أوامره ومستحباته، فأقام الله بهم الدين وثبَّت أركانه، فلهم فضلٌ على العالمين عظيم. لذا، كان لزامًا علينا معرفة أخبارهم، واتِّباع آثارهم، والتمسك بمناقبهم وأخلاقهم ودينهم، فقد كانوا مع رسولنا يرسِّخون الدين، ويلزمون جادة الإسلام، فهم على صراط مستقيم؛ ذلك لأن الصحابة كانوا الصورة البشرية للمجتمع السوِيّ، فبهداهم نقتدي.

تُعدُ سِيَر الصحابيات الصالحات تربيةً عملية للنفوس، وغَرْسًا للفضائل، وزرعًا يثمر في قلوب المؤمنات كل طيبٍ وعفيف، وتدريبًا على التجمُّل بالآداب الإنسانية في ميادين الخُلُق والرضا وطاعة الله؛ ذلك لأن التربية بالاقتداء من خير الأساليب التربوية لِصقْل الطِّباع وتهذيب المشاعر والسَّيْر قُدمًا على طريق التقوى والاستقامة. ليس هذا فقط، بل إنه في سِيَر الصحابة وشبابهم على وجه الخصوص، أحد أهم أساليب التربية بنموذج القدوة.

الطاهرة

"إني قد رُزِقت حبَّها" رواه مسلم.

(آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدّقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء) رواه أحمد.

وحين قال فزعًا: **(زمّلوني زمّلوني)** زمَّلته ودثَّرته، ولمّا ذهب عنه الفزع قال: **(لقد خشيت على نفسي)**، فطمأنته قائلةً: **"كلا والله، لا يخزيك الله أبدًا، فوالله إنك لتصِل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتُقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"** رواه البخاري، ثم انطلقت به إلى ورقة بن نوفل ليبشّره باصطفاء الله له خاتمًا للأنبياء عليهم السلام.

إنها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وسيدة نساء العالمين في زمانها، أم القاسم، خديجة ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، القرشية الأسدية.

وأمُّها: فاطمة بنت زائدة العامرية.

وُلدت قبل عام الفيل بخمسة عشر عامًا تقريبًا.

أم أولاد رسول الله، ﷺ، وأول من آمن به وصدَّقه.

الطاهرة

كانت تدعى في الجاهلية الطاهرة.

كانت خديجة -أولًا- تحت أبي هالة بن زرارة التميمي، ثم خلف عليها بعده عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم بعده النبي، فبنى بها وله خمس وعشرون سنة. وكانت أسنَّ منه بخمس عشرة سنة.

وُلدت خديجة ﵂ بمكة، ونشأت في بيت شرف ووجَاهة، وقد مات والدها يوم حرب الفجَار.

الشريفة صاحبة التجارة والقوافل:

وكان لخديجة ﵂ حظٌ وافرٌ من التجارة، فكانت قوافلها لا تنقطع بين مكّة والمدينة، لتضيف إلى شرف مكانتها وعلوّ منزلتها الثروة والجاه، حتى غدت من تجّار مكّة المعدودين، وخلال ذلك كانت تستأجر الرجال وتدفع إليهم أموالها ليتاجروا بها، ولمَّا اشتُهر عن النبي في مكة أنه الصادق الأمين، أرسلت السيدة خديجة إليه ليعمل عندها في التجارة، فوافق النبي وخرج إلى الشام ومعه "ميسرة" غلام السيدة خديجة، فأُعجب ميسرة بأخلاق الحبيب وحُسن معاملته، وصدق حديثه، وتكامُل شخصيته، وعِظَم أمانته، فلمَّا عاد ميسرة إلى مكة حكى للسيدة خديجة ما رآه من أخلاق النبي، فأُعجبت بالنبي ورغبت في الزواج منه، فتزوَّجها النبي وكانت هي أولى زوجاته، وكان ذلك قبل البعثة النبوية المطهَّرة، وبعد البعثة النبوية.

كما كانت هي أوَّلَ مَنْ آمن به، وكل أولاده منها سوى إبراهيم فهو من مارية القبطية.

ولدت السيدة خديجة: القاسم ـ وكان يكنَّى به ﷺ ـ وعبد الله وهو الطاهر والطيب، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة ﵃.

روى الإمام أحمد بإسناده إلى السيدة عائشة ﵂ قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء. قالت: فَغِرْتُ يومًا، فقلتُ: ما أكثر ما تذكرها حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، لقد أبدَلك اللهُ -عزَّ وجل- بها خيرًا منها. قال: "**مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ**"مسند الإمام أحمد.

مناقبها

ومناقبها جمَّة، فهي ممن كمُلن من النساء، كانت عاقلة جليلة ديِّنة مصونة كريمة، من أهل الجنة، وكان النبي يثني عليها، ويفضِّلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ في تعظيمها، بحيث إن عائشة كانت تقول: ما غِرت من امرأة ما غِرت من خديجة من كثرة ذِكر النبي ﷺ لها.

كرامتها عند النبي

عن أبي هريرة قال: أتى جبريل النبي فقال: هذه خديجة أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ ﵇ من ربها ومني وبشِّرها ببيت في الجنة من قصَب، لا صخَب فيه

ولا نصَب. متفق على صحته.

قالت عائشة: أول ما بُدِئ به النبي ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة... إلى أن قالت: فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق. قالت: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة، فقال: زمِّلوني.، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروَع، فقال: ما لي يا خديجة؟ وأخبرها الخبر، وقال: قد خشيت على نفسي. فقالت له: كلا، أبشِر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَل، وتعين على نوائب الحق. وانطلقت به إلى ابن عمهاورقة بن نوفل بن أسد، وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الخط العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا قد عمِي، فقالت: اسمع من ابن أخيك ما يقول، فقال: يا ابن أخي، ما ترى؟ فأخبره، فقال: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى. الحديث.

سيدة نساء أهل الجنة

عن ابن عباس: قال رسول الله: سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم فاطمة، وخديجة، وامرأة فرعون آسية.

وعن عائشة، قالت: ذكر رسول الله ﷺ خديجة، فتناولتها، فقلت: عجوز، كذا وكذا، قد أبدَلك الله بها خيرًا منها. قال: ما أبدلني الله خيرًا منها، لقد آمنت بي حين كفر الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها وحرمني ولد غيرها. قلت: والله لا أعاتبك فيها بعد اليوم.

وكانت خديجة ﵂ تحب النبي ﷺ حبًّا شديدًا، وتعمل على نيْل رضاه والتقرّب منه، حتى إنها أهدته غلامها زيد بن حارثة لِما رأت من ميْلِه إليه. ولَّما علمت ﵂ بذلك لم تتردّد لحظةً في قبول دعوته، لتكون أول من آمن برسول الله وصدّقه، ثم قامت معه تسانده في دعوته، وتؤانسه في وحشته، وتذلّل له المصاعب، فكان الجزاء من جنس العمل، بشارة الله لها ببيت في الجنة من قصب، لا صخَب فيه ولا نصَب، رواه البخاري ومسلم.

وقد حفظ النبي ﷺ لها ذلك الفضل، فلم يتزوج عليها في حياتها إلى أن قضت نحْبَها، فحزن لفقدها حزنًا شديدًا، ولم يزل يذكرها ويُبالغ في تعظيمها والثناء عليها، ويعترف بحبّها وفضلها على سائر أمهات المؤمنين.

وفاء النبي لها

ومن وفائه لها أنّه كان يصل صديقاتها بعد وفاتها ويُحسن إليهنّ، وعندما جاءت جثامة المزنية لتزور النبي ﷺ أحسن استقبالها، وبالغ في الترحيب بها، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: "يا رسول الله، تُقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟"، فقال: (**إنها كانت تأتينا زمن خديجة؛ وإنَّ حُسن العهد من الإيمان**) رواه الحاكم.

وكان ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: (**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**) رواه مسلم.

وكان النبي ﷺ إذا سمع صوت هالة أخت خديجة تذكّر صوت زوجته فيرتاح لذلك، كما ثبت في الصحيحن.

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ فضلها حين قال: (**أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران رضي الله عنهن أجمعين**) رواه أحمد.

وبيّن أنها خير نساء الأرض في عصرها في قوله: (**خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد**) متفق عليه.

وفاتها

روى عروة، عن عائشة قالت: توفيت خديجة قبل أن تُفرض الصلاة.

قال الواقدي: توفيت في رمضان، ودُفنت بالحجون.

وقال قتادة: ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، وكذا قال عروة.

وقد تُوفيت رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين، وقبل معراج النبي ﷺ ولها من العمر خمس وستون سنة، ودفنت بالحجُون، لترحل من الدنيا بعدما تركت سيرةً عطرة وحياة حافلةً، لا يُنسيها مرور الأيام والشهور، والأعوام والدهور، فرضي الله وأرضاها.

رضي الله عن أمِّنا خديجة سيدة نساء أهل الجنة.

رضي الله عن أم المؤمنين خديجة أم القاسم زوج رسولنا الكريم.

ورضي الله عن أمهاتنا أمهات المؤمنين، وجمعنا بحبنا لهن في جنات النعيم.

سودة

حلمت حلمًا، حكتْه لزوجها

لكن زوجها بشَّرها ببشرى عظيمة.

بماذا حلمت؟

حلمت أن النبي أقبَل يمشي حتى وطئ عنقها.

وحلمت مرة أخرى أن قمرًا انقضَّ عليها من السماء وهي مضطجعة.

فقال لها زوجها: لئن صدقت رؤياك لأموتنَّ ولَيتزوجنَّك النبي.

استنكرت وقالت: "حجرًا وسترًا".

ثم ضحكت ونسيت تمامًا هذه الرؤيا.

فكيف بها وهي المرأة المُسِنَّة البسيطة التي لا تمتلك من مقوِّمات الحُسن أو الجمال أو الجاه أن تتزوج رسول الله! وأين هي من خديجة ذات الحسب والمال والجاه والجمال، والتي كانت يوم خطبها النبي ﷺ سيّدة قريش ومطمح أنظار وجهائها وساداتها. ولم يمر العام حتى تُوفي زوجها السكران بن عمرو وتزوجت برسول الله ﷺ هي أم المؤمنين.

سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية، هي ثاني زوجات الرسول، ومن أمهات المؤمنين، ومن السابقين الأولين في الإسلام، هاجرت مع زوجها السكران بن عمرو وولدها عبد الله إلى الحبشة الهجرة الثانية، وبعد العودة إلى مكة مات زوجها وبقيت سودة بنت زمعة أرملة لا تفكر في الزواج، وهي المرأة كبيرة السن ثقيلة الحركة، لكنها كانت من الصالحات المحبات لله ورسوله.

زواجها

تزوجها النبي سنة عشرة من البعثة بعد وفاة خديجة، فما الذي كان بينها وبين ربها حتى يختارها النبي؟

فالله ﷻ اصطفى سودة بنت زمعة أن تكون زوجة لرسوله، بل تكون أول زوجة له بعد

خديجة ﵂ فهي الزوجة الوحيدة التي سكنت مكان خديجة، وباقي النساء عِشن مع النبي في بيته في المدينة المنورة.

والأمر كما قالت خولة بنت حكيم الأسدية التي اقترحت على النبي أن يتزوجها؛ كي ترعى بناته زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة ﵃، حين ذهبت إليها وقالت لها: أيُّ خيرٍ ساقه الله تعالى إليك يا سودة؟

وكأنها تقول لها بلسان الحال: ما الذي بينك وبين الله تعالى حتى يكتب لك أن تكوني زوجة لرسوله؟ ولم تصدِّق سودة بنت زمعة أن النبي ﷺ أرسل خولة بنت حكيم لتخطبها، فوافقت على الفور.

كانت أمُّ المؤمنين سودة كما يُروى ذات روحٍ مرِحة مشرقة، كانت تسخِّر نفسها لإرضاء النبي ﷺ وإدخال السرور على نفسه، فلا تدع مناسبةً تستطيع من خلالها أن تروِّح عن نفسه إلا واغتنمتها.

يُروى في هذا أن سودة اقتدت بالنبي ﷺ يومًا في صلاة نافلة فأطال، فلمَّا انتهى من صلاته قالت سودة ضاحكةً: "**يا رسول الله، صلّيت خلفك فركعت بي حتى أمسكت أنفي مخافة أن يقطُرَ الدم" فتبسَّم النبي ﷺ ضاحكًا من قولها**. كان يسعدها أن تراه يضحك من مشيتها حيث كانت ثقيلة الجسم تترنّح وهي تمشي يُمنةً ويُسرة ويسعدها أيضًا أن يأنسَ إلى خِفّة روحها ومرحها وطيبة قلبها.

كانت ﵂ إلى جانب بساطتها وروحها المرِحة كريمة جوَادَة لا تضيّع فرصةً تستطيع فيها أن تتصدّق إلا وفعلت. يُروى أن عمر بن الخطّاب ﵁ بعث إليها بكيسٍ مملوءٍ دراهم ففرّقتها جميعها في سبيل الله تعالى.

وقد حاولت سودة جهدَها أن تكون لبنات النبي أمًّا حنون، وللنبي ﷺ زوجةً صالحة، وحين وفَدت على بيت النبي زوجة أخرى "**أمّ المؤمنين عائشة**" لم تمتعض سودة من هذا الزواج ولم يظهر عليها أي شعورٍ بالغيرة، وحتى عندما وفدت إلى بيوت النبي زوجاتٌ أخريات لم تضِق سودة ذرعًا بهذا، ويبدو أنها كانت تدرك في قرارة نفسها الحكمة من زواج النبي ﷺ، كان يكفيها أن زوجها رسول الله ﷺ ويكفيها أيضًا أنه اختارها من بين غيرها من النساء، ويكفيها أنه يعاملها بالعدل والحسنى والمرْحَمة كما يعامل باقي زوجاته، فيقسم لها يومها

وليلتها تمامًا كغيرها من زوجاته كما يُقسم لها في النّفقة مثل باقي زوجاته، وكانت سودة راضية بهذا تمام الرضى، لكن لما تقدّمت بها السن ولم تعد قادرة على القيام بالمهام الزوجيّة شعرت أنها تُثقل على النبي في قَسمِه لها

كما يقسم لغيرها من ضرائرها في المبيت والنفقة، فآثرت أن تهَب ليلتها لعائشة، آثرت أن تفعل هذا راضيةً مختارة تبتغي بذلك رضاء الله تعالى، وقد ورد هذا في كتب السنّة الصحيحة وفي روايةٍ أنها أسنّت وخافت أن يفارقها رسول الله فقالت: "**إني أهب ليلتي لعائشة**".

وأن فيها نزل قول الله تعالى: ﴿**وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ**﴾ (النساء:١٢٨).

وظلّت عائشة ﵂ تحفظ لسودة هذا المعروف في حياتها كلّها، وقد كانت بين عائشة وبين سودة محبّةٌ وملاطفةٌ، ويُروى في هذا أن النبي ﷺ كان عند سودة في بيتها فجاءت عائشة تزورها وأتت معها بأكلةٍ طبختها بيدها تسمى الخريزة، فأكل النبي ﷺ منها أمّا سودة فلم تشتهِ أن تأكل منها، فسألتها عائشة أن تأكل منها فأبت سودة، فقالت عائشة لتأكلين أو لأُلَطِّخنَّ وجهكِ، فأصرّت سودة على موقفها، فوضعت عائشة يدها في الخريزة وطَلَت وجه سودة وهي تضحك، فضحك النبي ﷺ وأمسك بيد سودة وأدخلها في القصعة وهو يقول: الْطَخِي وَجْهَهَا، ففعلت سودة.

موتها

فارقت أمُّ المؤمنين سودة الحياة وكلّها أملٌ ورجاءٌ أن تلتقي بالحبيب المصطفى بالجنّة وأن تكون زوجةً من زوجاته في الآخرة كما كانت زوجةً من زوجاته في الدنيا، وهناك خلافٌ بين العلماء في زمن وفاتها؛ منهم من ذكر أنها توفيت في آخر خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ﵁، وبذلك تكون أولى نساء النبي ﷺ لحِاقًا به بينما ذكر آخرون أنها توفّيت في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة أربع وخمسين هجرية. رضي الله عن أمّنا أم المؤمنين.

حبيبة رسول الله

الحزن الذي سكَن قلبها طوَتْه ولم تتحدث لبشر، ظلَّت تناجي ربها وتنتظر براءتها يومًا بعد يوم، ساعة بعد ساعة؛ فقد لاكت الألسنة عِرضها، وقليل منهم من سكت. أما هو، فكان الألم يعتصر فؤاده، والحزن يكاد يخلع قلبه، انقطع الوحي شهرًا؛ لتُختبر القلوب ويُغرْبَل الإيمان الذي في الصدور، وانطلقت الإشاعات تقذف النبي وزوجه الطاهرة العفيفة، حبيبة الرسول وابنة حبيبه.

"لا تؤذوني في عائشة".

"فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام".

المبرَّأة من فوق سبع سماوات بقرآنٍ يُتلى آناء الليل وأطراف النهار.

قالت:

لَقَدْ أُعْطِيْتُ تِسْعًا مَا أُعْطِيَتْهَا امْرَأَةٌ بَعْدَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ: لَقَدْ نَزَلَ جِبْرِيْلُ بِصُوْرَتِي فِي رَاحَتِهِ حَتَّى أَمَرَ رَسُوْلَ الله ﷺ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي، وَلَقَدْ تَزَوَّجَنِي بِكْرًا، وَمَا تَزَوَّجَ بِكْرًا غَيْرِي، وَلَقَدْ قُبِضَ وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِي، وَلَقَدْ قَبَرْتُهُ فِي بَيْتِي، وَلَقَدْ حَفَّتِ الملائكَةُ بِبَيْتِي، وَإِنْ كَانَ الوَحْيُ لَيَنْزِلُ عَلَيْهِ وَإِنِّي لَمَعَهُ فِي لِحَافِهِ، وَإِنِّي لابْنَةُ خَلِيْفَتِهِ وَصِدِّيْقِهِ، وَلَقَدْ نَزَلَ عُذْرِي مِنَ السَّمَاءِ، وَلَقَدْ خُلِقْتُ طَيِّبَةً عِنْدَ طَيِّبٍ، وَلَقَدْ وُعِدْتُ مَغْفِرَةً وَرِزْقًا كَرِيْمًا". رواه أبو بكر الآجري، عن أحمد بن يحيى الحلواني عنه. وإسناده جيد

إنها أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر

هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوج النبي، وُلدت ﵂ سنة تسع قبل الهجرة، كُنيتها أم عبد الله، ولُقِّبت بالصِّدِّيقة، وعُرِفت بأم المؤمنين، وبالحُميراء لغلبة البياض على لونها. أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ﵂ التي قال فيها رسول الله: **"من أحب أن ينظر إلى امرأة من الحور العين، فلينظر إلى أم رومان"**. وعائشة ممن وُلد في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة بثماني سنين، وكانت تقول: لم أعقل أبويَّ إلا وهما يدينان الدين.

زواجها من النبي

تزوجها النبي إثر وفاة خديجة، فتزوج بها وبسودة في وقت واحد، ثم دخل بسودة، فتفرَّد بها ثلاثة أعوام حتى بنى بعائشة في شوال بعد وقعة بدر، فما تزوج بكرًا سواها، وأحبها حبًّا شديدًا.

وقد سأل عمرو بن العاص ﷺ النبي ﷺ: " أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: عائشة. قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها."

حب النبي لها

كانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يومَ عَائِشَةَ، قالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمع صَوَاحِبِي إلى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ: يا أُمَّ سَلَمَةَ، واللهِ إنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يومَ عَائِشَةَ، وإنَّا نُرِيدُ الخَيْرَ كما تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِي رَسولَ اللهِ ﷺ أنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أنْ يُهْدُوا إلَيْهِ حَيْثُ ما كَانَ، أوْ حَيْثُ ما دَارَ، قالَتْ: فَذَكَرَتْ ذلكَ أُمُّ سَلَمَةَ للنبيِّ ﷺ، قالَتْ: فأعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إلَيَّ ذَكَرْتُ له ذَاكَ فأعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كانَ في الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ له فَقالَ: يا أُمَّ سَلَمَةَ لا تُؤْذِينِي في عَائِشَةَ، فإنَّه واللهِ ما نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وأَنَا في لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غيرِهَا. متفق على صحته.

وهذا الجواب منه دالٌ على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها.

عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: "**كَمُل من الرجال كثير، ولم يَكمُل من النساء: إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عِمران، وإنَّ فضلَ عائشة على النساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام**".

رُويَ عنها أنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب بالبنات، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قلت: خيل سليمان. فضحك.

وقد أحبها الرسول كثيرًا، فكان يوصي بها أمها أم رومان قائلًا: "**يا أم رومان، استوصي بعائشة خيرًا واحفظيني فيها**". وكان يسعده كثيرًا أن يذهب إليها كلما اشتدت به الخطوب، وينسى همومه في غمرة دعابتها ومرحها.

حادثة الإفك

حاول المنافقون الطعن في عِرْض النبي، وذلك بالافتراء عليها، فحين عاد النبي من قتال بني المصطلق كانت رفيقته في تلك الغزوة السيدة عائشة، ثم سقطت قلادتها فنزلت من هودجها تبحث عنها، فحمل الرجال الهودج ووضعوه على البعير الخاص بها وهم يحسَبون أنها فيه، وحين عادت ﵂ لم تجد الرَكْب، فمكثت مكانها تنتظر أن يعودوا إليها بعد أن يكتشفوا غيابها، وصادف أنْ مرَّ بها أحد أفاضل أصحاب النبي ﷺ وهو صفوان بن المعطل السلمي ﵁، فحملها على بعيره وأوصلها إلى المدينة المنورة، فاستغل المنافقون وعلى رأسهم زعيمهم عبد الله بن أُبي بن سلول هذا الموقف والحادث، ونسجوا حوله الإشاعات الكاذبة الباطلة ونشروه في المدينة كلها، فاهتزت القلوبُ وامتُحِنت؛ فعَصَم الله أناسًا بالتقوى فأحسنوا الظن وأمسكوا ألسنتهم، ووقع آخرون في الفتنة وخاضوا مع من خاض، وانقطع الوحي شهرًا، عانى النبي ﷺ خلاله كثيرًا؛ حيث طُعِن في عِرضه وأوذي في زوجته.

ثم نزل الوحي من الله عز وجل مُبَرِّئًا عائشة ﵂، وذلك في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: 11).

وقد قال النبي ﷺ لعائشة ﵂ حين نزلت براءتها في هذه الآيات: (**أبشري يا عائشة؛ فقد أنزل الله براءتك**) رواه البخاري.

وحادثة الإفك مع ما فيها من فتنة وآلام شديدة، تركت وراءها العديد من الدروس والفوائد، التي ينبغي الاستفادة منها في واقعنا كأفراد ومجتمعات، ومن هذه الدروس الهامة: التثبت من الأخبار، وإمساك اللسان عن الخوض في الأعراض.

الزاهدة الكريمة السخية

أخرج ابن سعد من طريق أم درة قالت: أتيت السيدة عائشة ﵂ بمائة ألف ففرَّقتها وهي يومئذ صائمة، فقلت لها: أمَا استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحمًا تفطرين عليه؟! فقالت: لو كنت أذكرتِني لفعلت.

العلم الغزير

لقد كان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض.

قال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة ﵂ مِن أفقَه الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة. قال أبو موسى الأشعري ﵁: ما أُشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قَطُّ، فسألنا عنه عائشة ﵂ إلا وجدنا عندها منه علمًا.

وقال عروة بن الزبير بن العوام: ما رأيت أحدًا أعلم بالحلال والحرام، والعلم، والشعر، والطب من عائشة أم المؤمنين ﵂.

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي سلمة أنه قال: إن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله يومًا: "**يا عائش، هذا جبريل يُقرِئك السلام**". فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، تَرى ما لا أرى. تريد رسول الله ﷺ.

ذكر ابن سعد في طبقاته عن عباد بن حمزة أن عائشة ﵂ قالت: يا نبي الله، ألا تكنِّيني؟ فقال النبي ﷺ: "اكتَني بابنك عبد الله بن الزبير"، فكانت تكنَّى بأم عبد الله.

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي، قال لي رسول الله ﷺ: "**ما يخفى عليَّ حين تغضبين ولا حين ترضين**"، فقلت: بمَ تعرف ذاك بأبي أنت وأمي؟ قال: "أمَّا حين ترضين فتقولين حين تحلفين: لا ورب محمد، وأمَّا حين تغضبين فتقولين: لا ورب إبراهيم". فقلت: صدقت يا رسول الله ﷺ.

مسند "عائشة يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث؛ اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين.

الإفتاء

قضت السيدة عائشة ﵂ بقية عمرها بعد وفاة النبي ﷺ كمرجِع أساسي للسائلين والمستفتين، وقدوة يُقتدى بها في سائر المجالات والشؤون، وقد كان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ومشيختهم يسألونها ويستفتونها.

من كلمات أم المؤمنين عائشة ﵂

أخرج ابن سعد عن عائشة أنها قالت حين حضرتها الوفاة: "يا ليتني لم أُخلق، يا ليتني كنت شجرة أُسبِّح وأقضي ما عليَّ".

وفاتها

تُوفِيت سنة ثمانٍ وخمسين ليلة الثلاثاء، لسبع عشرة ليلة خَلَت من رمضان، أمرت أن تُدفن ليلًا، فدُفنت بعد الوتر بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة ﵁، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله وعروة ابنا الزبير، والقاسم بن محمد، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ﵃ أجمعين.

رضي الله عن أمنا أم المؤمنين عائشة، وعن أمهاتنا أمهات المؤمنين، وجمعنا معهم بحبِّنا لهنَّ يوم الدين في جنات النعيم.

الصوّامةٌ القوّامة

يا عثمان، هلَّا تزوجت ابنتي؟

أمهِلني قليلًا

عاد فردَّ: لا رغبة لي بالزواج.

يا أبا بكر، هلَّا تزوجت ابنتي؟

ذهب ولم يرد.

عمر بن الخطاب يعرض على بعض أصحابه ابنته للزواج! يعرضها لا عن عيب فيها، ولا لأنها تجارة يخشون بوارَها، ولكن لأنه رجل حصيف، ليُكافَأ من رب العالمين ويصاهره النبي ﷺ.

أمُّنا حفصة بنت عمر، ثالث زوجات النبي بعد خديجة، فقد سبقتها سودة وعائشة، أمُّها الصحابية زينب بنت مظعون ابن الصحابي الجليل عثمان بن مظعون رضي الله عنهما. تزوجت من الصحابي خُنَيس بن حذافة السهمي أحد السابقين إلى الإسلام، ولم تُرزق بولدٍ من زوجها خنيس، إلّا أنها كانت صابرةً مُحتسِبةً.

تعلمت على يد الصحابية الجليلة شفاء العدوية، وكانت حفصة إحدى فصيحات قريش وبليغاتها.

في سنة ثلاث للهجرة مات زوجها فترمَّلت حفصة، عانت مرارة الترمُّل وفقْد الزوج، فآل لعمر أن يختار لها زوجًا يؤنِس وحشتها، وكانت شابة لم تكمل العشرين عامًا بعد ولكنهما رفضا، فشقّ على عمر أن يلقاه كلّ من أبي بكرٍ وعثمان بهذا الرد؛ أمِثل حفصة في شبابها وتقواها وشرفها يُرْفَض؟ وممّن؟ من أبي بكر وعثمان؟ فقرر أن يشكوَ للنبي ما أزعجه وأقض مضجعه.

ابتسم النبي الكريم وهو يقول: "يتزوج حفصة من هو خيرٌ من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خيرٌ من حفصة".

الزواج

وتمّ الزواج المبارك بين النبي ﷺ وبين حفصة بنت عمر على صداقٍ قدره بساط ووسادتان وكساء يفترشانه في الصيف والشتاء ورداءان أخضران.

في بيت النبي

دخلت بيت النبوة في العام الثالث للهجرة وقد سبقتها سودة وعائشة، وكانت حفصة تحتل مكانة عالية في قلب النبي.

تقول في هذا أم المؤمنين عائشة عن حفصة: هي التي كانت تساميني -أي تباريني- من أزواج النبي.

ابنة أبيها

نعم، ولم لا وهي ابنة أبيها عمر بن الخطاب، وهي من هي في الذكاء وقوة الشخصية، وكانت عائشة نفسها كثيرًا ما تصف حفصة بأنها ابنة أبيها.

كان النبي ﷺ عادلًا بين زوجاته، حتّى أنّه إذا أراد الخروج في غزوة أو سفر كان يجري قُرعة بين زوجاته، والتي تقع عليها القرعة تخرج معه، وفي إحدى الغزوات خرج اسم حفصة في القرعة،

فخرجت معه، وكانت في خيمتها أثناء المعركة، حتى إذا انتهت المعركة ذهبت لتسقي العطشى وتداوي الجرحى وتُخفّف من ألم المُصابين، فلمّا رأى النبيّ ﷺ ذلك أعطاها ثمانين وسقًا من القمح إكرامًا لها واعترافًا بفَضلها.

غيورة

كانت تريد أن تستأثر بحب الزوج الرسول، ومن هذا ما يُروى من أن النبي كان يمرّ على زوجاته جميعِهنّ قبل أن يبيت عند التي يكون دورها في تلك اللّيلة، وكان إذا مرّ على زينب بنت جحش أطال المُكوث عندها، وكان يشرب عندها عسلًا، فأخذت الغيرة حفصة وعائشة، فاتّفقتا أيّهما دخل عليها أولًا أن تقول له: أكلتَ مغافير؟ "والمغافير هو نبات ذو رائحة كريهة"، فدخل على حفصة أولًا فسألته: "أكلت مغافير؟"، فقال: "والله ما أكلت مغافير، ولكنّي شربت عسلًا عند زينب". فقالت:"لعلّ ذلك النحل قد رعى العرفط"، فقال النبي: لن أشرب بعدها

عسلًا عند زينب، وكان ﷺ يكره أن تُشمّ منه رائحةٌ كريهة، فهرعت حفصة لتخبر عائشة بذلك وهي فرحةٌ مسرورةٌ بنجاح خطتها.

وهنا نزل الوحي على النبي ﷺ بآياتٍ من القرآن الكريم يعاتبه فيها ربّه على تحريم ما أحلَّ الله له على نفسه، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (التحريم ١-٢).

وأعلم الوحي النبي بما حدث وتظاهر حفصة وعائشة على أمره، فغضب ﷺ غضبًا شديدًا وكان لا يغضبُ إلّا إذا انتُهِكت محارم الله.

جبريل يتلو فيها وحيًا

وفي بعض هذه الروايات أن النبي ﷺ همّ بطلاقها، فنزل عليه جبريل من السماء يقول له: (أرجِعْ حفصة فإنّها صوّامةٌ قوّامة، وإنّها زوجتك في الجنّة).

وبعد وفاة النّبي ﷺ غدت أمّ المؤمنين حفصة مرجِعًا هامًّا عن حياته فكان الصحابة يسألونها ويستفتونها ويسمعون منها الأحاديث الشّريفة، وقد روت عن النبي ﷺ سبعين حديثًا.

توفّيت

أمّ المؤمنين السيّدة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة خمسة وأربعين، وقيل سنة واحد وأربعين هجريّة، شيّعتها المدينة إلى مثواها في البقيع مع أمّهات المؤمنين رضي الله عنهن. فرحم الله أمَّنا حفصة الصوَّامة القوَّامة، رحم الله أمَّنا حفصة ابنة أبيها، رحم الله أمَّنا حفصة زوج النبي في الجنة، وسلام الله عليها وسائر أمهات المؤمنين.

أم المساكين

زوجها مات وأصبحت أرملة لا عائل لها، فمن يرعى زوجة الشهيد؟

تزوجها الرسول ﷺ بعد استشهاد زوجها عبيدة بن الحارث رضي الله عنه في غزوة بدر.. فمن هي؟

أم المؤمنين زينب بنت خزيمة:

هي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو الهلالية العامرية، ذات النسب الأصيل والمنزلة العظيمة، أمها هند بنت عوف بن الحارث، وأخواتها لأبيها وأمها: أم الفضل – أم بني العباس بن عبد المطلب، ولبابة – أم خالد بن الوليد، وأختها لأمها: ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين.

وكان زواجه ﷺ بها في رمضان من السنة الثالثة للهجرة، بعد زواجه بحفصة رضي الله عنها وقبل زواجه بميمونة بنت الحارث.

أم المساكين

كانت رضي الله عنها طيبة جليلة عظيمة القدر، جوادة كريمة، تهتم بالمساكين والأرامل والأيتام وتتصدق عليهم، امتلأت نفسها حبًا للخير وشغفًا بنعيم الآخرة، فأنفقت حياتها في أعمال البر والصدقة، حيث لم تألُ جهدًا في رعاية الأيتام والأرامل وتعهُّدهم، وتفقُّد شؤونهم والإحسان إليهم وغيرها من ألوان التراحم والتكافل، فاستطاعت بذلك أن تزرع محبتها في قلوب الضعفاء والمحتاجين، وخير شاهد على ذلك وصْفها بـ"أم المساكين" حتى أصبح هذا الوصف ملازمًا لها إلى يوم الدين.

عاشت مع الرسول ﷺ حياة هادئة سعيدة مشتغلة بالعبادة والطاعة لأنها رضي الله عنها لم تُرزق بالذرية، وكانت تنأى بنفسها عن أي تصرف يغضب رسول الله ﷺ، ولم تلبث زينب رضي الله عنها طويلًا في بيت النبوة.

مرت الشهور الثمانية وكأنها طيفُ خيال، ورحلت رضي الله عنها في السنة الرابعة من الهجرة عن عمر جاوز الثلاثين عامًا، بعد أن قضت ثمانية أشهر مع النبي ﷺ لتلحق بالرفيق الأعلى، وصلى عليها ﷺ ولسانه الطاهر يدعو لها بهذا الدعاء:

"اللهم أنت ربها، وأنت خلقتها، وأنت رزقتها، وأنت هديتها، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها، جئنا شفعاء لها، فاغفر لها ذنبها. اللهم اغفر لها وارحمها، واعف عنها، وعافها، وأكرم نُزلها، ووسِّع مُدخلها، واغسلها بالماء والثلج والبَرَد، ونقِّها من الخطايا كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدلها دارًا خيرًا من دارها، وأهلًا خيرًا من أهها، وقِها فتنة القبر وعذاب النار". وكانت أول من ظفرت ﷺ بهذا الدعاء. لتكون ثاني زوجاته به لحاقًا بعد خديجة بنت خويلد، ﷺ وعن جميع أمهات المؤمنين، وهي أول من دُفن بالبقيع من زوجاته ﷺ وعمرها ثلاثون عامًا ولم يكن لها أولاد ﷺ.

رضي الله عن أمِّنا أم المؤمنين زينب بنت خزيمة.

الرشيدة الفقيهة الحكيمة

بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ثم لم تزوج إلا جمع الله بينهما في الجنة، فتعالَ أعاهدك ألا تزوج بعدي ولا أتزوج بعدك. أتطيعينني؟ قالت: نعم. قال: إذا مت تزوجي.

اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلا خيرا مني، لا يحزنها ولا يؤذيها. فلمَّا مات، قالت: من خير من أبي سلمة؟

فما لبثت، وجاء رسول الله، فخطبها.

ورُويَ أنه لما انقضت عِدتها، خطبها أبو بكر، فردّته؛ ثم عمر، فردّته، فبعث إليها رسول الله، فقالت: مرحبا، أخبِر رسول الله أني غيرَى، وأني مُصبية، وليس أحد من أوليائي شاهدًا. فبعث إليها: أمَّا قولك: إني مصبية، فإن الله سيكفيك صبيانك. وأمَّا قولك: إني غيرَى، فسأدعو الله أن يُذهب غيرتك، وأمَّا الأولياء؛ فليس أحد منهم إلا سيرضى بي. قالت: يا عمر، قم فزوِّج رسول الله ﷺ.

أم المؤمنين أم سلمَة

هند بنت أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، كان أبوها من أجواد قريش، يُعرف بـ"**زاد الركب**" لكرمه، وأمُّها هي عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن عبد المطلب، أخوالها لأبيها عبد الله وزهير ابنا عمَّة رسول الله، وهي بنت عم خالد بن الوليد، سيف الله، وبنت عم أبي جهل بن هشام، وهي من المهاجرات الأول، وقد شهِد أبو سلمة بدرًا، وجُرح بأُحُد جرحًا اندمل ثم انتُقِضَ، فمات منه في جُمَادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة. دخل بها النبي ﷺ في سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسبًا، أسكنها النبي ﷺ في غرفة السيدة زينب بنت خزيمة التي خلَت بوفاتها، كانت كثيرة الأولاد، وكانت دائمًا تشفق على رسول الله من أولادها. أحبَّت الرسول ﷺ حبًا كثيرًا وكانت تحب قربه وتسعى الى تحقيق راحته، وكان لها غلام اسمه سفينة فأعتقته واشترطت عليه خدمة رسول الله ﷺ.

جميلة

دخل النبي يومًا على عائشة ﵂ فقالت له: أين كنت منذ اليوم؟ قال ياحميراء، كنت عند أم سلمة. فقالت: ما تشبع من أم سلمة؟ فتبسم النبي ﷺ.

عن عائشة، قالت: لَمَّا تزوج النبي ﷺ أم سلمة، حزنت حزنًا شديدًا لِما ذكروا لنا من جمالها، فتلطّفت حتى رأيتها، فرأيتها والله أضعاف ما وُصفت لي في الحسن، فذكرت ذلك لحفصة -وكانتا يدًا واحدة- فقالت: لا والله، إنْ هذه إلا الغيرة ما هي كما تقولين، وإنها لجميلة، فرأيتها بعد، فكانت كما قالت حفصة، ولكني كنت غيرَى.

وقد تزوجها النبي ﷺ حين حلَّت في شوال سنة أربع، وكان صداقها ﵂ كصداق عائشة: صحفة كثيفة، وفراش حشوُه ليف، ورَحَى.

أرملة

كانت لفتة حانية وتكريمًا رفيعًا من الرسول أن تزوَّج أمَّ سلمة ﵂ فقد غدت بعد وفاة زوجها المجاهد -أبي سلمة- من غير زوج يُعيلها، أو أحد يكفلها، رغم ما بذلت هي وزوجها من جهد لهذه الدعوة المباركة، وهي مع ذلك كان لها من الأيتام أربعة، فكان الرسول هو الزوج لها والكفيل لأبنائها، وقد كان لها أولاد صحابيين: عمر، وسَلمة، وزينب.

الحكيمة الرشيدة الفقيهة

يوم الحديبية:

لَمَّا فرغ رسول الله من قضية الكتاب في صلح الحديبية، قال لأصحابه: "**قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا**"، فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرَّات، فلمَّا لم يَقُمْ منهم أحد دخل على أمِّ سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أمُّ سلمة: يا نبي الله أتحبُّ ذلك؟ اخرج ثم لا تكلِّم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلِّم أحدًا منهم حتى فعل ذلك؛ نحر بُدْنه ودعا حالقه فحلقه، فلمَّا رأَوْا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا.

قال ابن حجر: وإشارتها على النبي يوم الحديبية تدلُّ على وفور عقلها وصواب رأيها.

طيبة عفيفة

وقد كانت ﵂ تختلف عن باقي نساء النبي؛ فقد انتُزعت من صدرها الغَيرة؛ حيث اعترفتْ للنبـي بغَيرتها، وذلك عند خطبته لها، فدعا لها النبي بذهاب الغَيرة من نفسـها، وكانت ﵂ من أجمل نسائه باعتراف أمِّ المؤمنين عائشة.

ولَمَّا كان النبـي يدخـل على نسـائه كان يبتدئ بأمِّ سـلمة ﵂، فعن عائشـة ﵂ قالت: كان رسـول الله إذا صلَّى العصر دخل على نسـائه واحدة واحدة، يبدأ بأمِّ سـلمة ﵂ لأنها أكبرهن، وكان يختم بي.

كانـت أمُّ سـلمة ﵂ طيِّبة عفيفة، لها مكانتها عند رسـول الله، فعيالها تربَّـوْا في حجر النبي، وكانت أمُّ سـلمة ﵂ سببًا مباشرًا لنزول بعض الآيات الكريمة من القرآن الكريم. فعن مجاهد قـال: قالت أمُّ سـلمة: يا رسـول الله، تغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنـا نصف الميراث. فنزلت: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢]، ونزلـت: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]

فقيهة

فقد روت ﵂ -كما ذكر الذهبي في مسندها- ثلاثمائة وثمانين حديثًا، اتَّفق البخاري ومسلم على ثلاثة عشر، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر، وقد روت ﵂ الأحاديث الخاصَّة بمعشر النساء بغرض التعليم والتوجيه، فقد روت أن النبي كان يُقَبِّلها وهو صائم، وأنها كانت تغتسل معه من الإناء الواحد من الجنابة، وأنها كانت تنام مع النبي في لحافٍ واحد، وأنها كانت تأتيهـا الحيضة، فيقول لها: "أَنَفِسْـتِ؟" قلتُ: نعم. قال: "قُومِي فَأَصْلِحِـي حَالَكِ ثُمَّ عُودِي". فألقيتُ عني ثيابي، ولبستُ ثياب حيضتي، ثم عدتُ فدخلت معه اللحاف.

روت عـن النبـي ﷺ كثـيرًا من الأحاديـث، كما أنهـا كانت مـن فقيهات الصحابـة وكانوا يستفتونها بعد وفاة النبي ﷺ.

- لمـا مـات رسـول الله ﷺ لزمت بيتهـا عابدة طائعـة وكانت لهـا مكانة عاليـة في نفوس الصحابة.

- عاشت ﵂ حتى بلغت مقتل الحسين ﵁ فغُشِي عليها وحزنت عليه حزنًا شديدًا ما لبثت بعده إلا يسيرًا.
- في عام ٦١ هجرية لحقت بالنبي ﷺ
- دُفنت بالبقيع وكان عمرها ٩٠ عامًا.
- وهي آخر من مات من زوجات النبي ﷺ. رضي الله عنها وعن أمهاتنا أمهات المؤمنين.

الأوَّاهة

يا زينب

- سأُنكحك زيدًا. لست بناكحته.

- بل فانكحيه. يا رسول الله أؤامر في نفسي؟

فبينما هما يتحدثان أنزل الله تعالى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فردَّت زينب: رضيتَه لي يا رسول الله مُنكِحًا؟

- قال رسول الله: نعم.

قالت: إذًا لا أعصي رسول الله، قد أنكحته نفسي.

هي زينب بنت جحش، وكان اسمها "برَّة"، فسمَّاها النبي ﷺ "زينب"، وكانت تُكَنَّى: أمَّ الحكم، وهي إحدى المهاجراتِ الأوُل. تزوجت من زيدِ بن حارثة رضي الله عنه وبزواجها من زيد هُدمت الفوارق الطبقية في المجتمعات المسلمة، وبطلاقها وزواجها من النبي حُطِّمت قاعدة التبني.

هي مَن زَوَجَها الله وطلَّقها، ثم زوجها لنبيه من فوق سبع سماوات، وبقرآن يُتلى آناء الليل وأطراف النهار.

هي الأوَّاهة..أم المساكين، أبوها جحش بن رئاب بن يعمر، وأُمُّها أميمة بنت عبد المطلب عمَّة رسول الله، وُلِدَتْ رضي الله عنها في السنة الثالثة والثلاثين قبل الهجرة، أخوها عبد الله بن جحش أحد السابقين وقائد سريَّة نخلة، وقد استشهد في غزوة أُحُد ودُفن هو وخاله حمزة بن عبد المطلب عمُّ النبي في قبر واحد رضي الله عنهما. زواجها من زيد بن حارثة مولى الرسول حطَّم الفوارق الطبقيَّة ليكون الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وكان الموالي -وهم الرقيق المحرَّر- طبقة أدنى من طبقة السادة، ومن هؤلاء زيد بن حارثة، فأراد رسول الله أن يُحقِّق المساواة الكاملة بتزويجه من ابنة عمته، وهي شريفة من بني هاشم؛ ليُسقِط تلك الفوارق الطبقيَّة بنفسه في أسرته.

طلاقها

لم يستطيعا مواجهة الحياة وصعابها معًا، فأراد زيد تطليقها، لكن النبي ردَّه، وقال له: "اتَّقِ اللهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ". فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فالله تعالى قد أخبر نبيَّه أن زينب بنت جحش ستكون زوجةً من زوجاته، لكن النبي خاف المنافقين وأقوالهم؛ لأن زيدًا ابنٌ للنبي بالتبنِّي، لكن الله تعالى أخرج ما كان في صدر النبي ليكون زواجه من السيدة زينب بنت جحش لحكمة تشريعية عظيمة، وهي إسقاط التبني، ويكون أول من يُطبِّق هذه الحكمة هو النبي على مَنْ تبنَّاه؛ إذ كان زيد منسوبًا للنبي، فكان يُقال له: زيد بن محمد. ثم أُسقط التبني فنُسب لاسمه الحقيقي زيد بن حارثة.

*** وبعد انقضاء عدتها**

أنزل الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

ورُوِيَ: أنه لَمَّا تزوَّجها رسول الله تكلَّم في ذلك المنافقون، فقالوا: حرَّم محمد نساء الولد، وقد تزوَّج امرأة ابنه. فأنزل الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقال أيضًا: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥]، ولَمَّا نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾. كانت زينب ﵂ تفتخر على بقيَّة زوجات النبي وتقول لهنَّ: زوجكنَّ آباؤكنَّ، وزوَّجني الله من فوق سبع سموات. وما أَوْلَمَ رسول الله على امرأةٍ من نسائه أكثر وأفضل ممَّا أولم على زينب، وقد أطعمهم خبزًا ولحمًا حتى تركوه.

كانت ﵂ تحتلُّ من المكانة العالية عند رسول الله ما جعل أمَّ المؤمنين عائشة – تعترف بذلك، فتقول عنها: كانت زينب هي التي تساميني من أزواج النبي، ولم أرَ امرأة قطُّ خيرًا في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشدَّ ابتذالًا لنفسها في العمل الذي يُتصدَّق به، ويُتقرب به إلى الله.

أوَّاهة

وقد وصفها رسول الله بأنها أوَّاهة، فقال لعمر بن الخطاب: "إِنَّ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أَوَّاهَة." فقال رجل: يا رسول الله، ما الأوَّاه؟

قال: "الْخَاشِعُ الْمُتَضَرِّعُ"، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

وقد اشتركت ﵂ مع النبي في غزوة الطائف بعد حنين، وغزوة خيبر، ثم حجة الوداع، وبعد وفاة النبي ظلَّت محافِظةً على عهد رسول الله لازمة بيتها. ففي حجة الوداع قال رسول الله لزوجاته: "هَـذِهِ ثُـمَّ ظُهُورُ الْحُصُرِ". فكُن كلهن يحججن إلاَّ زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة، وكانتا تقولان: والله لا تحرِّكنا دابَّة بعد أن سمعنا ذلك من النبي.

الورِعة التقية

نزلت فيها آيات الحجاب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٣).

وكان رسول الله ﷺ يزور السيدة زينب ويمكث معها ويشرب العسل عندها، فغارت بعض نسائه، وأردن أن يصرفْنَهُ عن ذلك. فعن عائشة ﵂: أن النبي ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ: أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: "لاَ، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ"، فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا﴾ لِقَوْلِهِ: "بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا" رواه البخاري ومسلم.

ومن مناقبها ﵂ أنها أثناء حادثة الإفك العظيمة امتنعت عن الكلام فيها بينما خاض الكثير من الناس فيما ليس لهم به علم. تقول السيدة عائشة: وكان رسول الله يسأل زينب بنت جحش

عـن أمـري، فقـال: "يَـا زَيْنَبُ، مَـاذَا عَلِمْـتِ أَوْ رَأَيْتِ؟"فقالت: يا رسـول الله، أحمي سـمعي وبصري، ما علمتُ إلاَّ خيرًا. قالت عائشـة: وهي التي كانت تسـاميني من أزواج رسـول الله فعصمها الله بالورَع.

أم المساكين

ولقد بلغ من حُبِّها للعطاء أنها قالت حين حضرتها الوفاة: "إني قد أعددت كفني، فإن بعث لي عمر بكفنٍ فتصدَّقوا بأحدِهما، وإن استطعتم إذ أدليتموني أن تصدقوا بإزاري فافعلوا."

وقد ظلَّت ﵂ جوَادة كريمة بعد رسول الله متمسِّكة بالزهد، وعدم التعلُّق بالدنيا ومتاعها، فيُذْكَـر أنـه لَمَّا جـاء العطاءُ عمرَ، بعـث إليها- بالذي لهـا، فلمَّا دخل عليها قالـت: "غفر الله لعمر! لَغَيْرِي من أخواتي كان أقوى على قَسْـم هذا منِّي ".قالوا: هذا كله لكِ. قالت: "سـبحان الله"واستترت دونه بثوب،

وقالـت: "**صبُّـوه واطرحوا عليـه ثوبًا**". فصبُّـوه وطرحوا عليـه ثوبًا، فقالـت لبرزة بنت رافـع: "أَدْخِـلي يـدكِ فاقبـضي منه قبضـة فاذهبـي إلى آل فـلان". وآل فلان مـن أيتامها وذوي رحمهـا، فقسّـمته حتـى بقيت منه بقيَّـة: فقالت لها برزة: غفـر الله لكِ! والله لقـد كان لنا في هذا حـظٌّ. قالـت: "فلكم مـا تحت الثوب". قالت: فرفعنـا الثوب فوجدنا خمسـة وثمانين درهمًا، ثم رفعـت يديهـا، فقالـت: "اللهـم لا يدركني عطاء لعمـر بعد عامـي هذا". قالـت: فماتت ﵂.

وفاتها

تُوُفِّيَـتْ أمُّ المؤمنـين زينب بنـت جحش ﵂ في خلافة عمر بن الخطـاب في عام عشرين من الهجـرة، وقيـل: في عام واحـد وعشرين من الهجرة، وقد جاوزت ثلاثًا وخمسـين سـنة، وصلى عليهـا عمـر بن الخطـاب ﵁، وصُنع لها نعـشٌ، وكانت أول امـرأة يُفعل معها ذلـك، ودُفنت بالبقيع. فرضي الله عن أمنا زينب وعن أمهات المؤمنين.

جويرية

أنـا ابنة سـيد قومـه، وقد أصابني من البلاء مـا لم يخفَ عليك، فوقعتُ في السـهم لثابت بن قيس، فكاتبتُه على نفسي، فجئتُك أستعينك على كتابتي، قال: فهل لكِ في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي كتابتكِ وأتزوجكِ، قالت: نعم يا رسول الله، قال: قد فعلت. قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسـول الله تزوج جويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهارُ رسـول الله، فأرسـلوا ما بأيديهم، فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأةً كانت أعظم بركةً على قومها منها.

(حديث حسن، مسند أحمد).

أم المؤمنـين جويريـة بنت الحارث بن أبي ضرار بن المصطلق، من خزاعة، تزوجها ابن عمها (مسافع بن صفوان) فقُتل في (غزوة بني المصطلق).

زواج النبي بها

وزواج رسول الله ﷺ منها وقع في السنة الخامسة للهجرة، وكان عمرها إذ ذاك عشرين سنة، ومـن ثـمار هذا الزواج المبارك فكاك المسـلمين لأسراهم من قومها، وهي التي أعتق المسـلمون بسببها مائة أهل بيت من الرقيق، وقالوا: أصهار رسول الله، وكان ذلك من بركتها على قومها ﵂.

قالت جويرية بنت الحارث: (تزوجني رسول الله وأنا بنت عشرين سنةً) [الطبقات الكبرى لابن سعد، ج: ٨، ص: ٩٤].

روى أحمـد عـن عائشـة أم المؤمنـين قالـت: (لما قسـم رسـول الله ﷺ سـبايا -أسرى- بني المصطلق - سـنة خمس من الهجرة - وقعت جويرية بنت الحارث في السـهم لثابت بن قيس بن الشـماس - أو لابـن عم له - وكاتَبَتْه على نفسـها، وكانت امرأةً حلوةً مُلاحـةً لا يراها أحد إلا أخذت بنفسـه، فأتت رسـول الله ﷺ تسـتعينه في كتابتها، قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتُها على باب حجرتي فكرهتُها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت.

وقد كان أبو جويرية سيدًا مطاعًا في بني المصطلق، جاء إلى النبي ﷺ فأسلم. [الإصابة لابن حجر العسقلاني، ج: ١، ص: ٢٨١].

وروى ابن سعد في الطبقات أنه لما وقعت جويرية بنت الحارث في السبي، جاء أبوها إلى النبي ﷺ فقال: إن ابنتي لا يُسبى مثلها؛ فأنا أكرم من ذاك، فخلِّ سبيلها، فقال: "أرأيت إن خيّرناها، أليس قد أحسنّا؟" قال: بلى، وأدّيت ما عليك، فأتاها أبوها فقال: إن هذا الرجل قد خيّرك فلا تفضحينا، فقالت: فإني قد اخترت رسول الله ﷺ.

روى مسلم عن ابن عباس قال: (**كانت جويرية اسمها بَرَّة، فحوَّل رسول الله ﷺ اسمها جُوَيْرِيَةَ، وكان يكره أن يُقال: خرج من عند برة**)، [مسلم، حديث: (٢١٤٠)].

فضل جويرية رضي الله عنها:

روى مسلم عن ابن عباس عن جويرية: (**أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرةً حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: ما زلتِ على الحال التي فارقتُكِ عليها؟ قالت: نعم، قال النبي ﷺ: لقد قلتُ بعدكِ أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وُزِنت بما قلتِ منذ اليوم لوزنَتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**)، (مسلم، حديث: ٢٧٢٦).

روى البخاري عن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: (**أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة، فقال: أصُمْتِ أمس؟ قالت: لا، قال: تريدين أن تصومي غدًا؟ قالت: لا، قال: فأفطري**) (البخاري حديث: ١٩٨٦).

عِلْم جويرية رضي الله عنها:

روت جويرية بنت الحارث سبعةَ أحاديث، منها عند البخاري حديث، وعند مسلم حديثان.

وفاة جويرية رضي الله عنها:

توفيت جويرية بنت الحارث سنة خمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذٍ والي المدينة، وكان عمرها يوم وفاتها خمسًا وستين سنة. [الطبقات الكبرى لابن سعد، ج: ٨، ص: ٩٤].

رحم الله أمنا أم المؤمنين جويرية بنت الحارث.

رحم الله أمهاتنا أمهات المؤمنين ورضي الله عنهن وعنا معهن، وجمعنا بحبنا لهن في جنات النعيم.

حفيدة الأنبياء

حلمت حلمًا، حكته لزوجها، ضربها على وجهها.

وما حلمها؟ حلمت أن القمر وقع في حجرها،

معناه أنها ستتزوج ملكًا.

لكن كيف تُضرب وهي سيدة قومها ومن ذرية هارون بن عمران، فمن هي؟

هي حفيدة الأنبياء، تلقَّت اللطمة على وجهها كصاعقة حلَّت عليها.

اهتزت الأرض من تحت قدميها، فهي الشريفة صاحبة المال والجاه والحسب.

هي الكريمة ابنة الأكرمين، كيف تُلطم على وجهها؟!

مزَّقتها يد زوجها وهي تهوي على خدها مستنكرًا ما تقول، مستهجنًا ما تبوح.. صاح في وجهها معنِّفًا: أتتمنين مَلك يثرب أن يكون بعلك؟!

صعقت من تفسيره وأرْبكها تأويله، واجمة عازفة هي عن تصديقه.. ألجم الصمت لسانها واعتملت الأفكار في رأسها؛ كيف لحلم أن يقلب حياتها رأسًا على عقب؟ فقد رأت في منامها أن قمرًا أقبل من يثرب فوقع في حجرها! ذلك كان حلمها.

تمر أيام قلائل وتقع في الأسر وهي ابنة السبعة عشر ربيعًا، حسناء ذات جمال، تزوجت سلام بن مشكم، ثم تزوجت كنانة بن الربيع وكانا من شعراء اليهود، ولم يكن لها ولد، يرجع نسبها إلى سِبط اللاوي ابن نبي الله يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، وهي من ذرية رسول الله هارون عليه السلام.

كانت السيدة صفية ﵂ سيدة بني قريظة والنضير، أبوها حُيي بن أخطب زعيم اليهود وعدو رسول الله ﷺ، وعالم من علمائهم، كان على عِلْم بأن محمدًا نبيٌّ مُرسَل من قِبَلِ الله منذ قدومه إلى المدينة، لكنه استكبر؛ لأن النبي من العرب ولم يكن من اليهود.

قال: لا والله، لا أطيعك أبدًا. واستحوذ عليه الشيطان، واتبعه قومه على رأيه!

تأكدت من صدق نبوة محمد ﷺ على لسان أبيها وعمها أبي ياسر.

حينما نقض اليهود عهدهم مع النبي حاصرهم صلوات ربي وسلامه عليه، فقتل زوجها كنانة يوم خيبر ووقعت صفية في الأسر. خيَّرها النبي بين الإسلام أو العتق واللحاق بأهلها فاختارت الإسلام، وقالت: الله ورسوله أحب إليَّ من العتق، فأعتقها الرسول وتزوجها في السنة السابعة من الهجرة وعمرها سبعة عشر عامًا.

عندما دخلت بيت النبي كانت ذات حلم ووقار، فدخلت عليها عائشة ﵂ فرأتها وخرجت، فقال لها رسول الله: كيف رأيتِ، قالت رأيت يهودية. فقال ﷺ: لا تقولي هذا، فقد أسلمت.

هي صفية بنت حُيي بن أخطب، من بني النضير، من ذرية هارون بن عمران.

*** زوجة نبي وابنة نبي وعمها نبي.**

روى الترمذي عن أنس ﵁ قال: بلغ صفية أنّ حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: ما يبكيكِ؟ قالت: قالت لي حفصة إني ابنة يهودي. فقال النبي ﷺ: وإنك لابنة نبي، وإنّ عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيمَ تفتخر عليك؟

- استطاعت ﵂ أن تنال مكانة عظيمة في نفس النبي ﷺ لحُسن أخلاقها وعظيم محبتها للنبي ﷺ.

وعن صفية قالت: دخل رسول الله ﷺ وقد بلغني عن عائشة وحفصة كلام، فذكرت له ذلك، فقال: ألا قلت: وكيف تكونان خيرًا مني وزوجي محمد، وأبي هارون، وعمي موسى، وكان بلغها أنهما قالتا: نحن أكرم على رسول الله منها، نحن أزواجه وبنات عمه.

وكانت صفية ذات حلم ووقار.

عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم: أن نبي الله في وجعه الذي تُوفي فيه، قالت صفية بنت حيي: والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمزها أزواجه، فأبصرهن، فقال: مضمضن، قلن: من أي شيء؟ قال: من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة.

ومن إكرام النبي لها أنها كانت إذا أرادت أن تركب الناقة سترها بعباءته، ثم جلس لتضع رجلها على ركبتيه وتركب.

عُرف عنها الحكمة، وكانت لها مكانة رفيعة عند النبي لأخلاقها وأدبها وعِظم محبتها للنبي، ولما حج النبي برَك جملها، فبكت، فمسح النبي دموعها بيده الشريفة ليخفف عنها وبحث لها عن جمل آخر.

لَمَّا مات النبي ﷺ اعتكفت في بيتها وشغلت نفسها بالطاعة والعبادة والبر والصدقة. توفيت في السنة الخمسين من الهجرة وقد قاربت الستين عامًا، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها أمنا صفية بنت حيي بن أخطب، أم المؤمنين.

أم حبيبة

هـي رملة بنت أبي سـفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شـمس بن عبـد مناف الأمويَّة، وأُمُّها صفية بنت أبي العاص بن أمية عمَّة عثمان بن عفان.

هجرتها

هاجرتْ أمُّ حبيبة مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فَوَلَدَتْ له حبيبة، وبها تكنَّى، وفي الحبشة تنصَّر عبيد الله، وثبتَتْ هي على الإسلام.

وفي الحبشة رأت السيدة أمُّ حبيبة رؤيا، فترُويَ ﷺ: رأيتُ في النوم كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورةٍ وأشوهها، ففزعتُ، فقلتُ: تغيَّرَتْ والله حالهُ. فإذا هو يقول حين أصبح: يـا أمَّ حبيبـة، إني نظرت في الدين فلم أَرَ دينًا خيرًا من النصرانيَّة، وكنتُ قد دِنْتُ بها، ثم دخلت في ديـن محمد، ثم رجعت في النصرانيَّة. فقلتُ: والله ما خِـيرَ لكَ. وأخبرْتُهُ بالرؤيا التي رأيتُها، فلم يحفلْ بها، وأكبَّ على الخمر حتى مات.

مكانة أم حبيبة وفضلها

هي من بنات عمِّ الرسول، ليس في أزواجه مَنْ هي أكثر صداقًا منها، وهي -ابنة زعيم مكة وقائدها أبو سـفيان بن حرب، ورغم ذلك فقد أعلنتْ إسلامها رغم معرفتها بعاقبة هذا الأمر عليها وسخط أبيها.

زواج أم حبيبة من رسول الله

رأت أمُّ حبيبـة في منامهـا كأنَّ آتيًـا يقـول: يـا أمَّ المؤمنين. ففزِعْـتُ، فأوَّلتُها أن رسـول الله يتزوَّجنـي. قالـت: فـما هـو إلَّا أن انقضـت عِدَّتي، فما شـعرت إلاَّ برسـول النجـاشي على بابي يستأذن، فإذا جارية له -يقال لها أبرهة- كانت تقوم على ثيابه ودهنه، فدخلَتْ عليَّ، فقالت: إن المَلِكَ يقول لكِ: إن رسول الله كتب إليَّ أن أُزَوِّجَكه. فقالت: بشَّركِ الله بخير. قالت: يقول لك الملك وكِّلي مَنْ يُزَوِّجك. فأرسـلتْ خالدَ بن سعيد بن العاص، فوكَّلَتْه وأعطتْ أبرهة سواريْن من فضة وخَدَمتَين كانتا في رجليها، وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها، سرورًا بما بشَّرتها.

الحكمة من زواج الرسول بأم حبيبة

تزوَّج النبي ﷺ السيدة أمَّ حبيبة في العام السابع من الهجرة النبويَّة المشرَّفة؛ تكريمًا لها على ثباتها في دين الله، فكان هذا الزواج تعويضًا لها عمَّا لاقته ﵂ من عَنَتٍ ومشقَّة، ومكافأة لها من الله سبحانه وتعالى لصبرها وثباتها، وما ادَّخره الله عز وجل لها في الآخرة خيرٌ وأبقى.

وكانت ﵂ مع غَيْرتها على رسول الله تحبُّ أن تشاركها فيه أختها عزَّة بنت أبي سفيان، فقد سمِعَتْ أن رسول الله همَّ أن يتزوَّج دُرَّة بنت أمِّ سلمة، فعن زينب بنت أبي سلمة أن أمَّ حبيبة قالت: قلتُ: يا رسول الله، انكح أختي بنت أبي سفيان. قال:"وَتُحِبِّينَ؟". قلتُ: نعم، لست لك بمُخْلِيَةٍ، وأحبُّ مَن شاركني في خيرٍ أُختي. فقال النبي ﷺ: "إِنَّ ذَلِكَ لا يَحِلُّ لِي". قلتُ: يا رسول الله، فوالله إنَّا لنتحدَّث أنك تريد أن تنكح دُرَّة بنت أبي سلمة. قال:"بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ؟". فقلتُ: نعم. قال:"فَوَاللهِ لَوْ لَمْ تَكُنْ فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي؛ إِنَّهَا لاَبْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ فَلاَ تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلاَ أَخَوَاتِكُنَّ".

وقيل: إن قول الله تعالى: {عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الممتحنة: ٧]. نزل في أبي سفيان صخر بن حرب، فإنَّ رسول الله تزوَّج ابنته أمَّ حبيبة.

فقه أم حبيبة

بعد وفاة النبي ﷺ ظلَّت السيدة أمُّ حبيبة مستمسِّكة بسُنَّته، ولَّما جاء نعي أبي سفيان من الشام دعتْ أمُّ حبيبة ﵂ بصفرة في اليوم الثالث، فمسحتْ عارضيها وذراعيها، وقالت: إني كنتُ عن هذا لغنية، لولا أني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:"لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ، فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا".

مرْوِيَات أم حبيبة عن رسول اللّه

روت أمُّ المؤمنين أمُّ حبيبة ﵂ عن النبي عدَّة أحاديث، جعلها بَقِيّ بن مَخْلد خمسة وستِّين حديثًا، ولها في مجموع الكتب الستَّة تسعة وعشرون حديثًا، اتَّفق لها البخاري ومسلم على حديثيْن.

حياة أم حبيبة بعد النبي

عاشت السيدة أمُّ حبيبة ﵂ بعد رسول الله ثلاثًا وثلاثين سنة، متمسِّكة بهدْيِه، سائرة على

سُـنَّتِه، عميقة الصلة بالمؤمنين جميعًا، مشارِكة للمسلمين في الأحداث العظمى. ففي أيام الفتنة الكـبرى، ولَمَّا اشـتدَّ أذى المتمرِّديـن على عثمان بن عفان ﷺ قال الناس: لـو جئتم بأمِّ المؤمنين، عسـى أن يكفُّوا عنه، فجاءُوا بأمِّ حبيبة بنت أبي سـفيان، فنظرتُ إليها وهي على بغلة بيضاء في محفَّة، فلمَّا جاءُوا بها إلى الدار صرفوا وجه البغلة حتى ردُّوها.

كـما كانـت ﷺ حسـنة الصلـة بأُمَّهـات المؤمنـين ﷺن جميعًـا، حريصـةً عـلى وُدِّهـن واسـترضائهن. ففـي اللحظـات الأخـيرة مـن حياتهـا اسـتدعت السـيدة عائشـة ﷺ لتقـول لهـا أمـرًا غايـة في الأهمِّيَّـة بالنسـبة لهـا. فعـن عـوف بـن الحـارث قـال: سـمعتُ عائشـة ﷺ تقـول: دعتنـي أمُّ حبيبـة زوج النبـي ﷺ عنـد موتهـا، فقالـت: قـد كان يكـون بيننا مـا يكون بـين الضرائـر، فغفـر الله لي ولـك مـا كان من ذلـك. فقلـتُ: غفر الله لـكِ ذلك كلـه، وتجاوز وحلَّلَـكِ من ذلك. فقالت: سررتني سرَّك الله. وأرسـلت إلى أمِّ سـلمة، فقالـت لها مثل ذلك.

وفاة أم حبيبة

عند وفاتها تجسَّدت فيها ﷺ رُوح الحبِّ والأُلْفَة بينها وبين أُمَّهات المؤمنين الباقيات، عندما طلبت من السـيدة عائشـة أن تحللها من أي شيء فحللتها، واستغفرت لها، وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين عن ثمانٍ وستين سنة، في خلافة أخيها معاوية بن أبي سفيان.

التقيَّة النقيَّة

أم المؤمنين، ميمونة بنت الحارث بن حَزْن الهلالية، آخر امرأة تزوجها النبي، وهي أخت السيدة زينب بنت خزيمة أم المؤمنين لأمها. أختها لبابة الكبرى زوجة العباس بن عبد المطلب، ولبابة الصغرى زوجة الوليد بن المغيرة، فهي إذن خالة عبدالله بن عباس وخالد بن الوليد ﷺ.

وقف خالد بن الوليد ابن أخت السيدة ميمونة، وقال في جمة من الناس: "لقد استبان لكل ذي عقل أن محمد ليس بساحر ولا شاعر، وأن كلامه من رب العالمين، فحق على كل ذي عقل أن يتبعه".

وأخواتها أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب، وسلمى بنت عميس زوجة حمزة بن عبد المطلب، وسلامة بنت عميس زوجة عبد الله بن كعب، ولذلك كان النبي يقول: (أخوات مؤمنات: ميمونة بنت الحارث، وأم الفضل بنت الحارث، وسلمى امرأة حمزة، وأسماء بنت عميس) رواه النسائي في سننه الكبرى.

زواجها من النبي

كان زواجها ﷺ أولًا بمسعود بن عمرو الثقفي قبيل الإسلام، ففارقها، وتزوجها أبو رهم بن عبدالعزى، فتوفي عنها وهي في ريعان الشباب، ثم دخلت في الإسلام وملأ الإيمان قلبها فحظيت بشرف الزواج من رسول الله ﷺ في وقت فراغه من عمرة القضاء في السنة السابعة للهجرة.

وكان عمرها عندئذٍ ٢٦ سنة، وعمره ٥٩ سنة، وقد أولم عليها بأكثر من شاة، وأصدقها أربعمائة درهم، وقيل بخمسمائة درهم.

وكان اسمها في السابق بَرَّة، فغيّره رسول الله ﷺ إلى ميمونة، شأنها في ذلك شأن أم المؤمنين جويرية، والتي كان اسمها "برّة"، فغيّره إلى جويرية.

التقية النقية

وكانت ﷺ من سادات النساء، مثلًا عاليًا للصلاح ورسوخ الإيمان. تشهد أم المؤمنين

عائشة على ذلك بقولها: "أمَا أنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم"، وقد روت عددًا من الأحاديث عن رسول الله كان منها صفة غُسله ﷺ.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما- يبيت عندها أحيانًا في بيت رسول الله- فيكسب علمًا، وأدبًا، وخلقًا، ويبثّه بين المسلمين.

من ذلك قوله رضي الله عنه: (بتُّ ليلةً عند ميمونة بنت الحارث خالتي، وكان رسول الله عندها في ليلتها، فقام رسول الله يصلي من الليل، فقمت عن يساره، فأخذ بشعري، فجعلني عن يمينه، فكنت إذا أغفيت يأخذ بشحمة أذني، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم احتبي حتى إني لأسمع نفَسه راقدًا، فلما تبين له الفجر صلى ركعتين خفيفتين) رواه البخاري ومسلم

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس قال: دَخَلْتُ أَنَا وَخَالِدُ بنُ الوَلِيدِ، مع رَسولِ الله ﷺ بَيْتَ مَيْمُونَةَ، فَأُتِيَ بضَبٍّ مَحْنُوذٍ، فأهْوَى إلَيْهِ رَسولُ الله ﷺ بيَدِهِ، فَقالَ بَعْضُ النِّسْوَةِ اللَّاتي في بَيْتِ مَيْمُونَةَ: أَخْبِرُوا رَسولَ الله ﷺ بما يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ، فَرَفَعَ رَسولُ الله ﷺ يَدَهُ، فَقُلْتُ: أَحَرَامٌ هو يا رَسولَ الله؟ قالَ: لَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بأَرْضِ قَوْمِي فأجِدُنِي أَعَافُهُ. قَالَ خَالِدٌ: فَاجْتَرَرْتُهُ فأكَلْتُهُ وَرَسولُ الله ﷺ يَنْظُرُ.

قال الحافظ قوله: فأجدني أعافه أي أكره أكله. ووقع في رواية سعيد بن جبير: فتركهن النبي ﷺ كالمتقذِّر لهن، ولو كن حرامًا لما أكله على مائدة النبي ﷺ.

راوية الأحاديث

ورُويَ لها سبعة أحاديث في "الصحيحين"، وانفرد لها البخاري بحديث، ومسلم بخمسة، وجميع ما روت ثلاثة عشر حديثًا

وفاتها

ثم قدّر الله أن تكون وفاتها في الموضع الذي بنى بها فيه رسول الله ﷺ عند زواجه منها، وذلك سنة ٥١ للهجرة، وكان عمرها إذ ذاك ثمانين سنة، وصلّى عليها ابن عباس رضي الله عنهما، ودخل قبرها هو ويزيد بن الأصم وعبد الله بن شداد بن الهادي -وهم بنو أخواتها- وعبيد الله الخولاني -وكان يتيمًا في حجرها. رضي الله عنهم أجمعين، وعن أمهاتنا أمهات المؤمنين، وعن أمنا ميمونة بنت الحارث آخر زوجات النبي ﷺ.

أم ولده إبراهيم

هي زوجته؟ لا، جاريته.

لكنها أصبحت حرة بعد أن صارت أم ولده إبراهيم.

من هي؟

مارية القبطية

تخطو نحو القصر بأقدام مرتجفة بعد أن علمت أن سيدها يطلبها.

تراه غاضبًا منها أم سعيد بجهدها واجتهادها في إرضائه؟!

تُرى، أَوَشى بها واشٍ، أم أطرى عليها أحدهم؟

دارت الأسئلة في عقل مارية طوال طريقها.

تقدمت في تؤدة نحو الملك، مشاعرها مختلطة، جاريته هي، لم ترَ منه إلا كل خير، فقد اشتُهر بعدله.

ابتسم لها الملك ابتسامة رضا فاطمأنت نفسها واستكانت روحها، ثم هدّأت من روعها ربْتة حانية منه على كتفها. أشار إليها بيده أن تجلس وبدأ يتحدث لها:

-أتعلمين يامارية أمر الرسول القادم من أرض الحجاز؟

-نعم سيدي، فالمدينة كلها تتحدث عنه.

- وما رأيك؟

-وهل لمثلي رأي سيدي؟

- أسألك؛ فقد اعتدت منك رجاحة العقل وحُسن المنطق.

-ما وردنا عنه مبشِّر بالخير، فهو يدعو إلى جميل الخصال وكريم الأخلاق.

يبتسم الملك بعد أن علم رأي مارية.

وعلى أرض الإسكندرية يقرأ حاطب بن أبي بلتعة رسالة رسول الله ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط، تشوق الجميع لرؤية صاحب الرسالة، وانبرى حاطب يحدِّثهم عن سماحة الإسلام

فازدادوا شوقًا على شوقهم. فأكرمه المقوقس بحُسن ضيافة وترحاب كبير حتى انتهى من مهمته.

حمَّله الهدايا ومنها جاريتين؛ مارية وأختها سيرين. قفز قلب مارية من مكانه؛ هل ستذهب لرؤية النبي محمد؟! هل ستكون جاريته وهى التى تتوق للحديث معه؟!

رحبت مارية بالأمر واستعدت وأختها للرحيل، وفي الطريق وقف حاطبٌ يتوضأ استعدادًا للصلاة تراقبه مارية، يتلو القرآن فتقول: ما هذا الكلام الجميل؟! يرد حاطب: إنه القرآن.

لامس قلبها وأحست به، فبدأ يشرح الآيات والمعاني، ويومًا وراء يوم تدرك عظمة هذا الدين من أخلاق حاطب والتزامه وشجاعته ومرُوءَتُهُ... فتُعجبُ بهذا الدين ويستوطن قلبها حبه.

تسلم مارية وأختها سيرين قبل أن تصلا إلى مدينة رسول الله الذي تعلَّق قلبها به قبل أن تراه وتمنت أن تعيش في كنفه. وصل الركب واجتمع أهل المدينة ليروا هدايا المقوقس.

يكرم النبي مارية ويجلسها بجواره ويبدأ يسألها:

- من أين أنت يا مارية؟

- من قرية (جفن) على الضفة الشرقية للنيل.

(وهى الآن قرية دير مواس بمحافظة المنيا بصعيد مصر).

كنت جارية لدى المقوقس عظيم القبط.

لم يستطع الزواج منها؛ فقد حُرِّم عليه الزواج بعد السيدة ميمونة بنت الحارث، قال تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ (الأحزاب:٥٢).

كانت جارية تحمل صفات الأميرات، وسلوك الملكات، وأخلاق العفيفات، أمَة يستمتع بها النبي بمِلك اليمين، وقد بلغ من قدرها ومقدارها أن الرسول ﷺ أوصى بها وبأهل مصر خيرًا، فقال: (إذا فتحتم مصر فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذِمةً ورحمًا).

وتمر الأيام وتأتي البشرى إلى الحبيب، لقد حملت مارية. فرقصت المدينة فرحًا، وسُر رسول الله أيَّما سرور. أما هي، فطارت من الفرحة، إنها تحمل قطعة من خير البشر. أي سعادة يا مارية منحها لكِ المولى عزَّ وجل، بل أي تشريف وتكريم؟!

وفى ذي الحجة فى السنة الثامنة من الهجرة ولدت مارية مولودًا سمَّاه النبي (إبراهيم) تيمُّنا بخليل الله إبراهيم. ويمرُّ النبي كل يوم على بيت مارية يطمئن عليها وعلى إبراهيم، يأنس به

وتقر عينه بولده وقطعة فؤاده، لكن السعادة لم تدُم طويلًا؛ فحين أتمَّ إبراهيم ستة عشر شهرًا توفاه الله، فترك قلب أمه مفطورًا وقلب الحبيب حزينًا.

دمعت عيناه، وبكى ﷺ. فعن أنس ﷺ أن رسول الله دخل على ابنه إبراهيم ﷺ وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟! فقال: يا ابن عوف، إنها رحمة. ثم أتبعها بأخرى فقال: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنَّا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون"رواه البخاري، وروى مسلم بعضه.

حزنت مارية لفراق وليدها، ولكن النبي كان رحيمًا بها مواسيًا لها، فلم ينقطع عنها وعن السؤال عنها.

وبعد عام، مات الحبيب ﷺ فى ربيع الأول فى السنة الحادية عشرة من الهجرة، فزاد حزن مارية التى فقدت الولد والزوج والحبيب، فلزمت بيتها معتكفةً عابدةً لله حتى لحقت بالرفيق الأعلى فى خلافة عمر بن الخطاب فى السنة السادسة عشرة من الهحرة.

دُفنت بالبقيع، وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وحينما تم فتح مصر على يد عمرو بن العاص كان رحيمًا بأهلها تنفيذًا لوصية رسول الله، وقد ذهب عبادة بن الصامت إلى قرية مارية فى صعيد مصر يبحث عن أهلها ومكان بيتها حتى وجده، فأقام مسجدًا هناك سمَّاه باسمها إكرامًا لها ﷺ وأرضاها.

بنات النبي

السيدة زينب

بلغني أن امرأة مسلمة أجارت زوجها المشرك فأُجير، وافتدته من الأسر بقلادة أمها فافتُدي، ودعت ربها أن يرده إلى دينه ردًا جميلًا فأسلم ﷺ، هي بنت رسول الله ﷺ القرشية الهاشمية، وأمها السيدة خديجة بنت خويلد ﷺ، ولدت قبل البعثة بمدة قيل إنها عشر سنين، وكانت أكبر بنات النبي والأولى من بين أربع بنات هن: زينب- رقية - أم كلثوم - فاطمة ﷺ.

وهي أول من تزوج منهن ﷺ وقد أحبها الرسول ﷺ وفرح بقدومها، وفرحت بها السيدة خديجة، عاشت في بيت النبوة فشبَّت على مكارم الأخلاق، فكانت الوردة الطاهرة التي يتقدَّم لها الخطَّاب.

زواجها

تقدَّم لخطبتها ابن خالتها "أبو العاص بن الربيع"، أمه هالة بنت خويلد أخت السيدة خديجة، التي فاتحت أختها وطلبت منها خطبة زينب لابنها، سُرَّت السيدة خديجة ﷺ، وسألت الرسول ﷺ أن يزوِّجها منه فوافق.

وكان أبو العاص بن الربيع كريم الخصال، ومن رجال مكة المعدودين مالًا وأمانة وتجارة، تزوجت بابن خالتها وسعد الزوجان وأكرمهما الله تعالى بوليدهما علي بن أبي العاص ومن بعده بأخته أمامة.. ومرت الأيام والزوجان في سعادة ومحبة.

إسلامها

عندما بلغ رسول الله ﷺ الأربعين من عمره جاءه الوحي في غار حراء، وبدأت الدعوة إلى الله، فآمن به أهل بيته جميعًا ومنهم السيدة زينب ﷺ وكان زوجها في سفر عندما أسلمت ﷺ فلم يعلم بأمر الدعوة، فلمَّا عاد وعلم بالخبر، حاولت أن تدعوه إلى الإسلام وكذلك حاول معه رسول الله ﷺ، ولكنه رفض أن يترك دين آبائه، وكان مما قال لها: "والله ما أبوك عندي بمتهم،

وليس أحب إليّ من أن أسلك معك يا حبيبة في شِعب واحد، ولكني أكره لك أن يقال: إن زوجك خذل قومه وكفر بآبائه إرضاء لامرأته".

حاول كفار قريش أن يؤذوا رسول الله ﷺ في بناته، فمشوا إلى أبي العاص فقالوا: فارق صاحبتك ونحن نزوجك بأي امرأة من قريش شئت، قال: لا والله، لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش. وكان رسول الله ﷺ يثني عليه.

اشتد إيذاء الكفار للمسلمين وحاصروا المسلمين في شِعب أبي طالب، ثم تُوفي أبو طالب وتُوفيت بعده السيدة خديجة رضي الله عنها وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، فهاجرت معه بناته، إلا السيدة زينب؛ فقد بقيت في مكة مع زوجها، بقيت حزينة وحيدة بعد أن تُوفيت والدتها وهاجر أبوها.

افتدته من الأسر

علمت السيدة زينب أن زوجها من أسرى بدر، فبعثت تفديه بمال وفيه قلادة لها من خديجة، فلما رآها رسول الله رقَّ لها رقة شديدة وقال: "إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها الذي لها فافعلوا". قالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه وردوا عليها الذي لها. ثم أدنى رسول الله ﷺ إليه صهره، فأسرَّ إليه حديثًا لم يعلم ما هو، فحنى أبو العاص رأسه موافقًا، ثم حيَّا ومضى، فلما بعُد التفت إلى أصحابه من حوله فأثنى على أبي العاص خيرًا وقال: "والله ما ذممناه صهرًا" وكان رسول الله ﷺ قد اشترط عليه أن يبعث له حين عودته لمكة ابنته زينب فعاهده على ذلك ووفَّى أبو العاص بذلك.

هجرتها إلى المدينة

هاجرت السيدة زينب إلى المدينة ففرح بها رسول الله -صلى الله عليه- وبطفليها "علي وأمامة" وأقامت مع طفليها في كنف الرسول حتى العام السابع من الهجرة، وأقام زوجها أبو العاص بمكة على كفره.

أجارت زوجها

قبل فتح مكة، وبينما كان أبو العاص عائدًا في قافلة من بلاد الشام تعرَّضت لقافلته سرية من المسلمين فأخذوا أموالهم وهرب أبو العاص وخشي على نفسه من قريش، فلم يجد إلا أن يتوجه إلى المدينة ليلًا ليستجير بالسيدة زينب رضي الله عنها فأجارته، ولمَّا خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة

الصبح فكبّر وكبَّر الناس معه، صرخت زينب ﵂ من صفّة النساء: أيها الناس، إني قد أجرْتُ أبا العاص بن الربيع. فلمَّا سلَّم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال: "أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟" قالوا: نعم، قال: "أمَا والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم أنه يجير على المسلمين أدناهم" ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته فقال: "أي بنية، أكرمي مثواه، ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له ما دام مشركًا" واجتمع رسول الله مع أصحابه بأبي العاص، فاستشار صحابته أن يردوا على أبي العاص أمواله التي أخذوها من القافلة، وقال لهم: "إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالًا، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فأنا أحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به". واتفق الصحابة -رضوان الله عليهم جميعًا- على إعادة المال لأبي العاص كاملًا دون نقصان.

إسلام أبي العاص

رجع أبو العاص بالمال إلى مكة ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيرًا، فقد وجدناك وفيًّا كريمًا. قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوّف أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلمَّا أدَّاها الله إليكم فرغت منها وأسلمت.

ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ وأعلن إسلامه، ففرح به رسول الله وأصحابه، وبعد إسلامه ردَّ عليه رسول الله زينب على نكاحه الأول بعد ست سنين من الفراق، وعاشا من جديد معًا والإسلام يجمعهما، واجتمع الزوجان؛ أبا العاص والسيدة زينب ﵂ما وعاشا حياة كريمة سعيدة في دار الهجرة مع ولديها أمامة وعلي.

مرضها

ثم مرضت ﵂ وبدأ المرض يزداد عليها فظلت ملازمة للفراش فترة طويلة.

وفاتها

في العام الثامن للهجرة توفيت السيدة زينب -﵂ وأرضاها- وحزن رسول الله ﷺ، وحزن معه زوجها أبو العاص الذي توفي بعدها بأربع سنوات في العام الثاني عشر من الهجرة.

عن أم عطية ﵂ قالت: "لَّما ماتت زينب قال لنا رسول الله: "اِغسِلنها وِترًا، ثلاثًا أو خمسًا، واجعلن في الخامسة كافورًا أو شيئًا من كافور، فإذا غسلتنها، فأعلمنني" قالت: فأعلمناه، فأعطانا حقوه (إزاره) وقال: "أشعرنها إياه (أي اجعلنه الثوب الذي يلي جسدها" رواه مسلم. ودُفنت ﵂ بالبقيع، وتولَّى دفنها ونزل في قبرها رسول الله ﷺ، ﵂ وأرضاها.

السيدة رقية

بلغني أن امرأة سُميت بذات الهجرتين، وتزوجت بذي النورين، إنها السيدة رقية، رقية بنت النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمية، أمها خديجة بنت خويلد.

ولدت السيدة رقية وعمر النبي ثلاث وثلاثون، وبُعث النبي وعمره أربعون، فأسلمت رقية مع أمها خديجة، فعلى هذا يكون عمرها عند إسلامها سبع سنوات.

أسلمت حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد، وبايعت رسول الله هي وأخواتها حين بايعه النساء.

زواجها

كان رسول الله قد زوج ابنته رقية من عتبة بن أبي لهب وكانت دون العاشرة، وزوَّج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبي لهب، ونِكاية في الرسول أمرت أم جميل بنت حرب بن أمية "حمَّالة الحطب" ولديها وقالت: فارقا ابنتَيْ محمد. ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامة من الله تعالى، وهوانًا لابني أبي لهب، وشاءت قدرة الله لرقية أن تُرزق بعد صبرها زوجًا صالحًا كريمًا من النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ذلك هو عثمان بن عفان صاحب النسب العريق، والمال الوفير، والخلق الكريم.

وعثمان أحد فتيان قريش مالًا وعِزًّا ومَنَعَةً، تصافح سمعه همسات دافئة تدعو إلى عبادة الله رب العالمين، والذي أعزه الله في الإسلام سبْقًا وبذْلًا وتضحيةً، وأكرمه بما يُقدم عليه من شرف المصاهرة، وما كان الرسول الكريم ليبخل على صحابيّ مثل عثمان بمصاهرته، فسرعان ما استشار ابنته، ففهم منها الموافقة عن حبٍّ وكرامة، وتمَّ لعثمان نقل عروسه إلى بيته، وهو يعلم أن قريشًا لن تشاركه فرحته وسوف تغضب عليه أشد الغضب، ولكن الإيمان يفديه عثمان بالقلب ويسأل ربه القبول.

فدخلت رقية بيت الزوج العزيز وهي تدرك أنها ستشاركه دعوته وصبره، وأن سبلًا صعبة سوف تسلكها معه دون شك إلى أن يتم النصر لأبيها وأتباعه، وسعدت رقية ﵂ بهذا الزواج من التقي النقي عثمان بن عفان، وولدت غلامًا من عثمان فسمَّاه عبد الله، واكتنَى به.

وكانـت تكنى بأم عبـد الله، وتكنى بذات الهجرتين، أي هجرة الحبشـة وهجرة المدينة، ولَّما أراد عثـمان بن عفان الخروج إلى أرض الحبشـة، قال له رسـول الله: "اخرج برقية معك"، قال: "أخال واحد منكما يصبر على صاحبه".

وفاتها

توفيت السـيدة رقية ﵂ عند عثمان بن عفان بعد عودة رسـول الله من بدر، ودُفنت بالمدينة، وذلك أن عثمان استأذن رسول الله في التخلّف عند خروجه إلى بدر لمرض رقية. تُوفيت ولها من العمر اثنتان وعشرون سنة، ودُفنت في البقيع.

رحم الله رقية بطلة الهجرتين، وصلاة وسلامًا على والدها في العالمين إلى يوم الدين.

السيدة أم كلثوم

بلغني أن امرأة طلقها زوجها قبل أن يدخل بها، وأوذيت في دينها فصبرت واحتسبت، ولَمَّا ماتت كفَّنها النبي ﷺ في إزاره.

هـي أم كلثـوم بنت النبـي، وأمها خديجة ﵂، خير النسـاء، صاحبة الفضـل العظيم والمقام الرفيع، وهي أصغر من السيدة رقية ﵂.

خطبتها

لما بلغت أم كلثوم وأختها رقية ﵂ مبلغ الزواج، خطبهما أبو طالب لابنيْ أخيه عبد العزى (أبي لهـب) عتيبة وعتبـة، فوافق النبي لما لأبي طالب من مكانة عنـده، ولأن الخاطبيْن ابنا عمه، فخُطبت أم كلثوم لعُتيبة وتزوجها، ولكن لم يدخل بها.

طلاقها

ما كاد رسـول الله ﷺ يتلقَّى رسـالة ربه تعالى ويدعو إلى دين الحق حتى بدأت قريش حربها ضده، فاجتمع سـادة قريش وقالوا: إنكم قد فرغتم محمدًا من همّه، فرُدُّوا عليه بناته فاشـغلوه بهـن. وذهب سـادة قريش إلى أصهار رسـول الله الثلاثـة، وقالوا لهم واحدًا بعـد الآخر: فارق صاحبتك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت، فأبى أبو العاص زوج زينب الكبرى، أمَّا ابنـا أبي لهب فاسـتجابا عـلى الفور، وكان أبو لهب قد قال لابنيه: رأسي من رأسـيكما حرام إن لم تطلِّقا ابنتي محمد.

إسلامها

أسـلمت ﵂ مع أمها وأخواتهـا جميعًا، وبعد أن طلقها عتيبة عاشـت أم كلثوم مع والديها، ثم تزوجت أختها السيدة رقية من عثمان وهاجرت معه إلى الحبشة، وبقيت أم كلثوم مع أختها الصغرى فاطمة، وهكذا عاشت ﵂ في صميم معركة الاضطهاد الأولى.

هجرتها

وتمادى كفار قريش في إيذاء النبي حتى قرَّر رسول الله الهجرة إلى المدينة، وترك ابنتيه أم كلثوم وفاطمة ﵄ عند زوجته السيدة سودة ﵂، حتى وصل إلى المدينة فاستقدمهما إليه، فعاشت ﵄ في المدينة، وشهدت عودة أبيها منتصرًا من بدر، ووفاة أختها رقية يوم النصر.

زواجها من عثمان

وفي أحد الأيام رأى رسول الله عثمان مهمومًا فقال له: "مالي أراك مهمومًا؟"

فقال: يا رسول الله، وهل دخل على أحد ما دخل عليَّ، ماتت ابنة رسول الله التي كانت عندي وانقطع ظهري وانقطع الصهر بيني وبينك، فبينما هو يحاوره إذ قال النبي: يا عثمان، أزوِّجك أختها أم كلثوم على مِثل صداقها وعلى مثل عشرتها"، فزوَّجه إياها فكانت النور الثاني لعثمان ﵁، الذي سُمي بذي النورين لزواجه ابنتيْ رسول الله وتزوجها في شهر ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة، وبقيت عنده ست سنوات ولم تنجب له.

مرضها

ثم داهم المرض بنت رسول الله فلزمت الفراش حينًا، ثم ماتت في شهر شعبان سنة تسع من الهجرة، وتألَّم ﷺ وحزنَ حزنًا شديدًا، وأمر رسول الله أم عطية أن تغسِّلها وِتْرا، وأعطاها إزاره لتكفِّنها به، وبعد أن دفنها رسول الله ﷺ قال لذي النورين الحزين لموت زوجته الحبيبة ولانقطاع نسبِه من رسول الله ﷺ: "لو كانت عندنا ثالثة لزوجناكها يا عثمان" رضي الله عنها وأرضاها.

السيدة فاطمة الزهراء

بلغني أن امرأة سُـمِّيت أمَّ أبيها، وكانت سـيدة نساء أهل الجنة، تعمل بيدها بالرحى تطحن الحَب حتى أثرت فيها، وتنظف بيتها بنفسها، وتخدم زوجها. هي السيدة فاطمة الزهراء أصغر بنـات النبـي وأحبَّهم إلى قلبه، أمها السـيدة خديجة ﵂، وكانت تسـمَّى أم أبيها لحبِّها ورعايتها لأبيها، وهي زوجة علي ﵁ وأم سِبْطَيْ رسول الله الحسن والحسين ﵄، وهي سيدة نساء أهل الجنة.

وُلـدت -﵂ا وأرضاهـا- قبـل بعثة المصطفى بخمس سـنين، في العام الـذي اختلفت فيه قريش على وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة، فوضعه رسول الله.

تربت بين أحضان والديها وعاشـت في كنفهما، وهي الابنة الرابعة لرسـول الله من السـيدة خديجـة بعـد زينب ورقيـة وأم كلثوم ﵃ جميعًا، ولَّما بُعث النبي عانـت معه ومع عائلتها بطش وتكذيب قريش، ودخلت مع أبويها شِعب أبي طالب، حيث عاشت هناك حصارًا منهكًا سنين عديـدة، ثـم خرجت من الحصار لتشـهد مـوت أمها ﵂، فتولَّـت رعاية والدها مـع أخواتها، وعاشت أمًّا لأبيها ترعاه وتخفِّف عنه أذى قريش.

فقد أخرج البخاي أن عقبة بن أبي معيط جاء بسَلا (أمعاء) جزورٍ فوضعه على ظهر رسول الله، فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة ﵂ فرفعته ودعَت على من صنع ذلك،

عنـد ذلـك رفـع النبي ﷺ رأسـه وقال: "اللهم عليك بـأبي جهل بن هشـام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأُبيّ بن خلف".

هجرتها

لَّما هاجر رسـول أرسـل زيدًا ليـأتي بأهله، فخرجت معه السـيدة فاطمة وأختهـا أم كلثوم، ومعهما سودة بنت زمعة زوجة رسول الله مهاجرات إلى المدينة المنورة.

زواجها

لَّما بلغت مبلغ الزواج تقدَّم لخطبتها أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﷺ، فردهما الرسول بقولٍ جميل، ثم تقدَّم علي ﷺ لخطبتها، وكان عمرها حوالي ثماني عشرة سنة، وكان علي في الثانية والعشرين.

يقول علي كرَّم الله وجهه:

دخلتُ على رسول الله وكانت له جلالة وهيبة، فلمَّا قعدت بين يديه أُفحمت، فوالله ما أستطيع أن أتكلم فقال: "ما جاء بك؟ ألكَ حاجة؟" فسكَتُّ، فقال: "لعلك جئت تخطب فاطمة؟" قلت: نعم، قال: "وهل عندك من شيء تستحلها به؟" فقلت: لا والله يا رسول الله، فقال: "ما فعلت بالدرع التي أعطيتك يوم بدر؟" فقلت: عندي، والذي نفس عليّ بيده إنها لحطمية ما ثمنها أربعمائة درهم، قال: "قد زوجتك فابعث بها. وكانت صداقَ بنت رسول الله.

وأمره الرسول أن يبيع الدرع ليجهِّز العروس بثمنها، فباعها بأربعمائة درهم، فدفع بالمبلغ للرسول صداقًا لفاطمة وتمت الخطبة.

ثم تزوج علي فاطمة وبنى بها في محرم السنة الثانية من الهجرة، وأولم عليها فذبح كبشًا أهداه إياه سعد بن عبادة ﷺ ولَّما كان البناء قال رسول الله لعلي: لا تحدِثن شيئًا حتى تلقاني، فدعا رسول الله بماء فتوضأ منه ثم أفرغ على علي وفاطمة ﷺ وقال: "اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما". وفي رواية أنه ﷺ قال لابنته: "يا فاطمة، أمَا إني ما آليت أن أنكحتك خير أهلي".

حياتها

وقد عاشت معه ﷺ تعمل في بيتها ليس لها خادم، يقول عليّ بن أبي طالب ﷺ: لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار، وما لي ولها خادم غيرها.

لم تكن حياة السيدة فاطمة ﷺ في بيت زوجها مترَفة ولا ناعمة، بل كانت أقرب إلى أن توصف بالتقشُّف والخشونة؛ لأن علي ﷺ لم يكن ذا حظٍ من مال موروث أو مكتَسب، وأبوه -على عظم مكانته- كان قليل المال كثير العيال، وقد دخلت ﷺ بيت الزوجية لا بالفراش الوثير، وإنما بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحاءين وسقاءين وجرتين وشيء من العطر

والطيب، وكانت ﵂ تعمل بيدها بالرحى تطحن الحَب حتى أثَّرت في يدها، وتنظف بيتها بنفسها، وتخدم زوجها وقد أثَّر ذلك عليها.

فيُروى أن رسول الله قد فتح الله عليه وجاءته غنائم وسبايا في إحدى الغزوات، فطلب منها علي أن تسأل رسول الله خادمًا من السبْي، فأتت النبي فقال: "ما جاء بك وما حاجتك؟"

قالت: جئت لأسلم عليك. وأرخى عليها الحياء ستارًا فلم تطلب منه شيئًا وعادت، فقال لها علي: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله فرجعت. فقاما وانطلقا إلى رسول الله وشكيا له حالهما وطلبا أن يهب لهما خادمًا، فقال لهما النبي: "والله لا أعطيكما وأدع أهل الصُّفَّة تطوَى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم"، فانصرفا شاكريْن راضييْن بأمر رسول الله ﷺ، ثم أتاهما رسول الله وقد تغطيا بقطيفة لهما إذا غطيا رأسيهما بدت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما انكشفت رأساهما، فهبَّا للقاء الرسول فابتدرهما قائلًا: "مكانكما".

وقال لهما: "ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟"

فأجابا: بلى يا رسول الله.

قال: "كلمات علمنيهنّ جبريل؛ تسبحان دُبر كل صلاة عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتكبّران عشرًا، وإذا أويتما إلى فراشكما تسبِّحان ثلاثًا وثلاثين، وتحمدان ثلاثًا وثلاثين، وتكبّران ثلاثًا وثلاثين"، ثم ودّعهما ومضى، فما زالت فاطمة وعلي ﵄ يواظبان على ترديدهما طوال حياتهما.

ويُروى أنه قد حدث بينهما ﵄ خلاف مما يحدث بين الزوجين فأصلح بينهما وكان قد دخل عليهما باسر الوجه وخرج ﷺ وقد امتلأ وجهه بِشرًا، فقيل له: يا رسول الله، دخلت وأنت على حال وخرجت ونحن نرى البِشر في وجهك فقال: "وما يمنعني وقد أصلحت بين أحب اثنين إليَّ.

موقف الرسول من خطبة علي

رُويَ أن عليًّا ﵁ خطب بنت أبي جهل، فقد جاء بنو هاشم بن المغيرة -أبو جهل- يستأذنون رسول الله أن ينكحوا ابنتهم لزوج ابنته علي بن أبي طالب، وكان قد خطبها منهم، فلم يأذن، وقال على المنبر:

"إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوا أن ينكحوا ابنتهم عليًّا بن أبي طالب، فلا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم؛ فإنما ابنتي فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها". رواه مسلم.

وفي رواية أنه ﷺ قال: "أمَّا بعد، فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدَّثني، فصدقني، وإنَّ فاطمة بضعة مني، وأنا أكره أن يفتنوها، وإنها والله لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل واحد أبدًا" رواه مسلم.

فترك علي هذه الخطبة واسترضى زوجته وقال لها: "والله لا آتي شيئا تكرهينه أبدًا"

في غزوة أحد

وفي غزوة أحد خرجت السيدة فاطمة مع نساء المسلمين لمداواة الجرحى وسقايتهم، ولَّما رأت رسول الله وقد انكسرت رباعيته وسال الدم على وجهه الشريف، جرت عليه واعتنقته وأخذت تمسح الدم من على وجهه الشريف، ولَّما وجدته لا يتوقف حرقت حصيرًا ومنعت به الدم فامتنع، وأخذ رسول الله يقول: "اشتد غضب الله على قومٍ أدمَوا وجه رسولهم وهو يدعوهم إلى الله".

أولادها

وقد ولدت ﵂ لعلي ريحانتيْ رسول الله "الحسن والحسين" ﵄ وهما سيِّدا شباب أهل الجنة، وقد سمَّاهما رسول الله الحسن والحسين، ونحر لكل واحد منهما كبشًا وصنع لهما العقيقة، وفي العام الخامس من الهجرة ولدت ﵂ ابنتها زينب، ثم ولدت أم كلثوم ﵄.

ولما أنزل الله تعالى قوله: {إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرجس أَهْلَ البيت وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} دعا رسول الله ﷺ فاطمة وعلي والحسن والحسين وقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم فأذهب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيرًا" قالها ثلاثًا.

وكانت ﵂ تشبه والدها ﵇، فعن السيدة عائشة ﵂: جاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله، فقام إليها وقال: "مرحبا بابنتي"، وعن السيدة عائشة ﵂ أيضًا قالت: ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا برسول الله من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبَّلها ورحَّب بها، وكذلك كانت هي تصنع به.

مرض النبي

وعندما مرض النبي مرضه الأخير الذي تُوفي فيه، كانت ﵂ إلى جواره ملازمة له، ووقت احتضار النبي دخلت عليه وقد ألمَّ به المرض فحزنت وقالت: واكرب أبتاه.

فقال: ليس على أبيك كرب بعد اليوم. ثم كلَّمها في أذنها فبكت، ثم أسرَّ إليها أخرى فضحكت.

فعن عائشة ﵂ قالت: كنا أزواج النبي اجتمعنا عنده فلم يغادر منهن واحدة، فجاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله، فلمَّا رآها رحَّب بها وقال: "مرحبًا بابنتي" ثم أقعدها عن يمينه أو عن يساره، ثم سارَّها فبكت، ثم سارّها الثانية فضحكت، فلمَّا قامت قلت لها: خصَّك رسول الله بالسر وأنت تبكين، عزمت عليك بما لي عليك من حق لما أخبرتني ممَ ضحكت وممَ بكيت؟ قالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله، فلمَّا توفي قلت لها: عزمت عليك لما لي عليك من حق لما أخبرتِني، قالت: أمَّا الآن، فنعم. في المرة الأولى حدثني أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة وأنه عارضني العام في هذه السنة مرتين، وأني لا أحسب ذلك إلا عند اقتراب أجلي، فاتقي الله واصبري، فنِعم السلف لك أنا، وأنت أسرع أهلي بي لحوقًا" فبكيت، فلمَّا رأى جزعي، قال: "أمَا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء هذه الأمة" فضحكت.

وفاة النبي

فلمَّا مات رسول الله ﷺ بكتْه بكاءً شديدًا وقالت يومها: يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه في جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، وما شوهدت بعد ذلك ضاحكة حتى توفاها الله تعالى. ولَّما دُفن أقبلت فاطمة ﵂ على أنس بن مالك فقالت: يا أنس، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله.

وفاتها

وكانت ﵂ أقرب أهل بيت رسول الله لحوقًا به كما بشَّرها، فقد توفيت رضوان الله عليها بعد وفاة المصطفى ﷺ بستة أشهر، في العام الحادي عشر من الهجرة.

فعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: "عَاشَتْ فَاطِمَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَدُفِنَتْ لَيْلًا". وَصَلَّى عَلَيْهَا العَبَّاسُ، وَنَزَلَ فِي حُفْرَتِهَا هُوَ وَعَلِيٌّ وَالفَضْلُ ﵃.

وعَنِ أُمِّ جَعْفَرٍ أَنَّ فَاطِمَةَ قَالَتْ لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: إِنِّي أَسْتَقْبِحُ مَا يُصْنَعُ بِالنِّسَاءِ، يُطْرَحُ عَلَى المَرْأَةِ الثَّوْبُ، فَيَصِفُهَا. قَالَت أسماء ﵂: يَا ابْنَةَ رَسُوْلِ الله، أَلاَ أُرِيْكِ شَيْئًا رَأَيْتُهُ بِالحَبَشَةِ؟

فَدَعَـتْ بِجَرَائِـد (جريد النخل) رَطْبَـةٍ، فَحَنَتْهَا، ثُمَّ طَرَحَتْ عَلَيْهَا ثَوْبًـا. فَقَالَتْ فَاطِمَة ﵂: مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلَهُ! إِذَا مِتُّ فَغَسِّلِيْنِي أَنْتِ وَعَلِيّ، وَلاَ يَدْخُلَنَّ أَحَدٌ عَلَيَّ.

وهذا لحيائها الشديد وخجلها أن تُكشف على أحد.

رضي الله عن السيدة فاطمة أم أبيها وعن آل بيته أجمعين إلى يوم الدين.

ذات النطاقين

ابنهـا دخـل عليها وهي عجوز كفيف وهو في أزمة اشـتدت عليه، شـكا خـذلان الناس له وخروجهم إلى الحجاج، حتى أولاده وأهله، وأنه لم يبقَ معه إلا اليسير، ولم يبق لهم صبر ساعة، والقوم "ويقصد الأمويين" يعطونه ما شـاء من الدنيا. فقالت: "يا بني، أنت أعلم بنفسـك، إن كنـت تعلم أنك عـلى حق وتدعو إلى حق فاصبر عليه، فقد قُتـل عليه أصحابك، ولا تمكّن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلكت من قُتل معك، وإن كنت على حق فما وهن الدين، وإلى كم خلودكم في الدنيا؟ القتل أحسن.. فدَنَا منها، قبَّل رأسها، وقال: لست أخشى القتل، وإنما أخاف أن يمثِّلوا بي.

قالت: ليس بعد القتل ما يخافه المرء فالشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ.

ولَّما خرج عبد الله من عندها قالت: "اللهم إني قد سـلَّمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت، فقابلني في عبد الله بن الزبير بثواب الصابرين الشاكرين".

هي أسـماء بنـت أبي بكر، شـخصيتها القوية جزءٌ صنعتـه الأحداث وجزءٌ صنعته المأسـاة، هـي ابنـة الصدِّيق الخليفة الأول للمسـلمين، وأخت أم المؤمنين عائشـة زوج رسـول الله. من السـابقات إلى الإسلام، أسلمت عن عمر لا يتجاوز الرابعة عشر بعد سبعة عشر إنسانًا دخلوا قبلها الإسلام.

لقبها

لُقِّبـت بـذات النطاقين؛ حيث شـقَّت نطاقها الذي كانت تربطه في وسـطها نصفين؛ نصف ربطـت به الزاد في رحلة هجرة الرسـول وصاحبه أبي بكر الصديـق، ونصف اتخذته نطاقًا على وسـطها، وكان النبـي يـرى ذلك كله، فسـمَّاها "أسـمـاء ذات النطـاقين"، وقال لها الرسـول: "أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة."

وهي زوجة الزبير بن العوام، ووالدة عبد الله بن الزبير بن العوام "أول مولود بعد الهجرة".

حُمِـل المولـود الأول إلى الرسـول فقبّله وحنَّكه، فـكان أول ما دخل جوف عبـد اللـه ريق الرسول الكريم، وحمله المسلمون في المدينة وطافوا به المدينة مهلِّليـن مكبِّرين.

قوَّتها

حين قرر الرسول الكريم الهجرة إلى المدينة، مصطحبًا معه صاحبه الأعز أبا بكر الصدِّيق، فخرجا، ولَّما عرفت قريش ذهبت إلى بيت أبي بكر وطرقوا الباب في عنف، فخرجت أسماء إليهم، وسألها أبو جهل: أين أبوك؟ قالت: لا أعلم. فلطمها لطمة على وجهها طرحت منه قِرطها. وعندما علم جدها أبو قحافة ذهب وسألها: ماذا ترك لكم أبوكم؟ وكان الصدِّيق قد أخذ ماله كله، لكن أسماء قالت: ترك لنا خيرًا كثيرًا، وكان أبو قحافة لا يُبصر لكنه أراد أن يتأكد بنفسه، فعمدت أسماء إلى أحجار فجعلتها في كوّة البيت، وغطت عليها بثوب، ثم أخذت بيده، ووضعتها على الثوب، فقالت: هذا تركه لنا، فقال: أمَا إذ ترك لكم هذا، فنعم.

حياتها

كانت حياة شاقة، فقد تزوجها الزبير بن العوام ابن عمة النبي وكان فقيرًا، وفي الوقت نفسه به شدة في طبعه عانت منه السيدة أسماء، لكنها احتملت وصبرت.

مأساتها

أكثر الذي آلم السيدة أسماء كان موت ابنها عبد الله بن الزبير وصلْبه على يد بني أمية، وعبد الله كان حبيبها، ابنها الأول، وفتى المدينة الأول؛ فقد كان أول مولود للمسلمين في المدينة، لكن بني أميَّة أرادوا أن يحوِّلوا الخلافة إلى "ملك عضوض"، ورفض الأحرار ومنهم الحسين وابن الزبير ذلك، فقُتل الحسين في كربلاء ٦١ هجرية، وفي سنة ٧٣ هجرية قُتل عبد الله بن الزبير وصُلب.

تصدِّيها للحجاج

روى مسلم عن أبي نوفل، رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة، فجعلت قريش تمرُّ عليه والناس حتى مرَّ عليه عبد الله بن عمر، فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا خبيب (كنية عبد الله بن الزبير)، السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، أمَا والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا، أمَا والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أمَا والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا، أمَا والله إن كنتَ -ما علمتُ- صوَّامًا، قوَّامًا، وصولًا للرحم، أمَا والله لأُمَّةٌ أنت أشرُّها لأَمَّةُ خيرٍ، ثم نفذ (انصرف) عبد الله بن عمر.

فبلغ الحجَّاجَ موقفُ عبد الله وقولُه، فأرسَلَ إليه، فأُنزل عن جذعه، فأُلقي في قبور اليهود، ثم أرسل إلى أمِّه أسماء بنت أبي بكر، فأبت أن تأتيَه، فأعاد عليها الرسول: لتأتيني أو لأبعثنَّ إليك مَن يسحبك بقرونك (يجرُّك بضفائر شعرك)، فأَبَت وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث إليَّ من يسحبني بقروني، فقال: أروني سِبْتَيَّ (نوع من النعال) فأخذ نعليه، ثم انطلق حتى دخل عليها فقال: كيف رأيتِني صنعتُ بعدوِّ الله؟ قالت: رأيتك أفسدتَ عليه دنياه، وأفسَدَ عليك آخرتك.

بلَغَني أنك تقول له: يا ابن ذات النطاقين، أنا والله ذات النطاقين، أمَّا أحدهما فكنت أرفع به طعامَ رسول الله ﷺ، وطعامَ أبي بكر من الدواب، وأمَّا الآخَر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، أمَا إنَّ رسولَ الله ﷺ حدَّثنا: (أنَّ في ثقيف كذَّابًا ومبيرًا، فأمَّا الكذَّاب فرأيناه (المختار بن أبي عبيد الثقفي)، وأمَّا المبير (المهلك)، فلا إخالك (أظنك) إلا إياه، قال: فقام عنها ولم يراجعها؛ رواه مسلم.

وفاتها

ماتت أسماء بنت أبي بكر بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليالٍ، وكان قتله يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلةً خَلَت من جمادى الأولى سنة ثلاثٍ وسبعين" فكانت ﵂ خاتمةَ مَن مات من المهاجرين والمهاجرات، وقد بلغت من العمر مائة سنة ولم يسقط لها سنٌّ، ولم يُنكَر لها عقلٌ رحمها الله تعالى.

رحم الله أسماء بنت أبي بكر رحمةً واسعةً، وجزاها عن الإسلام خيرَ الجزاء، ﵂ وأرضاها وجمعنا بصحابيات رسول الله وبحبنا لهن في جنات النعيم.

حِجْرَ النبوة والإمامة

بلغني أن امرأة كانت حِجْرَ النبوة والإمامة، أول امرأة تهاجر إلى المدينة على قدميها، وراوية الأحاديث، هي فاطمة بنت أسـد بن هاشـم بن عبد مناف القرشـيَّة الهاشـميَّة، أم ربيب النبي الخليفة الراشـد علي بن أبي طالب ﷺ، نشـأت في الجاهليَّة بمكة، وتزوَّجت بأبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف، وأنجبت منه عليًّا ﷺ وإخوته، وكانت كأمٍّ لمحمد منذ صغره.

أسـلمت فاطمة بنت أسـد بعد عشرة من المسلمين، فكانت الحادية عشرة منهم والثانية من النساء، وهاجرت إلى المدينة.

إسلامها

لما نزل قول الله تعالى: "وأنذر عشيرتك الأقربين" دعا رسول الله قومه الأقربين للإيمان بالله تعالى، وكانت فاطمة بنت أسد ﷺ من المسارعين للإجابة، وكانت ﷺ تخفِّف عن الرسول بعد موت خديجة.

علاقتها بالرسول

لَمَّا كفل أبو طالب النبي بعد وفاة أبيه أشرفت فاطمة على تربيته، وبعد وفاة أبي طالب شرح الله صدرها للإسـلام، فبايعت الرسول وهاجرت إلى المدينة. كان النبي يكثر زيارتها، ويقيل في بيتها. فرحت فاطمة بزواج ابنها علي من فاطمة بنت رسول الله، وعاشت مع ابنها علي وزوجه في دار واحدة.

راوية الأحاديث

وكانت ﷺ راويةً للحديث؛ روت عن النبيِّ ﷺ ستَّةً وأربعين حديثًا، وكانت امرأةً صالحة، وذات صلاحٍ ودين.

سيرتها

كانـت أوّل امـرأة هاجـرت إلى رسـول اللهَ من مكّة إلى المدينـة على قدميهـا، وكانت من أبرّ

النّـاس برسـول اللهَّ، فسـمعت فاطمة رسـول اللهَّ وهو يقـول: "إنّ النّاس يُحشرون يـوم القيامة عُراة كما وُلدوا"، فقالت: واسوأتاه، فقال لها رسول الله: فإنّي أسأل اللهَّ أن يبعثك كاسية. كتاب الكافي.

وفاتها وفضلها

ماتت في نحو السـنة الخامسـة مـن الهجرة في المدينـة، وروى ابن عباس ﷺ: أنـه لمـَّا ماتت فاطمة أم علي ﷺ خلع رسـول الله قميصه وألبسـها إياه واضطجع معها في قبرها، فلمَّا سـوَّى عليها التراب قال بعضهم: يا رسـول الله، رأيناك صنعت شـيئًا لم تصنعه بأحدٍ، فقال ﷺ: "إِنِّي أَلْبَسْـتُها قَمِيـصِي لِتَلْبَسَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّـةِ، وَاضْطَجَعْتُ مَعَهَا فِي قَبْرِهَا لَيُخَفَّـفَ عَنْهَا مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، إِنَّهَا كَانَتْ أَحْسَنَ خَلْقِ اللهَّ إِلَيَّ صَنِيعًا بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ".

وعـن أنـس بن مالك ﷺ أنَّـه قال: لمـَّا ماتت فاطمة بنت أسـد بن هاشـم أم علي ﷺ دخل عليهـا رسـول الله فجلـس عند رأسـها فقال: "رحِمَكِ اللهُ يـا أمِّي، كنْتِ أمِّي بعـدَ أمِّي، تجوعين وتُشْـبِعيني، وتَعْرَينَ وتُكْسيني، وتَمْنعينَ نفسَـكِ طيِّبًا وتُطْعِميني تُريدين بذلك وجهَ الله والدَّارَ الآخـرةَ"، ثم أمر أن تُغسَّـل ثلاثًـا، فلمَّا بلغ الماء الذي فيه الكافور سـكبه رسـول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسـول الله ﷺ قميصه فألبسـها إيَّاه، وكفَّنها ببُرْد فوقه، ثم دعا رسـول الله أسـامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلامًا أسـود يحفرون، فحفروا قبرها، فلمَّا بلغوا اللحد حفره رسـول الله بيده وأخرج ترابه بيده، فلمَّا فرغ دخل فاضطجع فيه، فقال: "اللهُ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيـتُ وَهُوَ حَـيٌّ لَا يَمُوتُ اغْفِرْ لِأُمِّـي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَـدٍ وَلَقِّنْهَا حُجَّتَهَا وَوَسِّـعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" وكَبَّر عليها أربعًا، وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق ﷺ.

ودفنت في مقبرة البقيع. رحم الله السـيدة فاطمة بنت أسد وﷺا وعن الصحابيات أجمعين إلى يوم الدين.

أم هانئ

بلغني أن امرأة قد خطبها النبي فاعتذرت، تلك التي نشأت في بيت النبوة، أجارت رجلًا فأُجير، وقيل إن النبي أُسري به من بيتها.

السيدة "أم هانئ" ابنة عم النبي ﷺ، وأخت الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، اسمها فاختة بنت أبي طالب، وقيل هند. أبوها أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمها فاطمة بنت أسد بن هاشم.

زواجها

كانت قبل إسلامها قد تزوجت من هبيرة بن أبي وهب المخزومي، فولدت له سبعة من الأبناء والبنات هم: عمرة، وجعدة، وهانئ، ويوسف، وطالب، وعقيل، وجمانة. وفي يوم فتح مكة أسلمت "أم هانئ"، ولكن زوجها هبيرة لم يُسلم، وفرَّ إلى نجران وتفرَّق بينهما.

خطبها النبي

ذكر الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة" أن النبي ﷺ قد تقدَّم لخطبتها، ولكنها اعتذرت وقالت: "يا رسول الله، لأنتَ أحبُّ إليَّ من سمعي ومن بصري، وحق الزوج عظيم، فأخشى إن أقبلت على زوجي، أن أضيَّع بعض شأني وولدي، وإن أقبلت على ولدي أن أضيَّع حق زوجي!"

فقال النبي ﷺ: "خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ"(متفق عليه)

أجارت رجلًا فأُجير

جاء في كتاب المستدرك للإمام الحاكم ومسند النسائي والمعجم الكبير وغيرهم، أن النبي ﷺ دخل إلى منزلها يوم فتح مكة، فصلَّى عندها ثماني ركعات ضحًى.

فعن"أم هانئ" قالت: ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ يوم الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة تستره بثوب فسلمت، فقال: "من هذه؟"

قلت: أنا "أم هانئ" بنت أبي طالب، فقال: "مرحبًا" بـ "أم هانئ". فلما فرغ من غسله، قام فصلى ثماني ركعات ملتحفًا في ثوب واحد، فقلت: يا رسول الله، زعم ابن أمي -تعني عليًا- أنَّه قاتل رجلًا قد أجرته فلان ابن هبيرة، فقال: "قد أجرنا من أجرتِ" يا "أم هانئ". وذلك ضحًى.

راوية الأحاديث

وقد روت "أم هانئ" عن النبي ﷺ ستة وأربعين حديثًا، حسبما ذكر الإمام الذهبي في كتابه "سير أعلام النبلاء."

وفاتها

لم يُعرف تاريخ وفاة "أم هانئ" على وجه التحديد، ولكن ذكرت المصادر أنها عاشت لما بعد عام ٥٠ هجريًا. رضي الله عن أم هانئ وصحابة رسول الله أجمعين إلى يوم الدين.

شاعرة الهاشميات

بلغني أن امرأة سُـمِّيت "شـاعرة الهاشـميات" ومن أوائل المهاجرات، وهي أول امرأة تقتل يهوديًا.

هي صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله.

صحابيةٍ عُرفت بجرأتها وشـجاعتها وقوة شـخصيتها، وقد آمنت بالنبي منذ بدايات جهْره بالدعوة الإسلامية.

والدها عبد المطلب جد النبي، ووالدتها هالة بنت وهب أخت السيدة آمنة أم النبي، أخوها أسـد الإسـلام حمزة، وابنها الزُبير بن العوام حواري رسـول الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سلَّ سيفًا في الإسلام، وكانت من المهاجرات الأول.

إسلامها

كان إسـلام صفيـة ﵂ مبكـرًا. قـال الذهبي: والصحيح أنه ما أسـلم من عـمات النبي ﷺ سواها، ولا تنسى ﵂ ذلك اليوم الذي جمع فيه النبي ﷺ أقربائه بعد أن نزل قوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِـيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشـعراء:٢١٤]، وكانوا نحو أربعين شـخصًا، فدعاهم إلى الإسلام، ثم قـال لهـم: "يا معشر قريش، اشـتروا أنفسـكم مـن الله لا أُغني عنكم من الله شـيئًا، يـا بني عبد المطلب لا أُغني عنكم من الله شـيئًا، يا عباس بن عبد الله المطلب لا أُغني عنك من الله شـيئًا، يا صفية عمة رسـول الله لا أُغني عنك من الله شـيئًا، يا فاطمة بنت رسـول الله لا أُغني عنك من الله شيئًا" رواه البخاري.

هجرتها

هاجرت صفية ﵂ إلى المدينة مع ابنها الزبير ﵁، وقامت بأهم الأدوار في معارك المسلمين، ففـي غزوة أحـد كانت ﵂ في طليعة النسـوة اللاتي خرجن لخدمة المجاهدين وتحميسـهم على الجهاد ومداواة الجرحى.

أول امرأة تقتل يهوديًا في غزو الخندق

تحدثت هي عن نفسها ﵂، فقالت: أنا أول امرأة قتلت رجلًا، كان حسان معنا، فمر بنا يهودي فجعل يطيف بالحصن، فقلت لحسان: "إن هذا لا آمنُه أن يدل على عورتنا"، فقم فاقتله. قال: "يغفر الله لكِ! لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا"، فأخذت عمودًا، ونزلت، فضربته حتى قتلته. وقد أسهم لها النبي من الغنائم كما يسهم للمقاتلين، فقد اعتبر دفاعها عن النساء في حصن فارع وقتلها لذلك اليهودي مشاركة في الجهاد، وشهدت ﵂ بعد ذلك غزوة بني قريظة.

وفاتها

توفيت ﵂ في خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين من الهجرة وهي بنت ثلاث وسبعين سنة، وصلى عليها عمر بن الخطاب، ودُفنت بالبقيع. فرضي الله تعالى عنها وأرضاها، وعن الصحابيات أجمعين إلى يوم الدين.

الرميصاء

بلغني أن امرأة كانت أعظم نساء الأرض مهرًا، وأكثرهن بركة، خالة النبي من الرضاعة، وأم خادمه أنس بن مالك.. إنها الرميصاء أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، وتُلقَّب بالغميصاء أو الرميصاء، وقد أسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار، أختها أم ملحم بنت ملحان، وهي خالة النبي من الرضاعة وأم خادم رسول الله أنس بن مالك.

زواج أم سليم

تزوجت في الجاهلية مالك بن النضر، فلمَّا جاء الإسلام واستجابت وفود من الأنصار أسلمت مع السابقين إلى الإسلام، وعرضت الإسلام على زوجها فلم يقبل هدى الله، وخرج إلى بلاد الشام ومات في الطريق.

زواجها في الإسلام

كان زواجًا عجيبًا ولم يتكرر في التاريخ مثله؛ فعن أنس قال: "خطب أبو طلحة أم سليم ﵂ قبل أن يسلم فقالت: أمَا إني فيك لراغبة، وما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فذاك مهري، لا أسأل غيره". فأسلم وتزوجها أبو طلحة. فكانت بذلك أول امرأة جعلت مهرها إسلام زوجها، فصارت سببًا في دخول أبي طلحة في الإسلام، فحازت بذلك على الفضيلة التي وعد بها رسول الله ﷺ بقوله: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم".

أهم ملامح شخصيتها

- العقل والحكمة:

فقد كانت ﵂ من عقلاء النساء، وموقفها مع زوجها أبي طلحة يوم وفاة ولدها يدل على عقل راجح، وحكمة بالغة، وصبر جميل. فعن أنس ﵁ أن أبا طلحة ﵁ مات له ابن، فقالت أم سليم ﵂: لا تخبروا أبا طلحة حتى أكون أنا أخبره، فسجَّت عليه ثوبًا، فلما جاء أبو طلحة ﵁ وضعت بين يديه طعامًا فأكل، ثم تطيّبت له فأصاب منها فتلقت بغلام، فقالت له: يا أبا

طلحة، إن آل فلان استعاروا من آل فلان عارية، فبعثوا إليهم أن ابعثوا إلينا بعاريتنا، فأبوا أن يردوها. فقال أبو طلحة: ليس لهم ذلك؛ إن العارية مؤداة إلى أهلها. قالت: فإن ابنك كان عارية من الله، وإن الله قد قبضه فاسْتَرْجِعْ. قال أنس: فأُخبر النبي، فقال: "بارك الله لهما في ليلتهما".

الشجاعة والإقدام

فكانت تغزو مع رسول الله، ولها قصص مشهورة، منها ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح أن أم سليم ﵂ اتخذت خنجرًا يوم حنين، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر. فقال لها رسول الله ﷺ: "مَا هَذَا الخنْجَرُ؟". قالت:"اتخذتُهُ إن دنا مني أحد من المشركين بقرتُ به بطنه".

حب النبي واقتفاء أثره في كل شيء

فعن أنس بن مالك أن النبي دخل على أم سليم ﵂ بيتها، وفي البيت قربة معلقة فيها ماء، فتناولها فشرب مِن فِيها وهو قائم، فأخذتها أم سليم ﵂ فقطعت فمها فأمسكته.

العلم والفقة

ففي صحيح البخاري عن عكرمة أن أهل المدينة سألوا ابن عباس عن امرأة طافت ثم حاضت، قال لهم: تنفر. قالوا: لا نأخذ بقولك وندع قول زيد. قال: إذا قدمتم المدينة فسلوا. فقدموا المدينة، فكان فيمن سألوا أم سليم ﵂ فذكرت حديث صفية ﵂، أيْ قول النبي ﷺ لحفصة: "عَقْرَى حَلْقَى إِنَّكِ لَحَابِسَتُنَا، أَمَا كُنْتِ طُفْتِ يَوْمَ النَّحْرِ؟" قالت: بلى، قال: "فَلاَ بَأْسَ انْفِرِي".

من مناقبها وفضائلها

عن النبي ﷺ قال: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ".

ومما يدل على وفاء أم سليم بالعهد، ما روته أم عطية ﵂ قالت: "أخذ علينا النبي عند البيعة أن لا ننوح، فما وفت منا غير خمس نسوة: أم سليم، وأم العلاء، وابنة أبي سبرة، وامرأة معاذ، وامرأة أخرى"

من مواقفها مع الرسول

جاءت أم سليم ﵂ إلى رسول الله وسلم فقالت له وعائشة عنده: يا رسول الله، المرأة التي ترى ما يرى الرجل في المنام، فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه، فقالت عائشة: يا أم سليم، فَضَحْتِ النساءَ، تربت يمينك! فقال لعائشة: "بَلْ أَنْتِ فَتَرِبَتْ يَمِينُكِ، نَعَمْ، فَلْتَغْتَسِلْ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِذَا رَأَتْ ذَاكِ".

وقالت أم سليم ﵂ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مَا مِنِ امْرَأَيْنِ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلاَثَةُ أَوْلاَدٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلاَّ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ".

أم سليم وبشارتها بالجنة

فقد روى البخاري من حديث جابر بن عبد الله ﵁ قال: قال النبي: "رَأَيْتُنِى دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلاَلٌ. وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ". فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله، أعليك أغار؟

من كلماتها

قالت أم سليم ﵂ لما سمعت بقتل عثمان ﵁: "أمَا إنه لم يحلبوا بعده إلا دمًا".

وفاة أم سليم

توفيت في حدود الأربعين في خلافة معاوية ﵁، فرضي الله عن أم سليم وأرضاها.

أم رومان

بلغني أن امرأة من سيدات نساء الجنة، وهي أم سيدة نساء أهل الجنة، زوجة الصِّدّيق وأم الصِّديقة ﵃. هي أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب، وَاسْمُهَا "زَيْنَبُ بِنْتُ عَبْدِ دُهْمَانَ، أَحَدُ بَنِي فِرَاسِ بْن غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ". وقد ذكر ابن إسحاق أن اسمها زينب، وجاء في "الإصابة" أن اسمها دعد، ولكن الذي اشتهرت به كنيتها أم رومان. وهي (والدة) أمنا عائشة زوج النبي.

زواجها قبل الإسلام:

نشأت في منطقة السّراة من جزيرة العرب، وتزوجت عبد الله بن الحارث فولدت له الطُّفيل بـن عبـد الله، وكان زوجها يرغب في الإقامة بمكة أم القرى، فانتقل إليها وأقام مع أسرته فيها. وعلى ما جرت عليه عادة الحِلف في الجاهلية، رأى في أبي بكر خير حلف، فحالفه، وبقي هناك حتـى تـوفي، وخلّـف وراءه زوجة وطفلهـا دون معيل لهـما يعانيان الغربة والوحـدة، ولكن أم رومان لم تبقَ وحيدة لفترة طويلة.

فقد تزوجها الصِّدّيق ﷺ وعاشت في كنفه، حيث وجدت فيه كل الخصال الحميدة والمعاني الكريمة، وولدتْ له عبد الرحمن وعائشة زوج النبي. ولم تُخطئ أم رومان بقبولها الزواج من أبي بكر، فقد كان صاحب نجدة ومروءة وسخاء وكرم، وكان كما وصفه ابن الدِّغنّة لقريش لَّما همّ أبو بكر أن يهجر بلده: "أتُخرجون رجلا يُكسِب المعدوم، ويصلُ الرحم، ويحمل الكَلَّ، ويُقري الضيـف، ويعـين عـلى نوائب الدهر؟" وتظهر صفـات الصِّدّيق هذه بزواجه مـن أم رومان، إذ رحم حالها، وأحسن عشرتها، وأكرم ابنها الطفيل وربَّاه كأنه ولده.

إسلامها

أسـلمت أم رومـان بمكـة قديـمًا، ويشـاء الله أن يكون أبو بكـر الصديق سـابق الرجال إلى الإسلام، وكذا زوجة أبي بكر أم رومان التي سارعت إلى نطق شهادة التوحيد بعد أن أعلن أبو بكـر إسـلامه، ثم بايعـت النبي وهاجرت إلى المدينة مع أهل النبـي وأهل أبي بكر حين قدم بهم في الهجرة.

ولدت أم رومان لأبي بكر الصدِّيق عائشة وعبد الرحمن، وكان النبي يتردد على دار أبي بكر، فتتلقاه السيدة أم رومان بالسعادة الغامرة والبِشر والترحاب.

قالـت الصِّديقـة بنـت الصِّدّيـق حبيبة حبيـب الله المبرَّأة الطاهـرة: "لم أعقل أبـويّ إلا وهما يدينان الدين".

اختبار في ابنتها عائشة

تعرَّضت أم رومان لاختبار شـديد في قصة الإفك، فوقفت بجوار ابنتها في محنتها العصيبة. وتُروىَ لنا هذه المحنة فتقول: (بينما أنا مع عائشـة جالسـتان، إذ ولجت علينا امرأة من الأنصار وهي تقول فعل الله بفلان وفعل قالت: فقلت: لِمْ؟ قالت: إنه نَمَا ذِكر الحديث، فقالت عائشـة:

أي حديث؟ فأخبرتها، قالت: فسمعه أبو بكر ورسول الله؟ قالت: نعم. فخرَّت مغشيًّا عليها، فما أفاقت إلا وعليها حمى بنافض (أي برعشة) فجاء النبي فقال: ما لهذه؟ قلت: حمى أخذتها من أجل حديث تُحدِثَ به، فقعدت فقالت: والله لئن حلفت لا تصدقونني، ولئن اعتذرت لا تعذرونني، فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنِيه، فالله المستعان على ما تصفون). صحيح البخاري: جزء ٣ - صفحة ١٢٣٩.

فانصرف النبي فأنزل الله ما أنزل، فأخبرها فقالت: بحمد الله لا بحمد أحد.

وعندما قالت عائشة لأمها: أجيبي عني رسول الله.

قالت أم رومان رضي الله عنها: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

مكانتها عند النبي

وقد حظيت أم رومان بمكانة عظيمة في نفس الرسول ﷺ، وقد روت عن النبي ﷺ حديثًا واحدًا انفرد بإخراجه الإمام البخاري رحمه الله. وذكر ابن سعد أن النبي ﷺ كان يوصي أم رومان بعائشة ويقول: "يا أم رومان، استوصي بعائشة خيرًا واحفظيني فيها".

وفاتها

توفيت رضي الله عنها في السنة التاسعة من الهجرة، فنزل الرسول قبرها في البقيع واستغفر لها وقال: "اللهم إنه لم يخفَ عليك ما لَقيت أم رومان فيك وفي رسولك، فاللهم اغفر لها". (ابن حجر في الإصابة).

رضي الله عنها وأرضاها وعن الصحابة أجمعين إلى يوم الدين.

حاضنة النبي

بلغني أن امرأة كانت حاضنة النبي وأمه بعد أمه، صَاحَبَته من يوم مولده حتى وفاته ولم تفارقه، تزوجت حِبَّه وأنجبت حِبَّه وابن حِبِّه. إنها أم أيمن.

مكانتها

صحابية لها منزلتها العالية في قلب رسولنا الحبيب، واسمها "بركة بنت ثعلبة بن عمر الملقَّبة بأم أيمن الحبشية"، وهي الصحابية الوحيدة -ربما- التي حظيت بطول صحبة رسول الله من قبل ميلاده وطوال حياته، كانت معه وحوله، أحبته بالقول، وأحبته بالفعل فصدقت في الاثنين.

أم أيمن جارية

ولقد كانت جارية عند عبد الله والد الرسول، ولَمَّا تزوج عبد الله من السيدة آمنة بقيت "بركة" معهما تخدمهما.

أم أيمن قبل البعثة

عاشت ﷺ مراحل النبوة منذ بدايتها، فهي حاضنة الرسول، ورثها عن أبيه، وعاصرت نموه منذ ولادته ثم رضاعته في بني سعد وعودته إلى أمه لَمَّا بلغ الخامسة من عمره، وكانت معه حين أرادت السيدة "آمنة بنت وهب" أم النبي أن تزور بني النجار أخوال جده عبد المطلب بالمدينة، وعاصرته كذلك في رحلة العودة الأليمة التي فقد فيها أمه، فعادت به إلى مكة المكرمة كي يكون في رعاية جده عبد المطلب.

إسلامها

أعتقها رسول الله عندما تزوَّج بخديجة، ولقد أسلمت مبكرًا مع آل البيت، وتزوجها عبيد بن الحارث الخزرجي، فولدت له: أيمن، وقد أسلم أيمن وكانت له هجرة وجهاد، واستشهد في غزوة حنين، وتُوفي زوجها عبيد وقيل إنه استشهد في إحدى الغزوات.

زواجها

تزوجها زيد بن حارثة حِب رسـول الله، فولدت له أسـامة بن زيد، وكان أسامة فخر الابن لأمه؛ فقد بعثه رسول الله إلى الشام وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، فأصبحت بذلك زوجًا لحِـب النبـي زيد بن حارثة، وأمًا للشـهيد "أيمن بن عبيد الخزرجي"، وأمًّا لفارس من فرسـان الإسلام، وهو الحِب بن الحِب "أسامة بن زيد" ﷺ .

هجرتها

هـي مـن المهاجـرات الأوائل، ومـن مناقبها أنه لَّما أذن الرسـول بالهجرة إلى المدينـة المنورة هاجرت أم أيمن ﷺ، وعطشت في الطريق وكادت تهلك، لولا أن الله أكرمها.

تقول ﷺ: "تدلَّى لي دلو من السـماء فيه ماء برشـاء أبيض، فأخذته وشربت منه حتى رُوِيَت، فما أصابني بعد ذلك عطش، وإنني كنت لأصوم في اليوم الحار فما أعطش"

أم أيمن مع النبي

لم تفارق أم أيمن رسـولنا الكريم فأصبحت أمه بعد أمه، وقد كانت تلاطفه، كما كان النبي يمازحها كثيرًا ويستأنس بالحديث معها، وكان حريصًا على زيارتها من آن إلى آخر.

فعن أنس بن مالك ﷺ يقول: "ذهبت مع النبي ﷺ إلى أم أيمن نزورها، فقربتْ له طعامًا أو شرابًا، فإمَّا كان صائمًا، وإمَّا لم يرده، فجعلت تخاصمه؛ أي: كُلْ (تُصر على أن يأكل). مسلم.

وفي رواية: فأقبلت تضاحكه وكان الرسول ﷺ يبتسم لتصرفاتها ويهش لها.

أم أيمن مجاهدة

رغـم كبر سـنها، فقد أبت إلا أن تشـارك في الجهـاد مع النبي، ففي غـزوة أحد خرجت مع النساء، وكانت مهمتها مداواة الجرحى والاعتناء بهم وسقاية العطشى من المجاهدين، وكانت تحثـو الـتراب في وجوه الذين فـروا من المعركة، وتقول لبعضهم: "هاك المغزل وهات سـيفك" تسفيهًا منها لمن رجع وترك المعركة.

وفي غزوة خيبر خرج مع النبي عشرون امرأة كان من بينهن أم أيمن ﷺ.

أم أيمن الصابرة المحتسبة

في سريـة مؤتـة قُتل زيد بن حارثـة ﷺ، فتلقَّت أم أيمن نبأ استشـهاد زوجهـا وهي صابرة محتسـبة، ثم تأتي غزوة حنين ويقتل فيها ابنها أيمن، فتصبر وتحتسـب ابنها عند الله تعالى ابتغاء مرضاته، ولَمَّا تُوفي الرسـول وتسرَّب النبأ الفـادح وأظلمت على المدينة أرجاؤها وآفاقها بفراق رسول الله، قامت أم أيمن ﷺ حزينة تبكي على فراق رسول الله.

وقـد رُويَ عـن أنس ﷺ قـال: قال أبو بكر ﷺ بعد وفاة رسـول الله لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمـن نزورها كما كان رسـول الله يزورها، فلمَّا انتهينا إليها بكـت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله. فقالت: ما أبكي لأني لا أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيَّجتهما على البكاء.

وفاة أم أيمن

توفيت أم أيمن بعدما تُوفي رسـول الله بخمسـة أشـهر وقيل ستة أشـهر، ماتت ورسول الله راضٍ عنها.

رضي الله عنها وأرضاها وعن الصحابة أجمعين إلى يوم الدين.

مُرضعة الرسول

بلغني أن امرأة من بني سعد أرضعت خير خلق الله فصارت أمه بالرضاعة.

إنها حليمة السعدية، مرضعة الرسول.

وهي حليمة بنت أبي ذؤيب، واسم أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة، وهي أم النبي من الرضاعة، وزوج حليمة هو الحارث بن عبد العزى.

أَخْذَها للنبي وإرضاعه

عن حليمة ﵂ قالت: قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرُّضعاء في سنة شهباء، فقدمت على أتان قمراء كانت أذّمت بالركب، ومعي صبي لنا وشارف لنا، والله ما ننام ليلَنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ما يجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه، فقدمنا مكة، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله فإذا قيل: يتيم تركناه، وقلنا: ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه؟!

إنما نرجو المعروف من أب الولد، فأما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا، فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعًا غيري، فلم أجد غيره. قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى: والله إني لأكره أن أرجع من بين

صواحبي ليس معي رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه. فقال: لا عليك. فذهبت فأخذته، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحْلي فأقبل على ثدييَّ بما شاء من لبن، وشرب أخوه حتى رُوِيَ، وقام صاحبي إلى شارفي تلك فإذا بها حافل فحلب ما شرب وشربت حتى رُوِيَنا فبتنا بخير ليلة، فقال لي صاحبي: يا حليمة، والله إني لأراك أخذت نسمة مباركة.

وكانت ﵂ عندما وقفت على عبد المطلب تسأله رضاع رسول الله قال لها: من أنت؟ قالت: امرأة من بني سعد قال: فما اسمك؟ قالت: حليمة، فقال: بخ بخ! سعدٌ وحِلم، هاتان خِلَّتان فيهما غناء الدهر.

بعض ما حدث للنبي في بيتها

عن ابن عباس قال: خرجت حليمة تطلب النبي، فوجدته مع أخته، فقالت: في هذا الحر؟ فقالت أخته: يا أمه، ما وجد أخي حرًّا، رأيت غمامة تظلل عليه، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت، حتى انتهى إلى هذا الموضع.

وبينما هو يلعب وأخوه يومًا خلف البيوت يرعيان بَهْمًا لنا، إذ جاءنا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه: أدرِكا أخي القرشي؛ قد جاءه رجلان فأضجعاه وشقَّا بطنه. فخرجنا نشتد، فانتهينا إليه وهو قائم منتقع لونه، فاعتنقه أبوه واعتنقته، ثم قلنا: مالك أي بني؟ قال: أتاني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني ثم شقَّا بطني فوالله ما أدري ما صنعا. قالت: فاحتملناه ورجعنا به، قالت: يقول أبوه: يا حليمة، ما أرى هذا الغلام إلا قد أصيب، فانطلقي فلنردّه إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف. قالت: فرجعنا به، فقالت: ما يردُّكما به فقد كنتما حريصين عليه؟ قالت: فقلت: لا والله أن كفلناه وأدينا الحق الذي يجب علينا، ثم تخوفنا الأحداث عليه، فقلنا: يكون في أهله. فقالت أمه: والله ما ذاك بكما، فأخبراني خبركما وخبره. فوالله ما زالت بنا حتى أخبرناها خبره قالت: فتخوفتما عليه؟! كلا والله، إن لابني هذا شأنًا، ألا أخبركما عنه؟ إني حملت به فلم أحمل حملًا قط كان أخف عليَّ ولا أعظم بركة منه، ثم رأيت نورًا كأنه شهاب خرج مني حين وضعته أضاءت لي أعناق الإبل ببصري، ثم وضعته فما وقع كما يقع الصبيان، وقع واضعًا يده بالأرض رافعًا رأسه إلى السماء، دعاه والْحقا بشأنكما.

من مواقف حليمة السعدية مع الرسول

عن أبي الطفيل أن النبي كان بالجعرانة يقسم لحمًا، فأقبلت امرأة بدوية، فلمَّا دنت من النبي بسط لها رداءه فجلست عليه فقلت: من هذه؟ قالوا: هذه أمه التي أرضعته.

وقال ابن سعد في الطبقات: قدِمت حليمة بنت عبد الله على رسول الله مكة وقد تزوج خديجة، فتشكَّت جدب البلاد وهلاك الماشية فكلم رسول الله خديجة فيها، فأعطتها أربعين شاةً.

وقد رأت حليمة السعدية من النبي الخير والبركة، وأسعدها الله بالإسلام هي وزوجها وبنيها.

وفاة حليمة السعدية ﵂:

عمّرت ﵂ دهرًا ولم يُعرف تحديدًا سنة وفاتها.

سمية

بلغني أن امرأة كانت أول شهيدة في الإسلام، وكانت السابعة من أول سبعة اعتنقوا الإسلام في مكة.

هي الصحابية: سمية بنت خياط ﵂.

كنيتها: "أم عمار" كانت أمَةً لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي.

أول شهيدة في الإسلام

وهي ممن بذلوا أرواحهم لإعلاء كلمة الله عز وجل، وهي من المبايعات الصابرات الخيِّرات اللاتي احتملن الأذى في سبيل الله.

من أوائل من دخل الإسلام

فهي سابع سبعة ممن اعتنقوا الإسلام بمكة بعد الرسول ﷺ وأبي بكر الصديق وبلال وصهيب وخبَّاب وعمار ابنها وزوجها ﵃.

وقد ذاقوا أصناف العذاب، وأُلبسوا أدراع الحديد، وصُهروا تحت لهيب الشمس الحارقة.

عن مجاهد قال: أول شهيد استشهد في الإسلام سمية أم عمار. قال: وأول من أظهر الإسلام رسول الله، وأبو بكر، وبلال، وصهيب، وخبَّاب، وعمار، وسمية أم عمار.

صبرًا آل ياسر

ولقد عُذِّب آل ياسر أشد العذاب من أجل اتخاذهم الإسلام دينًا، ولكنهم صبروا على الأذى والحرمان الذي لاقوه من قومهم، فقد مُلئت قلوبهم بنور الله عزوجل. وقد كان الرسول يمر عليهم وهم يُعذّبون ويقول لهم: (صبرًا آل ياسر، صبرًا آل ياسر فإنّ موعدكم الجنة).

وبقيت سميّة ﵂ ثابتة على موقفها حتى تحت وطأة أشد العذاب، ونالت ﵂ الشهادة بعد أن طعنها أبو جهل بحرْبة بيده في قُبلها فماتت على إثرها، وكانت بذلك أول شهيدة في الإسلام، وكانت ﵂ حين استشهدت امرأة عجوز ضعيفة، ولكنها متمسكة بدينها، ثابتة

عليه، لا يزحزحها عنه أحد، وكان إيمانها الراسخ في قلبها هو مصدر ثباتها وصبرها على احتمال الأذى الذي لاقته على أيدي المشركين.

فرضي الله عن سمية وعن الصحابيات أجمعين إلى يوم الدين

عاتكة العدوية

بلغني أن امرأة لُقبت بزوجة الشهداء، تزوجت أربعة من الصحابة استشهدوا جميعًا حتى قال عنها عبد الله بن عمر: "من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة".

عاتكة العدوية

هي عَاتِكَةُ بنتُ زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيْل القُرَشية العَدَويّة، أخوها سَعِيد بن زَيْد أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهي ابنة عم عمر بن الخطاب.

زواجها من عبد الله بن أبي بكر

تزوَّجها عبدُ الله ابن أبي بكر الصّديق، وكانت حسناء جميلة ذات خلقٍ بارع، فأُولع بها وشغلته عن مغازيه، فعزم عليه أبوه حتى طلقها، ثم تبعتها نَفْسه. سمعه أبو بكر وهو يقول: أَعَاتِكُ لَا أَنْسَاكِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ وَمَا نَاحَ قَمَرِيٌّ الحَمَامِ المُطَوَّقُ. فرقَّ له، فأمره، فارتجعها.

ثم جعل لها طائفة من ماله على أن لا تتزوّج بعده، ثم شهد عبد الله الطّائف مع رسول الله فرُمي بسهم فمات، فتبتّلت وجعلت لا تزوّج، وجعل الرجال يخطبونها وهي تأبَى، فقال عمر لوليّها: اذكرني لها. فذكره لها فأبت عمر أيضًا.

زواجها من عمر بن الخطاب:

أرسل عُمر إلى عاتكة: إنّك قد حَرَّمْتِ عليك ما أحلّ الله لكِ فرُدِّي إلى أهله المال الذي أخذته وتزوّجي، ففعلت، فَخَطَبها عمر وتزوجها في سنة اثنتي عشرة من الهجرة، فأَوْلَمْ عليها، ودعا أصحابَ رسول الله.

وروى عبد الله بن عمر أنّها قبّلته وهو صائم فلم ينهها.

حدّثنا مالك عن يحيَى بن سعيد، أنّ عاتكة امرأة عمر بن الخطّاب كانت تقبّل رأس عمر وهو صائم فلم ينهها.

كانت تستأذنه إلى المسجد، فكان عمر يقول لها: قد عرفت هواي في الجلوس. فتقول: لا أدع استئذانك. وكان عمر لا يحبسها إذا استأذنته، فلقد طُعِن عمر وهي في المسجد. (الطبقات الكبرى).

كانت ﵂ من المهاجرات إلى المدينة، وكانت تُكثر الاختلاف (الذهاب) إلى المسجد النبوي.

زواجها من الزبير بن العوام

تقدَّم لها الزبير بن العوام ولم تكن تريد الزواج، ولكنه ألح عليها، وقد كان غيورًا جدًا عليها، حتى أنه كان يغار عليها إذا ذهبت إلى الصلاة بالمسجد، فاشترطت عليه ألا يمنعها من الصلاة في المسجد، فوافق، وقُتل عنها يوم الجمل.

ثم خطبها عليّ بن أبي طالب بعد انقضاء عِدّتها من الزّبير، فأرسلت إليه: إني لأَضِنُّ بك يا ابْنَ عم رسول الله عن القتل، فرجع عن خطبتها، وقال: من أحب الشهادة الحاضرة فليتزوج عاتكة.

زواجها من الحسين بن علي

وتزوّجها الحسين بن علي فكانت رفيقة كفاحه، ورحلت معه إلى الكوفة وصبرت صبرًا جميلًا، إلى أن قُتل الحسين بكربلاء، وكانت أول من رفع خدَّه من على التراب ولعنت قاتله.

وفاتها

وقد كان الحسين آخر أزواجها، وبعدها بفترة تُوفيت الصحابية الجليلة سنة ٤٠ للهجرة، بعد أن تزوجت خيار الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، ونالوا جميعًا الشهادة، فرحم الله المرأة العابدة عاتكة العدوية ﵂ وعن الصحابة أجمعين إلى يوم الدين.

الشفاء العدوية

بلغني أن امرأة سميت "بصاحبة النملة"، وقيل إنها كانت "قاضية الحسبة"، وأول معلمة في الإسلام، صاحبة رأي وثق بها عمر بن الخطاب وولَّاها حِسبة السوق. كانت نموذجًا للمرأة المثقفة المتعلمة ذات الشخصية القيادية.

"الشفاء بنت عبد الله العدوية القرشية" وكانت تلقَّب بأم سليمان. اسمها ليلى، والشفاء هو لقبها، لشهرتها بالنجاح فى رُقية المرضى وعلاجهم، وأيضًا بصاحبة النّملة، إذ دأبت على مداواة من مسّهم مرض النّملة الجلدي، أمَّا أشهر أسمائها إطلاقا فهو "الشّفاء".

إسلامها

أسلمت في مكة هي وزوجها أبو حفنة بن حذيفة، ثم هاجرت إلى المدينة حين أذِن الله تعالى بالهجرة.

وهي صحابية من فضليات النساء، كانت تكتب في الجاهلية، وأسلمت قبل الهجرة قديمًا، فهي من المهاجرات الأوائل.

اشتهرت بعلمها ومعارفها ودورها المؤثر فى دولة الإسلام منذ بداياتها قبل الهجرة وحتى بعدها، ولم تشتهر بحسبها ولا نسبها ولا زوجها على الرغم من أنها تنتسب إلى قبيلة كبيرة، فهي "بنت عبد الله بن عبد شمس بن عدي بن كعب القرشية العدوية"، وأمها هي بنت أخت جدة سيدنا محمد ﷺ لأبيه.

حازت لقبين مرتبطين بعلمها ومعارفها، حيث عُرفت الشفاء بأنها تداوي بعض الأمراض، أبرزها"النّملة"، وهي قروح تنتؤ في جانبي الجسد تبث شعورًا كدبيب النمل، كما كانت تخرج مع الرسول محمد في غزواته لتداوي جرحى المسلمين. وكانت شهرتها هذه من قبل الإسلام، حيث كانت شهيرة بالرُّقية وبأنها من القلائل الذين يجيدون القراءة والكتابة في أيام الجاهلية.

بعد الإسلام

وبعد أن دخلت "الشفاء" الإسلام وهاجرت مع النبي رفضت أن تمارس عملها السابق في الرُّقية قبل أن تستشير الرسول، فروى عنها ابن منده أنها ذهبت للرسول وقالت: يا رسول الله

إني كنت أرقي برُقَى الجاهلية وأردت أن أعرضها عليك. قال: "فاعرِضيها". قالت: فعرضتها عليه، وكانت ترقي من النملة، فقال: "اِرقِي بها وعلِّميها حفصة"

أول معلمة في الإسلام

وأصبحت بذلك أول معلمة في الإسلام وكانت تتولى بالإضافة إلى ذلك مهمة متابعة تعليم الصبيان، كما أن الرسول جعلها معلمة لزوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب، فعلمت أم المؤمنين حفصة بنت عمر الكتابة. إضافة إلى أنها كانت طبيبة مشهورة بمداواة الأمراض الجلدية في العصر النبوي.

رُويَ عن أبي خيثمة أنه قال: رأت الشفاء بنت عبد الله فتيانًا يقصدون في المشي ويتكلمون رُويَدًا، فقالت: ما هذا؟ قالوا: نسَّاك، فقالت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله ناسك حقًّا.

صاحبة النملة

استمرت "الشفاء" في عملها وعلاج المسلمين حتى لُقبت بـ "صاحبة النملة" في إشارة إلى قدرتها على علاج هذا المرض.

قاضية الحسبة

لم تشتهر "الشفاء" فحسب بقدرتها على العلاج ولا معرفتها القراءة والكتابة، وإنما أيضًا عُرفت بالعقل الراجح والاتزان.

يقول البعض: إن عمر بن الخطاب كان يُجل الشفاء ويقدرها، بل وينظر رأيها في مسائل كثيرة، حتى إنه ولَّاها على نظام الحسبة في السوق، وجعلها تفصل بين الناس في قضاياهم التجارية والمالية، فجرى وصفها بأول قاضية في الإسلام.

قد يكون هذا صحيحًا، لكن ما من مصدر واضح له.. يقول ابن حجر العسقلاني في "الإصابة في تمييز الصحابة: "إن عمرًا كان يقدم الشفاء في الرأي ويرعاها ويفضلها وربما ولَّاها شيئًا من أمر السوق.

ابن سعد، مثلًا، يقول في "الطبقات الكبرى": "يقال: إن عمر ولَّاها أمر السوق".

مع الرسول

كان النبي يزور زوجها، وينام نومة القيلولة في بيتها، وكانوا قد خصصوا له فراشًا وإزارًا لهذا الغرض.

وفاتها

رحلت الشفاء في خلافة عمر بن الخطاب، وقد توفيت تحديدًا عام ٢٠ للهجرة.

رضي الله عن الشفاء وعن سائر الصحابيات أجمعين إلى يوم الدين.

المجادِلة

بلغني أن امرأة شعرت بالقهر، شَكَتْ، فسمعها الله.

والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير

في بيت من بيوت المدينة

زوجها قال لها: أنت عليَّ كظهر أمي، يعني محرَّمة علي.

هي خولة بنت ثعلبة "المجادِلة"

زوجها أوس بن الصامت (أخو عبادة بن الصامت) ﷺ، وقد راجعته ﷺ في شيء أثار غضبه، فقال لها: أنت عليَّ كظهر أمي، أي محرَّمة عليّ، ثم بعد ذلك أراد أن يباشرها فأبت وامتنعت عنه، وذهبت إلى النبي ﷺ فشكت إليه، فنزل القرآن الكريم بآيات الظهار.

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (المجادلة ٢:١).

قال السعدي: "المظاهرة من الزوجة: أن يقول الرجل لزوجته: "أنتِ عليَّ كظهر أمي" أو غيرها من محارمه، أو "أنت عليَّ حرام."

روى أحمد وغيره عن خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَة ﷺ قالت: (وَاللَّهِ فِيَّ وَفِي أَوْسِ بْنِ الصَامِتِ أنزل الله عز وجل صدر سورة المجادلة، فقد جئت رسول الله ﷺ، فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، فجعلت أشكو إليه ﷺ ما ألقى من سوء خلقه، فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا خويلة! ابن عمك شيخ كبير، فاتقي الله فيه. فوالله ما برحت حتى نزل فيَّ القرآن، فقال لي رسول الله ﷺ: مُريه فليعتق رقبة. فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق. قال: فليصم شهرين متتابعين.

فقلت: والله يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام. قال: فليطعم ستين مسكينًا وسقًا من تمر. قلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده. فقال رسول الله ﷺ: فإنَّا سنعينه بعرق من تمر. فقلت: وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر. قال: قد أصبتِ وأحسنت، فاذهبي فتصدقي عنه،

ثم استوصي با ابن عمك خيرًا، ففعلت). أخرجه ابن حبان ـ وصحَّحه الألباني. عن عائشة ﵂ قالت: (تبارك الذي وسِعَ سمعُهُ كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفَى عليَّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ،

وهـي تقـول: يا رسـول الله، أَكَل شَـبابي، ونثرتُ له بَطنـي، حتَّى إذا كبُرَتْ سِـنِّي، وانقطع ولَدي، ظاهرَ منِّي، اللَّهـمَّ إنِّي أشـكو إليك. فما برِحَتْ حتَّى نزل جِبرائيل بِهَؤلاءِ الآيات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: ١).

دليل على حُسن تبعلها لزوجها وحرصها على عدم نشر أسرار بيتها إذ آثرت أن تسأل النبي بصوت خفيض لم تسمعه أمنا عائشة، فنزل فيها قرآنٌ يُتلى إلى يوم الدين.

رضي الله عن خولة وعن الصحابيات الكريمات وأَرض اللهم عنا معهم يا أكرم الأكرمين.

أم حرام

بلغني أن امرأة كانت صحابية أنصارية من أهل يثرب، أسلمت وحسُن إسلامها، وكانت من أوائل المسلمات في المدينة، وطلبت من النبي أن يدعو لها أن تكون من الغازين في البحر.

إنها أم حرام بنت ملحان من بني النجار الأنصارية الخزرجية، زوجة عبادة بن الصامت أحد النقباء الاثنا عشر يوم العقبة الأولى، أختها الصحابية أم سليم الأنصارية الملقَّبة بالرميصاء، وأخواها سليم وحرام استشهدا يوم بئر معونة.

قصة إسلامها

في مكة، وبالتحديد في موسم الحج، عرض الرسول نفسه على القبائل القادمة من أنحاء الجزيرة العربية، وكان من بين الذين لقيهم من أهل يثرب ومن بني أخواله بني النجار حرام بن ملحان أخو أم حرام، وعبادة بن الصامت زوجها، فشرح الله صدورهم له، وآمنوا بالله ربًّا وبمحمد نبيًّا، وفي العام المقبل وافى إلى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلًا، فلقوا رسول الله في العقبة وهي العقبة الأولى.

كان من بين النقباء الاثنا عشر عبادة بن الصامت، الذي عاد مع بقية صحبه ينشرون الدين في كل أنحاء المدينة، حتى لم يبق بيت فيها إلا وفيه من يقرأ القرآن. واعتنقت الأختان أم حرام وأم سليم الإسلام

واستجابتا بسرعة وشرعتا بتطبيق مبادئه وتعاليمه.

أهم ملامح شخصية أم حرام بنت ملحان

الشجاعة وحب الجهاد

طلبت من النبي أن يدعو لها أن تكون من الغازين في البحر برغم عدم خبرة العرب في حروب البحار، وساهمت في معارك أحد وحنين والخندق والفتح والطائف مع زوجها عبادة.

العلم والفقه ورجاحة العقل

قال عنها صاحب السِّيَر: كانت من علية النساء، حدَّث عنها أنس بن مالك وغيره.

من مواقف أم حرام بنت ملحان مع الرسول

عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُوْلُ الله مَا هُوَ إِلاَّ أَنَا وَأُمِّي وَخَالَتِي أُمُّ حَرَامٍ، فَقَالَ: "قُوْمُوا فَلأُصَلِّ بِكُمْ". فَصَلَّى بِنَا فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلاَةِ".

من الأحاديث التي روتها أم حرام بنت ملحان عن الرسول

"أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا، وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم".

شهدت أم حرام الصلح الذي جرى بين المسلمين وأهل قبرص، ومكث الجيش في قبرص مدة من الزمن تمكن فيها المسلمون من أن يبينوا لأهل قبرص من تعليمهم الدين الجديد، وعندما نادى المنادي بالرحيل، ركبت أم حرام ظهر بغلةٍ شهباء قرب زوجها عبادة ضمن قافلة المتوجهين إلى ساحل البحر في قبرص.

وفاة أم حرام بنت ملحان

ماتت شهيدةً وهي تجاهد في سبيل الله جهاد الدعوة وتبليغ الرسالة، لا تنحصر الشهادة في شهيد المعركة، بل هناك شهداء لم تطأ أقدامهم أرض المعركة ومع ذلك يُكتب لهم ثواب الشهادة، مِصداقًا لحديث رسول الله ﷺ: "من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد".(صحيح مسلم ١٩١٥).

فجأة جفلت بغلة أم حرام ورفعت قوائمها الأمامية وهي تصدر أصواتًا غريبة، وقعت أم حرام من على ظهر البغلة، وفاضت روحها إلى بارئها في ذلك المكان النائي عن الديار، وقد شاءت إرادة الرحمن أن تنال أم حرام ثواب الشهادة في سبيل الله على الرغم من أنها لم تُشهر سيفًا ولم تقاتل أحدًا.

في عام ٢٠ هجرية وفي خلافة معاوية ماتت أم حرام، فتوقف الجيش عن المسير إكرامًا لتلك الصحابية الجليلة وشُيّع جثمانها إلى مثواه الأخير بعد أن غُسِلت وكُفِّنت وصُلي عليها، هناك في أرض قبرص.

ضم ترابها جسد الصحابية الشهيدة، عاد الجيش أدراجه وبقي قبر أم حرام هناك في قبرص يذكِّر المسلمين إلى قيام الساعة بما تحمَّله سلفهم الصالح من مشاق وما تكبَّده من مصاعب وأهوال في سبيل نشر دين الله تعالى، وقد بقي قبر أم حرام في أرض قبرص شاهدًا على صحابية جليلة غزت في البحر واستشهدت في أرض الفتوحات في سبيل نشر دين الله. فارض اللهم عن أم حرام وعن الصحابيات أجمعين إلى يوم الدين.

أم السجَّاد

بلغني أن امرأة سميت ساقية المجاهدين وأم السجَّاد، هي حمنة بنت جحش بن رياب الأسدية، من بني أسد بن خزيمة، أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش ابنة عمة النبي، وأمها هي أميمة بنت عبد المطلب، كانت تكنى بأم حبيبة.

زواجها

وكانت زوجة مصعب بن عمير حتى قتل في يوم أحد، فتزوجها طلحة ابن عبيد الله، فولدت له محمد.

إسلامها

قال أبو عمر فى الاستيعاب: "كانت من المبايعات، وشهدت أحدًا، فكانت تسقي العطشى، وتحمل الجرحى، وتداويهم". وقال ابن سعد: "أطعمها رسول الله من خيبر ثلاثين وسقًا"، وهي والدة محمد بن طلحة المعروف بالسجَّاد.

عبادتها

عُرف عن حمنة اجتهادها في العبادة، فيرُويَ الإمام أحمد في مسنده أن النبي رأى حبلًا ممدودًا بين ساريتين في المسجد، فقال: "لمن هذا؟"، قالوا: "لحمنة بنت جحش، فإذا عجزت تعلقت به"، فقال: "لتصلِّ ما طاقت، فإذا عجزت فلتقعد".

مواقفها مع الرسول:

يرُويَ محمد بن عبد الله بن جحش قال: قام النساء حين رجع رسول الله من أُحد يسألن الناس عن أهليهن فلم يخبرن حتى أتين النبي، فلا تسأله امرأة إلا أخبرها، فجاءته حمنة بنت جحش، فقال: "يا حمنة، احتسبي أخاك عبد الله بن جحش" قالت: "إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، رحمه الله وغفر له". ثم قال: "يا حمنة، احتسبي خالك حمزة بن عبد المطلب" قالت: "إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله وغفر له"، ثم قال: "يا حمنة، احتسبي زوجك مصعب بن عمير"،

فقالت: "يا حرباه" فقال النبي: "إن للرجل لشعبة من المرأة ما هي له شيء" قال محمد بن عمر في حديثه: وقال لها النبي:"كيف قلت على مصعب ما لم تقولي على غيره؟"، قالت: "يا رسول الله ذكرت يُتم ولده".

ولَّما ولدت حمنة بنت جحش محمد بن طلحة بن عبيد الله جاءت به إلى رسول الله فسمَّاه محمدًا وكنَّاه أبا سليمان.

صاحبة فتوى الاستحاضة

هي التي أتت الرسول فسألته عن حيضة شديدة منكرة، فأفتاها وصار حكمًا شرعيًا يُعرف بالاستحاضة.

راوية الأحاديث

مما روته حمنة بنت جحش عن رسول الله:

"ألا إن الدنيا حلوة خضرة، فرب متخوض في الدنيا ليس له يوم القيامة إلا النار."

رضي الله عن حمنة وعن الصحابة أجمعين إلى يوم الدين.

بريرة

بلغني أن امرأة أُعتقت فخُيّرت في زوجها فرفضته.

إنها بريرة، مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق، كانت مولاة لبعض بني هلال فكاتبوها، ثم باعوها من عائشة.

أهم ملامح شخصيتها

كان لها نصيب وافر في خدمة السيدة عائشة ورسول الله، وكذلك في الجهاد في سبيل الله، حيث كانت تخرج مع السيدة عائشة تؤدي دورها مع الصحابيات الأخريات من سقاية المجاهدين، وتطبيب الجرحى، كما كانت ذات شجاعة نادرة وبطولة، وكانت بريرة مثالًا في الكرم والجود والعطاء، وعاشت صابرة مؤمنة تحافظ على دينها وإسلامها، وكانت حياتها مثال الزهد والتقوى والخوف من الله.

من مواقفها مع الرسول

في حادثة الإفك قبل نزول البراءة من الله، حيث إن الرسول سأل واستشار من حوله من الأصحاب والأقارب فيما يقال عن عائشة ﵂ قبل نزول القرآن بالبراءة، فدعا رسول الله بالجارية بريرة، فقال لها: "أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟" فقالت بريرة: "والذي بعثك بالحق، إني ما رأيت عليها أمرًا قط أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن (الدواجن) فتأكله".

مع مغيث زوجها

عن ابن عباس: إن زوج بريرة عبد أسود يقال له مغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي لعباس بن عبد المطلب: "يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثًا". فقال النبي: "لو راجعته". قالت: يا رسول الله، تأمرني؟ قال: "إنما أنا أشفع". قالت: لا حاجة لي فيه.

من مواقفها مع التابعين

عـن عبـد الملك بن مـروان قال: كنت أجالس بريـرة بالمدينة قبل أن أَلِي هـذا الأمر، فكانت تقـول: يـا عبد الملك، إني لأرى فيـك خصالًا، وخليق أن تلِي أمر هذه الأَمـة، فإن وليته فاحذر الدمـاء؛ فـإني سـمعت رسـول الله يقول: "إن الرجـل ليدفع عن بـاب الجنة أن ينظـر إليها على محجَمة من دم يريقه من مسلم بغير حق".

وفاتها

توفيـت الصحابيـة الجليلة بريرة ﵂ في زمن خلافة يزيد بـن معاوية، كما جاء ذكر ذلك في الطبقات لابن سعد، والمستدرك، والاستيعاب، وأسد الغابة، وأعلام النساء.

فرضي الله عن بريرة، وأدخلها فسيح جناته.

أم عمارة

بلغني أن امرأة كانت ثانية اثنتين بايعتا النبي في العقبة، وشهدت بيعة الرضوان، وقاتلت في أُحد وكل المشاهد حتى قُطعت يدها في اليمامة، ولمَّا استشهد ولدها قالت قولتها المشهورة: "لمثل هذا أعددته وعند الله احتسبته"، إنها "أم عمارة"

نسبها

هي أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن النجار، وهي أم حبيب وعبد الله ابني زيد بن عاصم.

شهدت أم عمارة، وزوجها زيد بن عاصم بن كعب، وابناها "حبيب وعبد الله ابنا زيد" العقبة، وشهدت هي وزوجها وابناها أُحد.

عن محمد بن إسحاق قال: وحضر البيعة بالعقبة امرأتان قد بايعتا؛ إحداهما نسيبة بنت كعب بن عمرو، وهي أم عمارة، وكانت تشهد الحرب مع رسول الله.

ملامح شخصية أم عمارة

حبها للنبي

ويظهر ذلك في القتال دونه يوم أحد، وأيضًا لما سألته مرافقته في الجنة. يقول النبي في غزوة أحد لزيد بن عاصم: "بارك الله عليكم من أهل البيت، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان رحمكم الله أهل البيت، ومقام ربيبك يعني زوج أمه خير من مقام فلان وفلان رحمكم الله أهل البيت" قالت: ادعُ الله أن نرافقك في الجنة فقال: "اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة" فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا.

صبرها

وذلك عندما قتل مسيلمة ابنها قالت: "لمثل هذا أعددته، وعند الله احتسبته".

وابنها حبيب هو الذي أرسله رسول الله إلى مسيلمة الكذاب الحنفي صاحب اليمامة، فكان

مسيلمة إذا قال له: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم. وإذا قال: أتشهد أني رسول الله قال: أنا أصمُّ لا أسمع. ففعل ذلك مرارًا فقطعه مسيلمة عضوًا عضوًا فمات شهيدًا .

جهادها

شهدت العقبة وبايعت ليلتها، ثم شهدت أُحدًا والحديبية وخيبر والفتح وحنين واليمامة، وشهدت بيعة الرضوان، وشهدت يوم اليمامة فقاتلت حتى قُطعت يدها.

مواقف أم عمارة مع النبي

في غزوة أحد

شهدت أم عمارة بنت كعب أحدًا مع زوجها غزية بن عمرو وابنيها، وخرجت تسقي الجرحى فقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسنًا، وجرحت اثني عشر جرحًا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف.

عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله يقول يوم أحد: "ما التفت يمينًا ولا شمالًا إلا وأنا أراها تقاتل دوني". يقصد نسيبة أم عمارة.

وعن أم عمارة بنت كعب الأنصارية أن النبي دخل عليها فقدمت إليه طعامًا، فقال: "كلي"، فقالت: إني صائمة، فقال رسول الله: "إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا" وربما قال:"حتى يشبعوا" .

وقالت أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يُذكرن بشيء. فنزلت هذه الآية: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب: ٣٥].

وفاة أم عمارة

توفيت أم عمارة في خلافة عمر رضي الله عنه ما عام ١٣ هـ.

رضي الله عنها وعن الصحابيات أجمعين إلى يوم الدين.

أم المحمدين

بلغني أن امرأة كانت بطلة الهجرتين، وزوجة ذي الجناحين، وزوجة الأخوين الشهيدين، والخليفتين الراشدين، وكانت تدعى أم المحمدين.

هي أسماء بنت عميس بن معد الخثعمية.

إسلامها

أسلمت أسماء بنت عميس قبل دخول النبي دار الأرقم بمكة، وبايعت وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب. فلم تتردد"أسماء بنت عميس"ابنة الحسب والنسب التى كانت عروسًا جديدة آنذاك في أن تترك كل شيء وتصاحب زوجها في هجرته، وهناك أنجبت له ثلاثة أولاد هم: عبد الله وعون ومحمد، وعاشت في الحبشة اثني عشر عامًا تنشر مع زوجها رسالة الإسلام، وفي ذلك الوقت كان الرسول ﷺ قد هاجر إلى المدينة المنورة، وحين استقر المسلمون في المدينة المنورة وبعد سبع سنوات من الهجرة رأى النبي الكريم أنه آن الأوان ليعود المهاجرون من الحبشة ويلحقوا بالنبي في المدينة المنورة.

صاحبة الهجرتين

ومرة أخرى لم يتردد جعفر وأسماء في تلبية دعوة الرسول، وعادا إلى المدينة المنورة مع أبنائهم، وقد كتب الله لهم أن يكون للمسلمين هجرة واحدة ولهم هجرتين، ومن هنا جاء لقب أسماء "ذات الهجرتين". وهي أخت ميمونة أم المؤمنين، وكانت تخدم فاطمة بنت النبي إلى أن تُوفيت وغسَّلتها وكفَّنتها.

ملامح من شخصية أسماء

عن أم جعفر أن فاطمة قالت لأسماء بنت عميس: إني أستقبح ما يُصنع بالنساء، يُطرح على المرأة الثوب فيصفها. قالت: يا ابنة رسول الله، ألا أريك شيئًا رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبًا، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله! إذا مت فغسِّليني أنت وعلي، ولا يدخلن أحد علي.

ويُروى أن سيدنا عمر بن الخطاب كان يزور ابنته أم المؤمنين حفصة، فرأى أسماء بنت عميس عندها بعد عودتها من الحبشة، فقال لها على سبيل الدعابة: يا حبشية، لقد سبقناكم بالهجرة. فغضبت وقالت: لقد صدقت، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعلِّم جاهلكم، وكنا البعداء الطرداء.. أمَا والله لآتين رسول الله ﷺ فلأذكرن له ذلك. وذهبت إلى النبي فقالت: يا رسول الله، إن رجالًا يفخرون علينا ويزعمون أنَّا لسنا من المهاجرين الأوَّلين. فقال: للناس هجرة واحدة، ولكم هجرتان.

استشهاد جعفر الطيار ذي الجناحين

وبعد العودة إلى المدينة المنورة شارك جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة مؤتة، واستشهد بها وحزنت عليه حزنًا عظيمًا، ولكنها رضيت بقضاء الله وأطاعت النبي حين أمرها

"يا أسماء لا تقولى فُجرًا ولا تضربي صدرًا" فكانت من الصابرين، فبشَّرها النبي بأن الله جعل لجعفر رضي الله عنه جناحين يطير بهما في الجنة.

وعن أسماء قالت: دخل عليَّ رسول الله فدعا بنيّ جعفر، فرأيته شمَّهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله، أبلغك عن جعفر شيء، قال: "نعم، قُتل اليوم"، فقمنا نبكي. ثم رجع فقال: "اصنعوا لآل جعفر طعامًا فقد شُغلوا عن أنفسهم".

عن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله: "ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب أو في الكرب: الله الله ربي لا أشرك به شيئًا".

أم المحمَّدين

وبعد استشهاد جعفر رضي الله عنه في السنة الثامنة من الهجرة، تزوجت "أسماء" سيدنا أبي بكر الصديق بعد وفاة زوجته أم رومان، وأنجبت منه محمدًا العام العاشر من الهجرة

ولذا سُميت أم المحمَّدين، وظلت معه حتى أصبح خليفة المسلمين، وعاشت معه خلال سنوات خلافته وحتى وفاته في العام الثالث عشر هجرية، وكانت نِعم الزوجة له، حتى أنه أوصى بأن تتولى هي غُسله وبالفعل نفذت وصيته.

زوجة الخليفتين

مرة أخرى ذاقت أسماء مرارة فقد الزوج، ولكنها تماسكت كي تتولى تربية أبنائها، وبعد

انقضاء عِدتها تزوجها علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، وأخو زوجها الأسبق "جعفر بن أبي طالب"، وذلك بعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء ﵂ فأصبحت بذلك زوجة الأخوَين، ولما تولَّى علي بن أبي طالب الخلافة أصبحت "زوجة الخليفتين" وولدت له يحيى وعونًا.

قال الشعبي: تزوج علي أسماء بنت عميس فتفاخر ابناها، محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، فقال كل منهما: أبي خير من أبيك، فقال علي: يا أسماء، اقضِي بينهما، فقالت: ما رأيت شابًا كان خيرًا من جعفر، ولا كهلًا خيرًا من أبي بكر، فقال علي: ما تركتِ لنا شيئًا، ولو قلت غير هذا لمقتُّك. فقالت: والله إنَّ ثلاثة أنت أخسهم لخيار.

زوجة الشهيدين

ثم وقعت الفتنة الكبرى وفيها قُتل ابنها "محمد بن أبي بكر"، واختبرت مرة أخرى نوعًا أقسى من الفقد والحزن، وكتمت أحزانها حتى شخب ثدياها دمًا، واستعانت بالصلاة والصبر على مصيبتها، وباستشهاد زوجها علي كرَّم الله وجهه أصبحت بذلك أسماء "زوجة الشهيدين"، ولم تتزوج حتى ماتت.

وبذلك تكون أسماء زوجة لثلاثة من المبشرين بالجنة: جعفر الطيار، وأبي بكر الصديق، وعلي ﵃.

وفاة أسماء بنت عميس

يقال إنها توفيت نحو أربعين هجرية، وقد روت خلال حياتها عن النبي ﷺ ٦٠ حديثًا. ﵂ وأرضاها.

فاطمة ابنة قيس

بلغني أن امرأة كانت نبيلة في طلاقها، نبيلة في نكاحها، روت قصة الجساسة، وكانت بطلة رواية طلاق "ألبتة"(أي الثلاث طلقات)، صاحبة قصة السُّكْنى والنَّفَقة. هي فاطمة بنت قيس بن خالد الأكبر القرشيّة الفهريّة، أخت الضحاك بن قيس، أمّها أميمة بنت رَبيعة بن حِذيْمِ.

صاحبة رواية الجساسة

كانت فاطمة من المهاجرات الأول، وكانت ذات جمال وعقل، وهي التي روت قصة الجسَّاسة بطولها فانفردت بها مطولة، رواها عنها الشعبي لَمَّا قدمت الكوفة على أخيها، وهو أميرها، وقيل إنها أكبر من الضحاك بعشر سنين.

وقصة الجساسة هي حديث طويل روته فاطمة بنت قيس عن النبي، وقد جعل الأئمة والحفاظ رواية النبي لهذه القصة من مناقب تميم ﷺ، ومن رواية الأكابر عن الأصاغر، كما فعل الحافظ ابن حجر في ترجمته في الإصابة (١/ ٣٦٨)، وفتح الباري (١٢/ ٤٦)، والإمام النووي في شرح مسلم.

قال الحافظ في الإصابة: "مشهور في الصحابة كان نصرانيًا، وقدم المدينة فأسلم، وذكر للنبي قصة الجساسة والدجال، فحدَّث النبي عنه بذلك على المنبر وعُدَّ ذلك من مناقبة".

وقال النووي عن الحديث:

"هذا معدود في مناقب تميم؛ لأن النبي روى عنه هذه القصة وفيه رواية الفاضل عن المفضول، ورواية المتبوع عن تابعه، وفيه قبول خبر الواحد".

عن فاطمِةَ بنتِ قيسٍ لَمَّا استشَارتِ النَّبيَّ من تنكِحُ، وقالت إنه خطبني معاويةُ وأبو جَهمٍ، فقالَ أمَّا معاويةُ فصعلوكٌ لا مالَ له، وأما أبو جَهمٍ فرجلٌ ضرَّابٌ للنِّساءِ، انكحي أسامة بن زيد فكرهته، ثم قال: انكحي أسامة فنكحته، فجعلَ الله فيه خيرًا واغتبطت.

الراوي: - المحدث: ابن تيمية - المصدر: مجموع الفتاوى.

الصفحة أو الرقم: ٢٨/ ٢٣٠ - خلاصة حكم المحدث: صحيح

صاحبة قصة طلاق ألبتة

في روايـة: أنّ أبا عَمـرو بن حفص طلّقها أَلْبَتَّة (أي ثلاث طلقـات طلاقًا باتًّا) وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير فتسخّطته فقال: والله ما لك علينا من شيء. فجاءت رسول الله فقال: "ليس لكِ عليه نفقة"، وأمرها أن تعتدّ في بيت أمّ شَرِيك.

بطلة قصة السكنى والنفقة

في رواية: عن أَبِي سَلَمَة قال: دخلت عليّ فاطمة بنت قيس قالت: أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد السُّـكْنى والنَّفَقة فقال: "يا فاطمة، إنّما السُّـكْنَى والنفقة التي لزوجها عليها رجعة، انتقلي إلى أمّ شَرِيك وَلاَ تَفُوتينا بنفسك".

عَـنْ فَاطِمَـةَ بِنْتِ قَيْسٍ، قَالَتْ: "طَلَّقَنِي زَوْجِي ثَلَاثًا، فَلَمْ يَجْعَلْ لِي رَسُـولُ اللهِ ﷺ سُـكْنَى، وَلَا نَفَقَةً".

في بيت فاطمة

اجتمع أصحابُ الشّورى عند قَتْل عمر بن الخطّاب، وخطبوا خُطَبهم المأثورة، قال الزّبير: وكانت امرأة نجودًا ــ والنّجود النبيلة ــ وفي طلاقها ونكاحها بعد سُنَن كثيرة مستعملة.

راوية الأحاديث

روت عـن النبـي ﷺ أحاديث، وروى عنها جماعةٌ منهم الشّـعبيّ، والنّخعي، وأبو سـلمة. رضي الله عن فاطمة والصحابة أجمعين إلى يوم الدين.

الخنساء

بلغني أن امرأة كانت شاعرة لها شخصية طاغية، من أبرع شعراء الرثاء، واشتهرت برثاء أخويها صخر ومعاوية.

الخنساء

نسبها: هي تماضر بنت عمرو السلمية، صحابية وشاعرة مخضرمة من أهل نجد، أدركت الجاهلية والإسلام، أسلمت وحسُن إسلامها.

اشتهرت برثائها لأخويها صخر ومعاوية اللذيْن قُتلا في الجاهلية، ولقّبت بالخنساء بسبب قصر أنفها وارتفاع أرنبته.

حالها في الجاهلية

ولدت قبل الإسلام وعاشت بعده، وكانت ذات حسب وجاه وشرف، واتصفت بجمالها الأخَّاذ، وكانت الخنساء الابنة الوحيدة ومحل رعاية أسرتها وخاصة أخويها صخر ومعاوية، حيث تكوَّنت لها شخصية طاغية. كانت عاقلة وحازمة، رفضت الزواج من دريد بن الصمة سيد بني جشم، وقد عرف فيها أبوها رجاحة العقل واتزان الفكر، ولهذا فلم يعارض على رفضها.

زواجها قبل الإسلام

تزوجت من روَّاحة بن عبد العزى الذي كان مقامرًا، حتى انفصلت في النهاية عنه ولها منه ابن اسمه عبد الله، ثم تزوجت مرداس بن أبي عامر السلمي، الملقَّب بالفيض لسخائه، ثم مات تاركًا للخنساء أربع أبناء هم: العباس وزيد ومعاوية وبنت اسمها عمرة.

إسلام الخنساء

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: "قدمت على رسول الله مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم".

الخنساء شاعرة

يغلب عند علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها، وكان بشار يقول: إنه لم تكن امرأة تقول الشعر إلا يظهر فيه ضعف، فقيل له: وهل الخنساء كذلك؟ فقال: تلك التي غلبت الرجال.

أنشدت الخنساء قصيدتها التي مطلعها

قذى بعينيك أم بالعين عوار أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

وسُئل جرير عن أشعر الناس فأجابهم: أنا، لولا الخنساء، قيل: فيم فضل شعرها عنك؟ قال: بقولها

إن الزمان وما يفنى له عجب أبقى لنا ذنبًا واستؤصل الرأس

الشجاعة والتضحية

موقفها يوم القادسية من استشهاد أولادها

حيث قالت: الحمد لله الذي شرَّفني باستشهادهم.

أثر الرسول في تربية الخنساء

مرت بحالتين متشابهتين، لكن تصرفها تجاه كل حالة كان مختلفًا مع سابقتها؛ أولاهما في الجاهلية، وثانيهما في الإسلام:

– أما الأولى، ففي الجاهلية، يوم سمعت نبأ مقتل أخيها صخر، فتوقدت جمرات قلبها حزنًا عليه، ونطق لسانها بمرثيات له بلغت عشرات القصائد، ومما فعلته حزنًا على أخويها "صخر ومعاوية" ما رُويَ عن عمر أنه شاهدها تطوف حول البيت وهي محلوقة الرأس، تلطم خديها، وقد علقت نعل صخر في خمارها.

– أما الثانية: فيوم نادى المنادي للدفاع عن الدين والعقيدة ونشر الإسلام، فجمعت أولادها الأربعة وحثتهم على القتال والجهاد في سبيل الله، لكن الغريب في الأمر يوم بلغها نبأ استشهادهم، فما نطق لسانها برثائهم وهم فلذات أكبادها، ولا لطمت الخدود ولا شقَّت الجيوب، وإنما قالت برباطة جأش وعزيمة وثقة: "الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم، وإني

أسأل الله أن يجمعني معهم في مستقر رحمته". حيث انتقلت من حال اليأس والقنوط والقلق إلى حال الرضا والطمأنينة واليقين.

من مواعظ الخنساء

كانت لها كلمات مع أولادها قبيل معركة القادسية قالت فيها:

"يا بنيّ، إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله غيره، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجَّنت حسبكم ولا غيَّرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية. يقول الله عزَّ وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" فإذا أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، وإذا رأيتم الحرب قد شمَّرت عن ساقها واضطرمت لظًى على سياقها وجلّلت نارًا على أوراقه، فتيمَّموا وطيسه، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة"

فلما وصل إليها نبأ استشهادهم جميعًا قالت: "الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته".

وفاة الخنساء

توفيت الخنساء أول خلافة عثمان سنة ٢٤هـ، وكان عمرها ٧١ سنة، وقد طافت شهرتها الآفاق. رحم الله الخنساء ورضي الله عنها وعن الصحابة أجمعين إلى يوم الدين.

الممتحنة

بلغني أن امرأة لُقِّبت بـ الممتحنة حسُن إسلامها
وصلَّت على القبلتين، صدقت فى هجرتها لله فنجَّاها

نشأتها

نشـأت فى بيتٍ شـديد العدواة للإسـلام وللنبـي، أبوها عقبة بـن أبي معيـط، كان يلقَّب بـ (أشقى القوم)؛ لأنه ألقى سلا الجزور (أمعاء الشاة) على ظهر رسول الله وهو يصلي في مكة.
وهـو من لفَّ رداءه وخنـق به النبي وهو يصلي حتى أُغمي عليه وكان دائمًا يؤذي النبي والمسـلمين.

صلَّت على القبلتين

إلا أن الله شاء أن تكون "أم كلثوم بنت عقبة بن أبي المعيط"هي الوحيدة فى بيتها من ينشرح صدرها للإسـلام وتؤمن حتى أنها كانت من أوائل من أسـلموا، وواحدة من المسـلمين الذين صلوا على القبلتين. كما كانت طالبة علم وصاحبة عقل وأدب وجمال.

غزوة بدر

وأتـت غـزوة بدر فقُتل أبوها عقبة بـن أبي معيط على الكفر، وبقيـت أم كلثوم في بيت أبيها وعمرهـا ١٧ عامًـا، وكانت جميلة، تقدَّم لخطبتهـا أشراف مكة وأغنى أغنيائهـا، كانت ترفض بحجة حزنها على أبيها وهي مسـلمة تكتم إيمانهـا وتعبد الله بين مئات الكفار. وتصبر أم كلثوم وحلمها أن تهاجر للنبي ﷺ في المدينة.

صلح الحديبية

يحـدث ما يغير موازيـن أم كلثوم، ويأتي صلح الحديبية، ويكون مـن شروط الصلح أن يرد النبي كل من يأتيه من مكة مسـلمًا، وتسـمع أم كلثوم بشروط صلح الحديبية فتبكي بكاء مريرًا لأنها فقدت الأمل بالهجرة للمدينة بعد هذا الشرط، ويشتد الخناق عليها فتقرر أن تهاجر حتى لو أرجعها النبي إلى مكة.

هجرتها

تعزم أم كلثوم على الهجرة إلى المدينة، وتسافر في الليل الدامس والطرقات الوعرة بين مكة والمدينة وهي تعلم أن النبي سيرجعها لمكة وقد تقتل إذا رجعت. وصلت بالفعل إلى المدينة فتحير النبي في أمرها؛ فالمروءة والأخلاق تمنعه من إرجاعها مكة، والعهد يُلزمه بإرجاعها.

آيات الممتحنة

اشتعلت المدينة كلامًا فكل الصحابة يرفضون إعادتها، بينما الرسول صامت ينتظر الوحي من السماء، فنزل جبريل عليه السلام بالوحي في أمر أم كلثوم بآيات سورة الممتحنة (يا أيها الذين أمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن، الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن .(آية ١٠ (الممتحنة).

ترتجُّ المدينة فرحًا؛ نزل أمر الله ألا تعود أم كلثوم إلى مكة، لقد قبلها الله سبحانه وتعالى وتستقبلها زوجات النبي وزوجات الصحابة، وستبقى في المدينة رغم أنف قريش، ثم يجزيها على صبرها وإيمانها ويجازيها خيرًا.

زواجها

تزوجت أم كلثوم الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأغنى أغنياء المدينة المنورة، وواصلت حياتها في المدينة وكانت أيضًا من رواة الحديث.

رضي الله عن الممتحنة أم كلثوم بنت عقبة وعن الصحابة أجمعين إلى يوم الدين.

أم الدرداء الصغرى

بلغني أن امرأة كانت عالمة فقيهة راوية للأحاديث، معلمة الخليفة، خطبها معاوية بن أبي سفيان فرفضته وفاءً لزوجها لتكون زوجته في الجنة.

أم الدرداء الصغرى

هي هجيمة بنت حُيي الوصَّابية الحميرية الدمشقية، من عابدات الشام، عالمة فقيهة من رواة الحديث.

زواجها

زوجها هو الصحابي الجليل "أبو الدرداء" أحد رواة الحديث المشهورين، وقد روت علمًا جمًّا عنه، كما روت أيضًا عن سلمان الفارسي وفضالة بن عبيد وكعب بن عاصم الأشعري وعائشة وأبي هريرة، وكانت لها مواقف عديدة سطرتها صفحات الكتب.

عالمة فقيهة محدِّثة

كانت قد عرضت القرآن على زوجها أبي الدرداء وهي صغيرة وطال عمرها، واشتهرت بالعلم والعمل الزاهد. وعن مكحول قال: "كانت أم الدرداء تجلس في صلاتها جلسة الرجل وكانت فقيهة".

عن أبي مرحوم قال: سمعت أم الدرداء تقول: "أفضل العلم المعرفة"، وقال عمير بن زيتون: "كتبت لي أم الدرداء في لوحي فيما تعلمني تعلموا الحكمة صغارًا".

قال ابن جابر وعثمان بن أبي العاتكة: "كانت أم الدرداء يتيمة في حجر أبي الدرداء، تصلي في صفوف الرجال، وتجلس في حلق القراء تعلم القرآن، حتى قال لها أبو الدرداء يومًا: الحقي بصفوف النساء" (نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء).

صابرة زاهدة

كان زوجها أبو الدرداء يعطي لها دروسًا وعِبرًا في حياتها، يُذكر أنها "كانت تشكو الحاجة وضيق اليد، بعد أن عاشت الغنى والثراء في الجاهلية، فكان أبو الدرداء يقول لها: تصبَّري يا

أم الـدرداء فإن أمامنا عقبة كئودًا - (أي: شـاقة أو صعبـة) -لا يجاوزها إلا أخف الناس حملًا، فتسكت أم الدرداء ولا تعاود الشكوى، وتدعو الله أن يخفف عنها عبء اليوم المشهود".

خطبها معاوية فرفضته

عـن لقـمان بن عامر عـن أم الدرداء أنهـا قالت: اللهم إن أبـا الدرداء خطبنـي فتزوجني في الدنيـا، اللهـم فأنا أخطبه إليك فأسـألك أن تزوجينه في الجنة، فقال لها أبـو الدرداء فإن أردت ذلـك فكنـت أنـا الأول فلا تتزوجـي بعدي، قـال: فمات أبو الـدرداء وكان لها جمال وحُسـن، فخطبها معاوية، فقالت لا والله، لا أتزوج زوجًا

في الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء إن شاء الله في الجنة.

عابدة صالحة

كانت أم الدراداء الصغرى إحدى عابدات الشام، والتي كان لها السبق في العبادة والصلاح، حتى قصدها الناس يتعلمون منها رقة القلب وخشوع الجوارح عند ذكر الله وقراءة القرآن، ولم تسـمع أم الدرداء هذه من النبي، ولكنها روَت عن زوجها أبي الدرداء، وروى عنها طلحة بن عبد الله بن كريز، قال: حدثتني أم الدرداء قالت: حدثني سيدي- تعني زوجها أبا الدرداء- أنه سمع رسول الله - يقول: "من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به: ولك بمثل".

قـال أبـو بكر البرقاني: وهذه أم الدرداء الصغرى، التي روت هذا الحديث وليس لها صحبة ولا سماع من النبي، وإنما هو من مسند أبي الدرداء.

معلمة الخليفة

عـن يحيى بن يحيى الغسـاني، قـال: "كان عبد الملك بن مروان كثيرًا مـا يجلس إلى أم الدرداء في مؤخر المسـجد بدمشـق" وعن عبـد ربه بن سـليمان قال:"حجت أم الدرداء في سـنة إحدى وثمانـين، قـال ميمون بن مهران: ما دخلت على أم الدرداء في سـاعة صلاة إلا وجدتها مصلية، وقال يونس بن ميسرة بن حلبس: كنا نحضر أم الدرداء وتحضرها نسـاء متعبدات يقمن الليل كله، حتى إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام.

ووصل الأمر إلى أن يستمع لها الرجال فيقرؤون عليها، ويتفقهون في الحائط الشمالي بجامع دمشق، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقتها يتفقه عليها وهو خليفة.

صبر المؤمنات

قال يحيى بن معين: ماتت الدرداء قبل أم الدرداء، فلمَّا دفنتها قالت: "اذهبي إلى ربك، وأذهب إلى ربي، فدخلت المسجد".

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا استَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"

فلو كان النساء كمثل هذي لفُضِّلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخرٌ للهلال

رحم الله أم الدرداء ورضي عنها وأرضاها وعن الصحابة أجمعين إلى يوم الدين.

خطيبة النساء

بلغني أن امرأة لُقبت بخطيبة النساء تمتلك من الحكمة والشجاعة والبلاغة الكثير، جاهدت في سبيل الله فقتلت تسعة من جنود الروم يوم اليرموك. إنها أسماء بنت يزيد بن السكن.

أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرؤ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث الأنصاريّة الأوسيّة ثمّ الأشهليّة، وتُكنّى بأمّ سلمة، وقيل: بأمّ عامر، ابنة عمّ معاذ بن جبل. عُرفت بحُسْن نُطقها، وبفصاحتها، وقوّة البيان والحُجّة والخَطابة لديها، وكانت ذات عقل ودين؛ فقد كانت تذهب إلى النبيّ بأسئلة النّساء ليجيب عنها.

إسلامها

أسلمت في العام الأول من الهجرة على يد الصحابي الجليل مصعب بن عُمير، (مصعب الخير)، ذكر ابن سعد صاحب "الطبقات" عن عمرو بن قتادة ﷺ قال: أول من بايع النبي أم سعد بن معاذ "كبشة بنت رافع" وأسماء بنت يزيد، وحواء بنت يزيد، وكانت أسماء تعتزّ بأنّها من اللاتي سبقن إلى مبايعة النبيّ، فكانت تقول: (أنا أوّل من بايع رسول الله ﷺ).

خطيبة النساء

عُرفت بأنها خطيبة النساء؛ لأنها كانت تدافع عنهن وتسأل عن حقوقهن، واشتهرت بمتابعة أمور دينها والتعرُّف على دقائق أموره، كانت تسأل النبي عن كل شيء، وقد زادت مكرُمتُها تلك بأن نهلت من القرآن الكريم والحديث الشريف ما استطاعت، مما جعلها بين نساء الأنصار متميزة.

مبعوثة النساء

أتت أسماء رسول الله وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، إني مبعوث من ورائي من جماعة نساء المسلمين، وكلهن يقُلن قولي، وعلى مثل رأي، إن الله تعالي بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك، ونحن -معاشر النساء- مقصورات، محصورات، قواعد بيوتكم ومقضَى شهوات الرجال، وحاملات أولادهم، وإن الرجال فُضلوا بالجمعة

والجماعات، وشهود الجنائز والجهاد في سبيل الله، وإذا خرجوا إلى الجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم، أنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت رسول الله، ﷺ، إلى أصحابه فقال: "هل سمعتم مقالة المرأة.. ما أحسن سؤالًا عن دينها من هذه؟"

فقالوا: بلى والله يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت، ﷺ، إليها فقال: "انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حُسنَ تبعُّل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته، يعدل كلّ ما ذكرت للرجال". فانصرفت أسماء وهي تهلِّل وتكبر استبشارًا بما قال لها رسول الله.

قوة إيمانها:

نشأت في أسرة عُرف أفرادها بالتضحية والجهاد؛ فأبوها هو يزيد بن السكن بن رافع الأنصاري، الذي اُستشهد يوم أحد، وفي تلك المعركة أوهنت وأضعفت الجرح زياد بن السكن عم أسماء، فقال رسول الله: أدنوه مني، فوسد قدمه فمات شهيدًا وخدّه على قدم النبي، ﷺ، كما استُشهد أيضًا في المعركة ذاتها أخوها عامر بن يزيد، الذي جعل جسده درعًا يدافع به عن الرسول، ﷺ، فنال الشهادة في سبيل الله. ومن العجيب أنه لما بلغها استشهادهم في غزوة أُحد، خرجت تطمئن على سلامة رسول الله وهو قادم من أُحد، وعندما رأته قالت: "كل مصيبة بعدك جلل و(هينة) يا رسول الله" وهذا دليل على قوة إيمانها وصبرها على البلاء.

روايتها للحديث

روت الصحابيّة أسماء بنت يزيد رضي الله عنها عن النبيّ ﷺ ٨١ حديثًا، وقد روى عنها ثلّة من كبار التابعين، رضي الله عنهم، كما روى عنها أصحاب السُّنن الأربعة؛ وهم: أبو داود،
والنّسائيّ، والترمذيّ، وابن ماجه، والإمام البخاريّ في الأدب المُفرد.

شجاعتها في الجهاد

شهدت أسماء بنت يزيد رضي الله عنها مع النبيّ غزوة الخندق وغزوة خيبر، وخرجت معه في غزوة الحديبية، وبايعت بيعة الرضوان، وفي السنة الثالثة عشرة من الهجرة النبويّة خرجت إلى بلاد الشّام لتشارك في معركة اليرموك في الشّام، وكانت مشاركتها مع النّساء من خلال سِقاية

الجرحى وتضميدهم، وفي ضرب مَن يَفِرّ من المعركة من جنود الإسلام، ومن القصص التي تُروى في شجاعتها أنّها اقتلعت عمود الخيمة وأخذت تضرب به رؤوس الروم حتى قتلت يومها تسعة من جنودهم.

ويكفيها شرفًا أن نزلت فيها آية حكم عِدة المطلقات، فقد أخرج أبو داود والبيهقي في سُننه عن أسماء بنت يزيد قالت: "طُلقت علي عهد النبي، ولم يكن للمطلقة عِدة، فنزل قوله تعالي: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾(البقرة: ٢٢٨). فكانت أسماء أول معتدة في الإسلام.

مهارة التزيين (التجميل)

كانت لها دراية بزينة النساء، فلقد زيَّنت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ﵂ يوم زفافها إلى رسول الله ﷺ.

وفاتها

توفيت (عام ٦٩ هجريًا)، أو في حدود السبعين هجرية، وقبرها في دمشق بالباب الصغير في خلافة عبد الملك بن مروان، ولكن تبقى أعمالها نورًا ونبراسًا لسائر نساء العالمين. فرضي الله عن أسماء وعن صحابة رسول الله أجمعين إلى يوم الدين.

ليلى العدوية

بلغني أن امرأة لقبت بـذات الهجرتين وصلّت إلى القبلتين وكانت أول ظعينة تدخل المدينة.

إنها ليلى بنت أبي حثمة القرشـية العدوية، أخت سـليمان بن أبي حثمة، وأم عبد الله بن عامر بن ربيعة، وهي من المهاجرات الأوائل.

إسلامها

أسـلمت هـي وزوجهـا قديمًا قبـل أن يدخل النبـي دار الأرقـم، وقبل الدعـوة فيها، وهي مـن المهاجـرات، حيث بايعت النبـي، وهاجرت الهجرتين مع زوجها عامر بـن ربيعة العنزي، وولدت له ابنه عبد الله بن عامر وبه كانت تكنَّى.

أول ظعينة

يقـال إنها أول "ظعينـة" -أي مهاجرة- تركب هودجًا وتدخـل المدينة، صلت إلى القبلتين، وكانـت راويـة للحديث، حيث روى عنها: الصحابية الشـفاء بنت عبـد الله وابنها عبد الله بن عامر، وكانت بارعة وذات فراسة كعادة العرب.

هجرتها إلى الحبشة

كانـت واحدة من النسـوة الأربع اللاتي هاجرن إلى أرض الحبشـة الهجـرة الأولى، هاجرت فـرارًا بدينهـا من فتنـة الاضطهاد ومعهـا زوجها عامر بـن ربيعة، وقبيل الانطلاق إلى الحبشـة التقت بعمر بن الخطاب وسـألها: "إِنَّهُ الِانْطِلَاقُ يَا أُمَّ عَبْدِ اللهِ؟" فأجابته: "نَعَمْ، وَاللهِ لَنَخْرُجَنَّ فِي أَرْضِ اللهِ، آذَيْتُمُونَـا وَقَهَرْتُمُونَـا حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَنَا مَخْرَجًا" فقال عمر: "صَحِبَكُمُ اللهُ" وحكت عن هذا الموقف بقولها: "وَرَأَيْتُ لَهُ رِقَّةً لَمْ أَكُنْ أُرَاهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ أَحْزَنَهُ فِيمَا أَرَى خُرُوجُنَا" وكانت تطمع في إسلامه رغم ما كان يتلقَّى المسلمون منه من البلاء والشّدّة عليهم.

وعندما رجع زوجها عامر أخبرته بما دار بينها وابن الخطاب، فقالت: لو رأيت يا أبا عبد الله وجه عمر وهو خارج من دارنا. فقال لها: أطمعت في إسلامه؟ قالت: نعم. فقال لها: والله لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب. قال ذلك وهو يائس من إسلامه لما رآه من غلظته وتشدُّده.

إسلام عمر

وما هي إلا أيام قليلة حتى ذهب عمر لرسول الله وأعلن إسلامه، فكانت هي ضمن أول الوفود المهاجرة للحبشة وكان عددهم اثني عشر رجلًا وأربع نساء بقيادة عثمان بن عفان ﷺ، وكان ذلك في شهر رجب في السنة الخامسة من البعثة، وكانت أول هجرة للمسلمين إلى أرض الحبشة.

هجرتها إلى المدينة

تعتبر ليلى بنت أبي حثمة أول ظعينة قدِمت المدينة، ويرى الآخرون أن أول ظعينة هي أم المؤمنين أم سلمة.

مواقفها مع الرسول

روى الليث بن سعد عن محمد بن عجلان، أن رجلًا من موالي عبد الله بن عامر حدَّثه عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله قاعد في بيتنا فقالت: هاك، تعال أعطيك شيئًا، فقال لها الرسول: "ماذا أردت أن تعطيه؟"، فقالت "أُعطه: تمرًا"، فقال: "أمَا أنك لو لم تعطِه شيئًا كُتبت عليك كذبة."

كانت لها مكانة مرموقة عند رسول الله فكان يزورها ويتفقدها، كما ظلت تؤدي دورها بين الصحابيات وكانت قدوة لغيرها من النساء، ولم يذكر التاريخ وفاتها، ولكن ظلت سيرتها عطرة، رضي الله عن ليلى وعن الصحابة أجمعين إلى يوم الدين.

صاحبة الشورى

رُويَ أن امرأة من آل البيت حفيدة النبي، وابنة خليفة المسلمين وأخت الشهيدين، الطاهرة، رئيسة الديوان وصاحبة الشورى..عقيلة بني هاشم وأم العزائم والعواجز والمساكين.

السيدة زينب الكبرى، بنت الإمام "علي بن أبي طالب" ﷺ، تُعرف السيدة زينب -"بنت أمير المؤمنين الإمام "علي بن أبي طالب" بن عبد المطلب ﷺ باسم "زينب الكبرى"، وأمّها السيدة "فاطمة الزهراء"، وهي أخت الشهيدين البطلين الحسن والحسين ﷺ.

وُلدت السيدة "زينب" ﷺ في حياة النبي في السنة الخامسة، ويُذكر في السادسة للهجرة، والرسول هو الذي سَمَّاهَا بهذا الاسم؛ إحياءً لذكرى ابنته السيدة "زينب" ﷺ.

قبل أن تتجاوز السيدة زينب الخامسة من عمرها، انتقل النبي إلى الرفيق الأعلى، وبعد أشهرٍ قليلة تبعته أمّها السيدة فاطمة الزهراء، وأوصتها قبل وفاتها بشقيقيها الحسن والحسين، أوصتها بأن ترعاهما وتصحبهما، وأن تكون لهما أمًّا بعدها، ومن ثم عاشت السيدة زينب ﷺ صباها بين هاتين المحنتين، انتقال، وقد هيّأتها هذه الأحداث التي مرّت بها في صباها لتحمل المشاق والمصاعب.

صاحبة الشورى

عرفت السيدة "زينب" ﷺ بأنها كانت امرأةً عاقلة لبيبة، اشتهرت ببلاغتها وشجاعتها، وكانت صوّامةً قوّامة، كان لها من قوة الإدراك ما كان يجعل أباها وإخوتها يرجعون إليها ويطلبون مشورتها.

زواجها

تزوجت السيدة "زينب" الصحابي الجليل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ﷺ فولدت له عليًّا وعونًا الأكبر وعبّاسًا ومحمّدًا وأمّ كلثوم. وكان للسيدة زينب درس حافل، وهو أنها عندما انشغلت بأمر الدعوة مع أخويها الإمامين الحسن والحسين رأت أنها لا تستطيع أن تجمع بين واجب الجهاد والواجبات الزوجية، فأذنت لزوجها عبد الله بن جعفر أن يتزوج.

كانت السيدة زينب ترى الحياة السياسية من وراء ستار، رأت والدها وهو يخوض المعارك: الجملَ ثم صِفّين، ثم محاربة الخوارج في النهروان، إلى أن استشهد سنة ٤٠ هـ، وبعده أخوها الإمام الحسن ﷺ.

صحبت السيدة زينب الإمامَ الحسين ﷺ وخرجت معه في رحلته إلى العراق، ولَمَّا تحرك الحسين بن علي مع عدد قليل من أقاربه وأصحابه، للجهاد ضد يزيد بن معاوية، فقد رافقته شقيقته زينب إلى كربلاء، ووقفت إلى جانبه خلال تلك الشدائد.

بطلة كربلاء

شهدت السيدة زينب كربلاء بكل مصائبها ومآسيها، وقد رأت بعينيها يومَ عاشوراء كلَّ أحبتها يسيرونَ إلى المعركة ويستشهدون، حيث قُتل أبناؤها وإخوتها وبنو هاشم أمام عينيها، وبعد انتهاء المعركة رأت أجسادهم بدون رؤوس وأجسامهم ممزقة بالسيوف، وكانت النساء الأرامل من حولها يندبن قتلاهن، وقد تعلق بهن الأطفال من الذعر والعطش، وكان جيش العدو يحيط بهم من كل جانب وقاموا بحرق الخيم، واعتدوا على حرمات النساء والأطفال، وبقيت صابرة محتسبة وقابلت هذه المصائب العظام بشجاعة كبيرة.

الأسيرة

وبعدما استُشهِد الإمام الحسين ﷺ وساقوا السيدة زينب أسيرةً مع السبايا والأسرى، وقفت السيدة زينب على ساحة المعركة تقول: "يا محمداه! يا محمداه! هذا الحسين في العراء، مزمَّلٌ بالدماء، مقطعُ الأعضاء. يا محمداه! هذه بناتك سبايا، وذريتك قتلى، تسفي عليها الرياح"، فلم تبقَ عين إلا بكت، ولا قلب إلا وجف.

ورُوِيَ أن السيدة "زينب" يوم استشهاد الإمام الحسين أخرجت رأسها من الخباء وهي رافعة عقيرتها بصوتٍ عالٍ تقول:

ماذا تقُولون إن قال النبيُّ لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخرُ الأُمَمِ

بِعِتْرَتي وبأهلي بعد فُرْقَتِكُمْ ... منهم أُسَارَى ومنهم خُضِّبُوا بِدَمِ؟

ما كَانَ هذا جزائي إذْ نَصَحْتُ لكم ... أن تخلفُوني بسوءٍ في ذَوِي رَحِمِي

رحلتها إلى مصر

رحلت السيدة "زينب" ﵂ إلى المدينة بعد أن مرت بأيام شِداد بعد المعركة، ثم خرجت منها إلى مصر لـمَا علمت من حب أهلها لأهل بيت رسول الله "ﷺ" فدخلتها في أوائل شعبان عام ٦١ هـ، ومعها أبناء الإمام الحسين فاطمة وسُكينة وعليّ زين العابدين ﵃، واستقبلها أهل مصر استقبالًا مهيبًا، واحتملها والي مصر (مَسْلَمةُ بن مخلد الأنصاري) إلى داره "مسجد السيدة زينب حاليًّا".

ووافقت على الإقامة بدار والي مصر تعلّم الناس وتُفقّههم أمور دينهم، وقد عُرف عنها تحليها بالعلم والتقوى، والشجاعة والإقدام، والبلاغة وقوة البرهان، ولها كنايات كثيرة منها "أم هاشم" كنّيت بأم هاشم لأنها حملت لواء راية الهاشميين بعد أخيها الإمام الحسين، و"صاحبة الشورى" لأن كثيرًا ما كان يرجع إليها أبوها وإخوتها في الرأى، و"عقيلة بنى هاشم" ولم توصف سيدة في جيلها أو غيره أو في آل البيت بهذا إلا السيدة زينب ﵂، و"الطاهرة" فقد أطلقه عليها الإمام الحسن أخوها عندما قال لها "أنعِم بك يا طاهرة حقًا إنك من شجرة النبوة المباركة ومن معدن الرسالة الكريمة"، وهذا عندما شرحت حديث رسول الله ﷺ: "الحلال بيِّن والحرام بيِّن".

كما لُقبت السيدة زينب بـ"أم العزائم"، فكانت تكنَّى عند أهل العزم بأم العزائم وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، و"أم العواجز" وقد كُنيت بهذه الكنية عندما شرفت مصر بقدومها وساعدت العجزة والمساكين، و"رئيسة الديوان" لأنها عندما قدمت مصر وكان الوالى وحاشيته يأتون إليها وتعقد لهم بدارها جلسات للعلم فيتفهموا الأمور الدينية في ديوانها وهي رئيسته.

وفاتها

اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاة السيدة "زينب"، ويرجِّح كثير من الباحثين أنها توفيت في سنة ٦٢ هـ، وذكر الكثير من المؤرخين وسِيَر الأخبار أنها توفيت ودُفنت في دمشق، ورأي آخر قال إنها دُفنت في القاهرة.

رحم الله المجاهدة الصابرة السيدة "زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وحفيدة رسول الله" رضي اللهم عنهم جميعًا.

الفدائية صاحبة الخيمة

بلغني أن امرأة من الأنصار كانت تُلقب بـ "الفدائية" و "صاحبة الخيمة"، وهي أول طبيبة جراحة في الإسلام، صاحبة أول مستشفى ميداني، والطبيبة الخاصة بسعد بن معاذ.. إنها رُفَيْدَةُ بنت سعد الأنصارية الأسلمية.

بايعت النبي بعد الهجرة، شهدت أحدًا واشتركت في غزوتي الخندق وخيبر، وكانت ﵂ قارئة، كاتبة، وصاحبة ثروة واسعة، حيث كانت تنفق على عملها هذا من حُرِّ مالها، وخالص ثروتها، متطوعة بالجهد والمال في سبيل الله.

صاحبة الخيمة

﵂، صاحبة الخيمة الطبية الأولى في التاريخ، أول طبيبة في الجراحات الدقيقة، استهوتها مهنة التطبيب والمداواة، وتفوّقت في ذلك حتى اشتُهر عنها، وعُرفت بين الناس، ووصلت سمعتها لأماكن كثيرة، وهي سيدة أنصارية ككثير من نساء الأنصار المتعلمات المتنورات، حتى إن السيدة عائشة مدحتهن فقالت: "نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ".

الفدائية

كان يُطلق عليها (الفدائية) لأنها كانت تدخل أرض المعركة تحمل الجرحى وتُسعف المصابين وتُشجِّع المجاهدين، أقامت خيمة طبية بدءًا من يوم "أُحد"، كانت تستضيف الجرحى، تضمِّد جراحاتهم، وتُسعفهم، وتسهر على راحتهم، وتواسيهم.

صاحبة أول مستشفى ميداني

كانت ﵂ تخرج في الغزوات، وتنقل معها خيمتها بكل متطلباتها وأدواتها واحتياجاتها فوق ظهور الجِمال، ثم تنصب خيمتها المجهزة في معسكر المسلمين، تشاركها العمل الصحابيات مثل نسيبة بنت كعب، الشهيرة بأم عمارة، لهذا تُعتبر خيمة رفيدة أول مستشفى ميداني.

طبيبة سعد بن معاذ

روى مسلم عن عائشة ﵂ أنها قالت: أُصيب سعد بن معاذ يوم الخندق بسهم أطلقه أبو أسامة الجشمي حليف "بني مخزوم "، فأمر الرسول ﷺ رفيدة أن تقيم خيمة في المسجد ليعوده من قريب.

وقال البخارى في الأدب المفرد: حدَّثنا أبو نعيم: قال: ولَّما أصيب أكحل سعد يوم الخندق فقيل: حوِّلوه عند امرأة يقال لها "رفيدة" كانت تداوي الجرحى، وكان رسول الله إذا مرَّ به يقول: كيف أمسيت، وإذا أصبح قال: كيف أصبحت، فيخبره، وقد ورد ذلك في التاريخ بقصة وفاة سعد، وسنده صحيح.

ورُفيدة، كما تواتر، أقيم لها خيمة خاصة وبارزة ملحقة بمسجد النبي ﷺ بصورة دائمة كمستشفى لعلاج المرضى والمصابين بجروح، وعلّمت ودرّبت فريقًا من الممرضات، وقسمتهُّن إلى مجموعات لرعاية المرضى ليلًا ونهارًا، أي إنها وضعت نظامَ تطبيب وتمريض يشبه الأنظمة الحديثة.

كانت تداوي الجرحى وتشرف بنفسها على خدمة من كان به جرح أو مرض من المسلمين، ولقد ذكر الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة" كيف أن رفيدة عندما رأت انغراس السهم في صدر سعد تصرفت بحكمة ووعي فأسرعت بإيقاف النزيف، ولكنها أبقت السهم في صدره لأنها كانت تعلم أنها إذا سحبته أو أخرجته سيُحدث نزيفًا لا يتوقف من مكان الإصابة.

وتقديرًا من النبي ﷺ لدور رفيدة ومجهودها في الحرب، كان يُعطي رفيدة حصة مقاتل، فقد ذكر أبوعمر عن الواقدي أنها شهدت "خيبر" مع رسول الله ﷺ فأسهم لها سهمَ رجل. رضي الله عن رفيدة وعن الصحابة أجمعين إلى يوم الدين.

هند بنت عُتبة

بلغني أن امرأة كانت عدوة للإسلام وتحوَّلت إلى مجاهدة في سبيل الله، إنها هند بنت عتبة.

هي هند بنت عُتبة، زوجة أبي سفيان بن حرب، وأم معاوية أول خلفاء بني أمية، وكانت في الجاهلية من ربَّات الحسن والجمال والفصاحة والبلاغة.

قبل الإسلام

كانت شديدة العداء للإسلام ورسوله، وزاد عداؤها لهما بعد مقتل أبيها وعمها وواحد من إخوتها في غزوة بدر على يد حمزة بن عبد المطلب، وقد أقسمت أن تأخذ بثأرهم.

في غزوة أحد

خرجت مع زوجها أبي سفيان، وكان قائد جيش المشركين ومعها ١٥ امرأة، وعندما التقى الجيشان قامت هند في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال ويحرِّضن على القتال، فقالت هند فيما تقول:

إن تُقبلوا نعانق ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

ثأرها من حمزة

وقفت هند وهؤلاء النسوة يمثِّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله، يجدعن -يقطعن- الآذان والأنوف حتى اتخذت من آذان الرجال وأنوفهم خلاخيل وقلائد، وأعطت خلاخيلها وقلائدها لعبد مقابل قتل حمزة، وعندما تمكن من قتله قامت ببقر بطنه فأخرجت كبده فلاكتها فلم تستطع أن تستسيغها فلفظتها، ثم وقفت على صخرة تقول:

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لي من صبر ... أبي وعمي وشقيق بكري

شفيت وحشي غليل صدري ... شفيت نفسي وقضيت نذري

إسلامها

أسلمت هند يوم فتح مكة وحَسُنَ إسلامها، وقد قالت لزوجها: إنما أريد أن أتبع محمدًا، قال: قد رأيتك تكرهين هذا الحديث أمس. قالت: إني والله ما رأيت أن عُبد الله حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إن باتوا إلا مصلين قيامًا وركوعًا وسجودًا. قال: فإنك قد فعلت ما فعلت، فاذهبي برجل من قومك معك.

فذهبت إلى عثمان بن عفان فاستأذن لها الرسول فدخلت عليه متنقبة، فلمَّا بايع رسول الله النساء وقال في البيعة: "ولا يسرقن ولا يزنين". قالت هند: وهل تزني الحرة وتسرق؟! فلما قال: "ولا يقتلن أولادهن". قالت: ربيناهم صغارًا وقتلتهم كبارًا. قال (ولا يسرقن) فشكت إلى رسول الله زوجها أبا سفيان أنه شحيح لا يعطيها من المال ما يكفيها وولدها، فقال لها رسول الله: "خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك وولدك."

ولما أسلمت هند ﵂ جعلت تضرب صنمًا لها في بيتها بالقَدُوم حتى فلذته فلذة فلذة، وتقول: كنا معك في غرور.

في خلافة عمر

في خلافة عمر بن الخطاب ولِي يزيد بن أبي سفيان الشام وجعل أخاه معاوية تابعًا له، فقال أبو سفيان لهند: كيف ترين؟ صار ابنك تابعًا لابني. فقالت: إن اضطرب حبل العرب فستعلم أين يقع ابنك مما يكون فيه ابني. فمات يزيد فولَّى عمر بن الخطاب معاوية موضعه، فقالت لمعاوية: والله يا بني إنه لقَل ما ولدت حرة مثلك وقد استنهضك هذا الرجل فاعمل بموافقته أحببت ذلك أم كرهته.

في معركة اليرموك

شهدت هند اليرموك وحرَّضت على قتال الروم وجعلت تقول: عضِّدوا القرآن بسيوفكم يا معشر المسلمين. وقد قيل لها: إن عاش معاوية ساد قومه، فقالت: ثكلته إن لم يسُد إلا قومه.

وفاتها

توفيت هند في خلافة عمر بن الخطاب في نفس اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر ﵁ سنة ١٤ هجرية.. رضي الله عن هند وعن الصحابة أجمعين إلى يوم الدين.

أم حارس رسول اللّه

رُويَ أن صحابية جليلة بايعت النبي هي أم حارس الرسول يوم بدر، وحامل راية الأنصار، وواحد من مجلس شورى النبي، وكانت أيضًا أم الشهيدين البطلين. أم حارس رسول الله، أم سعد بن معاذ، ابنها هذا هو الصديق الثاني بعد سيدنا أبي بكر ﷺ، وخليفة رسول الله على المدينة في غزوة بواط، إنها أم الأبطال، كبشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد الأنصارية الخدرية.

هي من المسلمات اللواتي سبقن إلى الإسلام عندما بدأ الانتشار إلى المدينة المنورة، وكان بيت هذه الصحابية منارة إسلامية رفيعة، انطلق منه الإسلام إلى المدينة المنورة بالكامل، وهي أم سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن لموته وشيَّعه سبعون ألفًا من الملائكة، وهي والدة سعد الذي حكم بحكم الله من فوق سبع سماوات.

سارعت أم سعد إلى إعلان إسلامها، وسعدت بنعمة الإيمان سعادة عظيمة، بل ازدادت سعادتها عندما أضحت دارها وقرًا ومكانًا لسفير رسول الله ﷺ، ومنها انبعثت نسمات الإيمان تعطِّر أرجاء المدينة والدنيا كلها.

- ذكر ابن الجوزي رحمه الله في صفة الصفوة، أنّ أول دار أسلمت من دور الأنصار دار بني عبد الأشهل، فأكرم بها من دار.

- وذكر ابن حجر رحمه الله في الإصابة فقال: أول من بايع النبي ﷺ أم سعد بن معاذ، وهي كبشة بنت رافع بن عبيد، وأم عامر بنت يزيد بن السّكن، وليلى بنت الخطيم.

وكم كان سرور أم سعد عظيمًا حينما ترامى إلى سمعها قول النبي ﷺ يذكر دارها ودور الأنصار بخير، فقال: (خير دور الأنصار بنو النّجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير).

أم الشهيدين

سجّل التاريخ لأم سعد صفات وفضائل كريمة، ومواقف إيمانية تشير إلى مكانة النبي العظيم في نفسها، وتقديم الأبناء شهداء في سبيل الله سبحانه وتعالى.

أمَّا في غزوة أحد، فقد خرجت أم سعد ﷺ مع من خرج من النساء ينظرن إلى سلامة رسول

الله ﷺ بعد أن وردت الأخبار إلى المدينة باستشهاد عدد من المسلمين، وكان من بين الشهداء ابنها عمرو بن معاذ رضي الله عنه، ولكن هذه الصحابية الجليلة كانت ترجو سلامة رسول الله، وأقبلت بسرعة نحو أرض المعركة، فلما رأت النبي سالمًا، حمدت الله، وقالت: أمَا إذ رأيتك سالمًا فقد أشوتِ (أي هانت) المصيبة، فعزَّاها النبي بابنها عمرو.

أم سعد بن معاذ الذي حكم بحكم الله من فوق سبع سماوات

حيث توجه النبي إلى بني قريظة الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله، وحكم النبي عليهم بحكم سعد بن معاذ الذي قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلهم وتُسبى ذراريهم وتقسَّم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: (لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله).

سعد بن معاذ الذي اهتز له عرش الرحمن

في غزوة الخندق عندما أصيب أكحل سعد، حوَّلوه إلى امرأة تداوي الجرحى، وكان النبي ﷺ يطمئن عليه كل فترة، وعندما مات، رضي الله عنه، قال الصحابة: ما حملنا يا رسول الله ميتًا أخف علينا منه: قال (ما يمنعه أن يخف وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم، قد حملوه معكم).

حزنت كبشة على موت ابنها حزنًا شديدًا، ولكن النبي ﷺ واساها خير المواساة عندما قال: (ألا يرفأ دمعك ويذهب حزنك، فإن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له العرش).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفُتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُم ضمة ثم أفرج عنه).

بشارتها بالجنة

قال الله تعالى: (الذين صبروا وعلى ربّهم يتوكلون)، هذه الصحابية الفاضلة ضربت أروع آيات الصبر والتوكل في تاريخ النساء، وكانت تحث على مرضاة ربها، ومرضاة نبيه، وتؤثر محبة رسول الله على كل غالٍ ونفيس من مال وولد، لقد صبرت عندما استشهد ولدها عمرو وأخوه سعد رضي الله عنهم.

وفي السُّنة إشارات كثيرة ودلائل واضحة تبشر بالجنة لمن صبر ابتغاء مرضاة الله.

وبعد، فهذه نفحات نديَّة من سيرة صحابية جليلة، فقد صبرت ابتغاء مرضاة الله عزَّ وجلَّ

فﷺ وأرضاها لأنها ضربت الأمثلة في الصبر والوفاء.

- وكان قدوم النبي ﷺ يواسيها في وفاة ابنها الذي حظي برضوان الله لأنه قدَّم روحه في سبيل الله، حيث قال النبي ﷺ لأم سعد: (يا أم سعد أبشري، وبشِّري أهلهم أن قتلاهم ترافقهم في الجنة جميعًا، وقد شفِّعوا في أهلهم جميعًا). قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: يا رسول الله ادعُ لمن خلفوا منهم. فقال ﷺ: (اللهم أذهب حزن قلوبهم، واجبُر مصيبتهم، وأحسن الخلف على من خلفوا).

وفاة أم سعد ﷺ

بعد أن كانت أم سعد خير الصحابيات والنسوة المؤمنات، توفيت لتلحق بأبنائها الشهداء في جنات النعيم، وصبرت على الشقاء عندما توفي أولادها في سبيل نصرة دين الله، توفيت كبشة بنت رافع، لكن سيرتها العطرة والصادقة لم تمت معها، وبقيت تشكِّل نورًا للأجيال القادمة.

وقد قال رسول الله ﷺ كمواساة للأمهات المؤمنات اللواتي فقدن أولادهن في سبيل نُصرة دين الحق: ما منكن امرأة تقدِّم بين يديها ثلاثة من ولدها، إلا كان لها حجابًا من

النار، فقالت امرأة: واثنين؟ قال: واثنين.

رضي الله عن أم سعد وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

المرأة التي سقتها السماء

رُويَ أن امرأة من السابقات في الإسلام حملت همَّ الدعوة حتى عُذبت وأوذيت.. وهي المرأة التي سقتها السماء.. وقيل إنها تلك المرأة التي وهبت نفسها للنبي.. إنها أم شريك.

إنها ليست فقط من السابقات في الدخول إلى الإسلام، بل هي أيضًا إحدى دعاته، إذ أسلمت وهي في مكة وكانت تدخل على نساء قريش تدعوهن سرًا إلى الإسلام حتى كُشف أمرها لأهل مكة. وقال ابن الجوزي في "صفوة الصفوة": إن اسمها غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية، وقيل عنها إنها هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ بعد وفاة زوجها وهجرتها إلى المدينة، فلم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت.

تعذيب أم شريك

تُرويَ أم شريك ما حدث عندما كشف أهل مكة سرها في دعوة نسائهن سرًا إلى الإسلام، إذ أخذها أهل مكة وردوها إلى قومها، إذ كانوا يخشون أن يلحقوا بها الأذى، ولكن قومها فعلوا ذلك.

المرأة التي سقتها السماء

فتقول أم شريك أنها حين عادت لقومها حملوها على بعير ليس تحتها شيء، وتركوها ثلاثة أيام لا يطعمونها ولا يسقوها، وكانوا إذا نزلوا منزلًا ربطوها وقيدوها تحت الشمس، واستظلوا هم منها، فمنعوها الطعام والشراب، وهنا حدثت لها معجزة السماء، فتقول: "فبينما هم قد نزلوا منزلًا وأوثقوني في الشمس واستظلوا منها، إذا أنا بأبرد شيء على صدري فتناولته، فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلًا، ثم نزع فرُفع، ثم عاد فتناولته فشربت منه، ثم رُفع، ثم عاد أيضًا فتناولته فشربت منه قليلًا ثم رُفع، قالت: فصنع بي مرارًا ثم تركت فشربت حتى رُويَت، ثم أفضيت سائره على جسدي وثيابي، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأوني حسنة الهيئة، قالوا لي: أتحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟ قلت: لا والله ما فعلت ولكنه كان من الأمر كذا وكذا، قالوا: لئن كنت صادقة لدينُك خير من ديننا، فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك".

وهبت نفسها للنبي

وعلى الرغم مما قيل إنها وهبت نفسها للنبي ولم يقبلها، إلا أن أبا نعيم الأصبهاني قد ذكر في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" أنها قد أقبلت إلى النبي ﷺ بعد تلك الحادثة ووهبت له نفسها بغير مهر، فقبلها ودخل بها، وقيل إن فيها نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ (الأحزاب:٥٠).

رضي الله عن أم شريك وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

المجاهدة

رُويَ أن امرأة أسلمت وبايعت النبي وكانت مجاهدة شجاعة فقلَّدها النبي قلادة لم تفارق صدرها حتى دفنت معها، هي فتاة من غفار، قبيلة أبي ذر الغفاري، وقيل: أميّة بنت قيس أبي الصلت الغفارية، صحابية جليلة أسلمت وبايعت الرسول بعد الهجرة، تسلل نور الإيمان إلى قلبها وهي لا تزال في طور الحداثة، حيث قدمت على رسول الله تبايعه على بُعد المسافة ولها أربعة عشر ربيعًا، وراحت تتحين الفرصة المواتية لتخدم الدعوة.

أميَّة بنت قيس الغفارية المجاهدة

خرجت إلى خيبر على رأس نسوة وهي لم تبلغ المحيض تريد أن تقوم بما تقوم به البعثة الطبية في ميدان القتال، وتلقى النبي، فيردفها خلفه في مسيره، ويتاح لها أن تحسن القيام بما تقدمت.

قلادة الرسول

وتلقى من الرسول مكافأة وتكريمًا، فلقد قلَّدها الرسول قلادة لم تغادر صدرها حتى ماتت ودفنت معها طبقًا لوصيتها.

الشجاعة

اتصفت أمية بالهمة والمبادرة، فكانت تخوض أعمالًا يتردد أمامها الرجال، فشجاعتها كانت أوسع من جميع المعوّقات، سواء في المجال الطبي أو في مجال العلم كراوية للحديث والفقه في شرح العديد من المسائل.

جهاد الفتاة مع الرسول

عندما حان موعد غزوة خيبر وهي لم تبلغ المحيض، لم يكن منها إلا أن بادرت بالطلب من النبي ﷺ أن يأذن لها ليس بالقدوم فقط إلى الغزوة، ولكن أن تترأس غرفة الطبيبات من قبيلتها تداوي الجرحى وتعين المسلمين، فقبل النبي من الفتاة طلبها وشهدت مع رسول الله خيبر على رأس نسوة من قبيلتها تقوم بما تقوم البعثات الطبية في ميادين القتال.

وأحسنت أميَّة في دورها الطبي وأخذت تداوي المرضى وتضمد جراحاتهم. وذكر في "كتب الطبقات الكبرى" للكاتب "محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري"، أنها قالت: "جئت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار، فقلنا: إنا نريد يا رسول الله أن نخرج معك إلى وجهك هذا تعني غزوة (خيبر) فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال رسول الله ﷺ: "على بركة الله "قالت فخرجنا معه وكنت جارية حديثة السن، فأردفني رسول الله ﷺ حقيبة رحْله، فنزل إلى الصبح فأناخ وإذا أنا بالحقيبة عليها أثر دم مني، وكانت أول حيضة حضتها، فتقبضت إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله ما بي ورأى الدم قال: "لعلك نفست؟" قلت: "نعم" قال: "فأصلحي من نفسك ثم خذي إناء من ماء ثم اطرحي فيه ملحًا ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي"، ففعلت، فلما فتح الله لنا خيبر رضخ لنا من الفيء.

مكافأة النبي لأميَّة

شاركت أميَّة في غزوة خيبر وهي فتاة صغيرة، حيث أعطاها النبي مهامًا كبيرة وثقة أكبر لِما رأى من هِمَّتها وتطوعها بالمشاركة في الغزوات، وأردفها خلفه في مسيره ولم يحُط من شأنها لكونها فتاة في الرابعة عشر من عمرها.

ولقد ضربت بكفاحها وجهادها وعملها وعلمها وفقهها وبلاغتها أبرز الأمثال على أن الإسلام ارتقى بالمرأة وميَّزها ووضعها في شتى المجالات جنبًا إلى جنب مع الرجل، وعندما أحسنت أميَّة في دورها وترأست مجموعة من النسوة لتداوي جرحى المعارك وتعينهم تقديرًا لها ولدورها كافأها النبي ﷺ وقلدها قلادة تشبه الأوسمة العسكرية في زمننا هذا، وتقلدت أمية بهذه القلادة طوال حياتها، وذُكر أنها قالت: "أخذ الرسول ﷺ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وعلَّقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني أبدًا"، فكانت في عنقها حتى ماتت وأوصت أن تدفن معها.

رضي الله عن أميَّة الغفارية وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

أُمّ عَطِيَّةَ الأنصارية

رُوِيَ أن امرأة كانت فقيهة في زمانها هي التي غسَّلت السيدة زينب بنت النبي، الصحابية الجليلة نَسِيْبَةُ بِنْتُ الحَارِثِ وَقِيْلَ: نَسِيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ. وهي صحابية جليلة من كبار نساء الصحابة، وهي من الصَّحَابَيات الفقيهَات، لَهَا عِدَّةُ أَحَادِيث، وروى عنها عدد من التابعين، وَهِيَ الَّتِي غَسَّلَتْ زَيْنَبَ بِنْتَ النَّبِيِّ، ﷺ، وكانت تسافر مع رسول الله ﷺ، حين يخرج مع أصحابه لتقوم على رعايتهم.

حب العلم

كانت أُمّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها أنموذجًا للمرأة النشيطة التي تحرص على التعلم، وكانت تأخذ التوجيهات من النبي وتبلِّغها للنساء وتقوم على تنفيذها معهن، ومن ذلك ما يتعلق بحضور النساء لصلاة العيد وكيفية حضورهن.

امرأة فقيهة

وكانوا يرجعون إليها عند الاختلاف في شيء، فعَنْ حفْصَةَ، قَالَتْ: كُنَّا نَمْنَعُ عَوَاتِقَنَا أَنْ يَخْرُجْنَ فِي العِيدَيْنِ، فَقَدِمَتِ امْرَأَةٌ فَحَدَّثَتْ عَنْ أُخْتِهَا، وَكَانَ زَوْجُ أُخْتِهَا يرافق النَّبِيّ ﷺ في سفره، وَكَانَتْ أُخْتِها مَعَهُ، قَالَتْ: كُنَّا نُدَاوِي الكَلْمَى، وَنَقُومُ عَلَى المَرْضَى، فَسَأَلَتْ أُخْتِي النَّبِيَّ ﷺ: أَعَلَى إِحْدَانَا بَأْسٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا جِلْبَابٌ أَنْ لاَ تَخْرُجَ؟ قَالَ: "لِتُلْبِسْهَا صَاحِبَتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا وَلْتَشْهَدِ الخَيْرَ وَدَعْوَةَ المُسْلِمِينَ". فَلَمَّا قَدِمَتْ أُمُّ عَطِيَّةَ، سَأَلْتُهَا: أَسَمِعْتِ النَّبِيَّ ﷺ؟ قَالَتْ: بِأَبِي، نَعَمْ، وَكَانَتْ لاَ تَذْكُرُهُ إِلَّا قَالَتْ: بِأَبِي، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "يَخْرُجُ العَوَاتِقُ وَذَوَاتُ الخُدُورِ، أَوِ العَوَاتِقُ ذَوَاتُ الخُدُورِ، وَالحُيَّضُ وَلْيَشْهَدْنَ الخَيْرَ وَدَعْوَةَ المُؤْمِنِينَ، وَيَعْتَزِلُ الحُيَّضُ المُصَلَّى".

العمل التطوعي

وكذلك تكفين الموتى منهن، كما كانت تبادر إلى العمل التطوعي فقد قَالَتْ: سافرتُ مَعَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ وصحبه سَبْعَ مراتٍ فَكُنْتُ أَصْنَعُ لَهُمْ طَعَامَهُمْ وَأَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ وَأُدَاوِي الْمَرْضَى وَأَقُومُ عَلَى رعايتهم.

راوية الأحاديث

ونقلت أم عطية ما أخذته من أحاديث النبي ﷺ إلى كثير من فقهاء التابعين الذين اعتمدوا بعد ذلك على أحاديثها فيما يتعلق بأحكام النساء.

وفاتها

وتوفيت في حُدُوْدِ سَنَةِ سَبْعِينَ، رضي الله عن أم عطية وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

أم البنين

رُويَ أن امرأة اشتهرت بكرمها وشجاعتها فلُقِّبت بباب الحوائج، وأم العباس، أمَّا لقبها الأشهر فهو أم البنين.. هي فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكلابية، وقيل إنّها ولدت بين عامي الخامس والتاسع من الهجرة.

أم البنين

لُقبت بأم العباس وباب الحوائج إضافةً إلى لقبها، ووالدتها تمّامة بنت سهل بن عامر بن كلاب، ووالدها حزام بن ربيعة من أشجع رجال العرب، تزوّجها الخليفة علي بن أبي طالب بعد وفاة زوجته فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم، وأنجبت منه أربعة بنين وهم: أبو الفضل العباس، وعبد الله، وجعفر، وعثمان.

سيرة حياتها

ترعرعت أمّ البنين في كنف قبيلةٍ من أشرف القبائل العربية وأكرمها وأشجعها؛ حيث عرف آباؤها بالسيادة والفصاحة بين القبائل العربية، لذلك تحلّت أم البنين بجمال صفاتها وعزة نفسها، وطهارتها وعفتها، وتميزت بعقلها الرشيد وذكائها الباهر.

الزواج

أراد علي بن أبي طالب الزواج بعد وفاة فاطمة الزهراء من امرأةٍ حسنة النسب والخلق تلد له من الأبناء الفارس الشجاع، فأشار عليه أخوه عقيل قائلًا له: "أخي، أين أنت عن فاطمة بنت حزام الكلابية، فإنّه ليس في العرب أشجع من آبائها".

الزواج من خليفة المسلمين

وتزوّج علي بن أبي طالب من أم البنين بمهرٍ قيمته خمسمئة درهم، وعُرفت أم البنين بشدة وفائها لزوجها علي كرَّم الله وجهه بعد وفاته؛ حيث اعتزلت الزواج على الرّغم من تقدُّم البعض لخطبتها.

تسميتها بأم البنين

غلب لقب أم البنين على اسمها لسببين

السبب الأول: كنَّاها أبوها بأم البنين نسبةً إلى جدتها ليلى بنت عمرو بن صعصعة، وذلك لأنّ لها من الأبناء خمسة بنين.

السبب الثاني: كنّاها علي بن أبي طالب بأمّ البنين بناءً على طلبها، كي لا يتذكّر الحسن والحسين أمهما فاطمة عند سماع اسمها فيشعرون بالحزن عليها، وتفاؤلًا منها بالبنين بعد ولادتها.

حبها للحسن والحسين

وفضّلت أم البنين الحسين على أبنائها الأربعة، وبكت على استشهاده بكاءً شديدًا أكثر من بكائها على أولادها عند وصول خبر استشهادهم في المدينة المنورة جميعًا في آنٍ واحد.

استشهاد أولادها الأربعة في كربلاء

ويقول ابن كثير في "البداية والنهاية" إن هؤلاء الأربعة كلهم قتلوا مع أخيهم الحسين بن علي ﷺ بكربلاء، ولم يبقَ منهم سوى العباس، وكان هو قائد جيش الحسين بن علي في معركة كربلاء.

الوفاة

انتقلت أم البنين إلى رحمة الباري عز وجل في الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٤هـ، ودُفنت في منطقة البقيع في المدينة المنورة، بعد سنين قضتها في تقوى الله عز وجل، وعمر عاشته ما بين الطهارة والعفة، وأحزان ذاقتها، وصبر على فراق أبنائها الأربعة في وقت واحد.

رضي الله عن أم البنين وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

أم محجن

رُويَ أن امرأة ضعيفة خدمت مسجد رسول الله حتى حزن لوفاتها وغضب من أجلها ثم صلى عليها ودعا لها.

صحابية جليلة، كان أول ظهور لها بالمسجد النبوي في المدينة المنورة، عرف عنها خدمتها بتنظيف المسجد وكنْسه وإعداده، لم يُعرف لها دار تعيش فيه سوى المسجد النبوي.

قال ابن الأثير: "مِحْجَنَةُ امرأة سوداء، كانت تَقُمُّ المسجد، فتوفِّيَت على عهد رسول الله ﷺ"

وقال ابن حجر في كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة": "مِحْجَنَةُ: وقيل أم مِحْجَن، امرأة سوداء كانت تقُمّ المسجد، وقع ذكرها في الصّحيح بغير تسمية".

عندما علم النبي ﷺ بوفاتها غضب غضبًا شديدًا وعنَّف صحابته لأنهم لم يخبروه، وقال قولته النبوية الشريفة: "أفلا كنتم أخبرتموني؟ أمَا علمتم أن من صليت عليه عند موته وجبت عليه شفاعتي يوم الدين؟!" وطالبهم بأن يدلوه على قبرها،

قال ﷺ: "دلُّوني على قبرها".

فدلّوه وصلى عليها وهي في قبرها. "صحيح مسلم: ٩٥٦"

من هي أم محجن؟

لا أحد من المؤرخين يعرف اسمها الحقيقي، ولكن قيل إنها السيدة أم علقمة ﵂ وأرضاها، وقال عنها يحيى بن أبي أنيسة في "تمييز الصحابة" إنها "هي علقمة بنت مرثد"، ومرثد كان رجلًا من أهل المدينة؛ وكان أهل المدينة يقولون لها محجنة تقُمّ المسجد. وكانت سيدة ذات بشرة سوداء فقيرة مسكينة، ذات بنية ضعيفة، ولعل هذا ما جعلها تحظى باهتمام الرسول، ﷺ، فقد كان يهتم كثيرًا بأمرها، ولم يكن يقطع سؤالًا عنها قط ليتأكد أنها بخير.

فقيرة تعيش في المسجد النبوي

كانت الصحابية الجليلة أم محجن تعيش في عهد النبي، وكانت كبيرة في السن، عُرفت بالتقوى والإيمان الشديدين، وكانت تقوم بتنظيف المسجد النبوي لوجه الله تعالى، وكانت تعيش في المسجد النبوي من كثرة ملازمتها له، وكانت تحضر الصلوات مع نساء المدينة.

ورغم أن أم محجن كانت غير عربية، إلا أنها تواجدت بشكل دائم في المسجد، وكانت تقطن بأحد البيوت الفقيرة في حي من أحياء العرب بالمدينة المنورة.

أم محجن والوشاح الأحمر

كانت في الحي الذي تسكن فيه أم محجن عروس تتجهز في يوم عرسها، وفي أحد الأيام اتهمت تلك العروس أم محجن بسرقة وشاحها الأحمر وفيه بعض اللحم، ووقع الاتهام على المرأة العجوز، فذهبت إلى بيت الله تبكي وتصلي وتتضرع إليه أن يكشف الحقيقة، فاستجاب لها الله عز وجل، وأتت الحدأة لتلقي بالوشاح بين من اتهموها بالسرقة، ليظهر الحق.

وبعد هذه الواقعة آثرت أم محجن على نفسها أن تبقى إلى جوار مسجد النبي تخدمه وتنظفه بعد أن غادرت الحي الذي سكنته، وهي تردد هذا البيت:

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا ألا إنه من بلدة الكفر أنجاني

وفاتها

ذكر الإمام النسائي عن أبي أمامة، قال: "اشتَكَتِ امرأةٌ بالعَوالي مِسكينةٌ، فَكانَ النَّبيُّ ﷺ يسألُهُم عَنها، وقالَ: إن ماتَت فلا تدفِنوها حتَّى أصلِّيَ عليها، فتوُفِّيَت، فَجاءوا بِها إلى المدينةِ بعدَ العتَمةِ، فوجدوا رسولَ اللهِ قد نامَ، فَكَرِهوا أن يوقِظوه، فصلَّوا علَيها ودفَنوها ببقيعِ الغَرقدِ". فلما أصبح رسول اللهِ جاؤوا فسألهم عنها، فقالوا: قد دُفنت يا رسولَ اللهِ، وقد جِئناكَ فوجدناكَ نائمًا فَكَرِهْنا أنَ نوقظَكَ، قالَ: فانطلِقوا، فانطلقَ يَمشي ومَشوا معَهُ حتَّى أروهُ قبرَها، فقامَ النبي وصفُّوا وراءَهُ فصلَّى علَيها وَكَبَّرَ أربعًا. "صحيح النسائي: ١٩٦٨"

وقد روى مسلم في صحيحه هذا الموقف النبوي عن أبي هريرة ﷺ: "أنَّ امرأةً سوداءَ كانت تَقُمُّ المسجدَ (أو شابًّا) ففقدها رسولُ الله ﷺ، فسأل عنها (أو عنه) فقالوا: مات. قال أفلا كنتُم آذَنْتُموني. قال: فكأنهم صَغَّروا أمرَها (أو أمرَه). فقال: دُلُّوني على قبرِها، فدَلُّوه. فصلَّى عليها. ثم قال: إنَّ هذه القبورَ مملوءةٌ ظُلمةً على أهلِها، وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُنوِّرُها لهم بصلاتي عليهم". "صحيح مسلم: ٩٥٦".

رضي الله عن أم محجن وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

أمُّ كلثوم

رُويَ أن امرأة من آل بيت النبي حفيدة رسـول الله وابنة ريحانته، لُقبت بأفصح بنات قريش في زمانها ﵂، حفيدةُ رسول الله ﷺ وابنة علي بن أبي طالب ابن عم النبي، أمها فاطمة الزهراء بنـتُ رسـول الله، تسـمى أيضًا زينب الصغرى تمييـزًا لها عن أختها زينب الكبرى إذ تشـتركان بالاسم واللقب، فهي بذلك حفيدة رسول الله محمد بن عبد الله.

هي خامس مولود لعلي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء، وهي أخت الحسـن والحسـين، ﵃ أجمعين، والأرجح أنها وُلِدت في حياة جدِّها رسـول الله محمد بن عبد الله ﷺ فرأته ورآها قرابة خمس سنين، ولكنها لم ترِ عنه حديثًا. يُقال إنها حين بلغت أشدها كانت أفصح بنات قريش.

وقد وُلدت أمُّ كلثوم ﵂ قبل وفاةِ رسول الله ﷺ أي قبل السَّنة الحادية عشرة للهجرة.

زواج أم كلثوم بنت علي

تزوَّجت ﵂ وعن أبيها- من عمر بن الخطَّاب ﵁ في زمنِ خِلافته في السنة السابعة عشرة للهجرة وكانت صغيرة السـن، إذ خطبها من أبيها طلبًا لنيلِ شرف نكاحِ حفيدةِ رسول الله ﷺ ولأنَّها كانت شـابَّةً صغيرةً، فاشـترطَ عليًا ﵁ أن يبعثها إلى عمر ﵁ ليراها، فإن رضيَ بها فإنَّه سـيزوجه إياهـا، فقـامَ إليها وأعطاهـا غرضًا لتذهبَ بـه إلى أمير المؤمنينَ على أن تخـبره أنَّ هذا هـو الغـرضُ الذي قال لك عنـه أبي، فَفَعلت ذلك، فقال لها عُمر ﵁ أن تُخـبر أباها أنّ عمر قد رضي، فعادت إلى أبيها تُخبره بصنيعَ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ﵁، فأخبرها حينها أنَّه يريد الزَّواج منها.

فتمَّ الزَّواجُ وقد أصدقها عمر ﵁ مهرًا يُقدّر بأربعينَ ألفًا، وهي آخر أزواجه، ونقل الزهري وغيره أنها أنجبت له اثنانِ من الأولاد، ولدٌ وهو زيد بن عمر، وبنتٌ وهي رقيَّة بنت عمر ﵃.

مواقف من حياة أم كلثوم بنت علي

تتعدَّدُ المواقفُ الجليلةُ التي وقفتها أم كلثوم بنت علي ﵂ في حياتها، فيما يلي بيان بعضها:

الموقفُ الأول: رفضها تناول الصدقة؛ إذ قدَّمَ إليها عطاء بن السائب شيئًا من الصَّدقة فرفضت أخذه مُتمسِكةً بأصلِ عدمِ جوازِ الصدقةِ لآلِ رسول الله ﷺ وقد صحَّ في هذا الباب ما رواهُ أبو هريرة ﷺ قال: (أَخَذَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ تَمْرَةً مِن تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا في فِيهِ، فَقالَ رَسولُ الله ﷺ: كِخْ كِخْ، ارْمِ بهَا، أَما عَلِمْتَ أنَّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟)

الموقف الثاني: تضحيتها ومساعدتها امراة مقطوعة في مخاضها: تدورُ أحداثُ القصة في زمن عمر بن الخطَّاب ﷺ إذ كانَ خارجًا ذاتَ ليلةٍ فوجدَ بيتَ شعرٍ فيه امرأةٌ تبكي من آلامِ الولادةِ وليسَ عندها شيء يعينها على ذلك، فعادَ إلى بيته مُسرعًا مُتأملًا أن يعودَ إليها مع زوجته أم كلثوم وكان كذلك.

إذ لم تتردد أم كلثوم ﷺ فأخذت ما يعينها وعادا إلى المرأةِ، فولَّدتها واعتنت بها، وأعطاهم عمر بن الخطَّابِ ﷺ شيئًا من نفقةٍ لهما، ثمَّ عاد مع زوجته أم كلثوم ﷺ إلى بيتهما.

الموقف الثالث: خطبتها القوية على إثر مقتل شقيقها الحسين بن علي، قُتِلَ الحسين بن علي ﷺ غدرًا، فلمَّا أُتيَ به قتيلًا إلى الكوفة وعلا صوت النِّياح والصِّياح، قامت لهم أم كلثوم بنت علي ﷺ فأسكتتهم وقالت كلامها القوي الفصيحَ.

وفاة أم كلثوم بنت علي

توفِّيت أمُّ كلثوم بنت علي ﷺ مع ولدها زيد بن عمر الأكبر في نفس اليومِ، وقيل في نفس السَّاعة، فلم يُعرَف من منهما سبقَ الآخر، وقد صلَّى عليهما عبد الله ابن عمر ﷺ إذ قدّمه إلى الإمامةِ بالصّلاةِ شقيقها الحسن بن علي ﷺ وفي الصّلاةِ قدَّمَ ابن عمر ﷺ زيدًا مؤخِّرًا أم كلثوم ﷺ عنها إلى الخلفِ، فجرتِ السُّنةُ في الجنائزِ من بعد ذلك على هذا النَّحو، إذ يُوضعُ الرجال أمام الإمامِ وتوضعُ النِّساءُ خلفهم بما يلي القبلة.

رضي الله عن أم كلثوم وعن آل بيت النبي وصحابته أجمعين وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

أروى بنت كريز

رُويَ أن امرأة أسلمت وبايعت النبي وهاجرت إلى المدينة، فكانت والدة ذي النورين وذي الهجرتين، والمصلي إلى القبلتين، وزوج الابنتين الطاهرتين عثمان بن عفان ﷺ.

هي أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن مناف، والدة سيدنا عثمان بن عفان ﷺ، وقد أسلمت وهاجرت إلى المدينة وبايعت النبي ﷺ، وظلت بها حتى وفاتها في خلافة عثمان ﷺ.

قال عنها عثمان بن عفان: اللهم ارحم أمي، اللهم اغفر لأمي.

قال ابن عباس ﷺ: أسلمت أم عثمان وأم طلحة، وأم عمار، وأم أبي بكر، وأم الزبير، وأم عبد الرحمن بن عوف، فأروى بنت كريز بن ربيعة العبشمية، أم عثمان بن عفان ﷺ، هي واحدة من هؤلاء الأمهات المؤمنات، وأمها ـ أم حكيم – البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبي.

مطلع النور وإسلام أروى، منذ أن تنفّس صبحُ الإسلام وفي بدء الدعوة أسلم عثمان، وعلمت أمه بإسلامه فلم تنكر عليه هذا بل كانت تميل إلى نصرة النبي الكريم والدين الحنيف.

وقفة مباركة

وقد وقفتْ وَقفَةً مباركة جريئة حفظتها ذاكرة التاريخ، حيث يُروى كما جاء في ابن الأثير ﷺ أنَّ عقبة بن أبي معيط قد شكا عثمان إلى أمه فقال لها: إنَّ ابنك قد صار ينصر محمدًا! فلم تنكر ذلك من ابنها وقالت: ومن أولى به منا؟ أموالنا أنفسنا دون محمد.

إسلامها وهجرتها

بهذه المحبّة العظيمة حرصت أروى على الإسلام، كحرص ابنها عثمان على إسلامها، فأعلنت إسلامها وهاجرت إلى المدينة المنورة بعد ابنتها أم كلثوم بنت عقبة ﷺ، وبايعت رسول الله، فسر عثمان بإسلامها سرورًا عظيمًا.

مكانة فريدة في عالم النساء

احتلت أروى مكانًا عليًا بين صحابيات رسول الله، واكتنفتها البركات من كل جانب،

وأضحت يُشار إليها بالبنان لما نالته الإعظام والتكريم، ويكفيها من الفضل، أنَّها والدة ذي النورين وذي الهجرتين، والمصلي إلى القبلتين وزوج الابنتين الظاهرتين؛ فقد تزوج عثمان من رقية وأم كلثوم بنتي رسول الله، ولم يعلم أحد تزوج بنتي نبي غيره.

وبذلك تفردت أروى في هذا المضمار الكريم، إذا كانت حماة أكرم وأعرق أختين في الدُّنيا، فأكرم بهذا الشَّرف وأعظم به! وذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء.

بِر عثمان بأمه:

وكان عثمان بن عفان ﷺ من أبر الناس بأمهاتهم، إذ قالت عنه السيدة عائشة: "رجلان من أصحاب النبي ﷺ كانا أبر من كان في هذه الأمة بأمهما، فقيل لها: من هما؟ فتقول: عثمان بن عفان، وحارثة بن النعمان ﷺ، فأمَّا عثمان فإنه قال: ما قدرت أن أتأمل أمي منذ أسلمت، وأمَّا حارثة فإنه كان يفلِّي رأس أمه ويطعمها بيده، ولم يستفهمها كلامًا قط تأمر به حتى يسأل من عندها بعد أن تخرج: ما قالت أمي؟

ويرُويَ ابن سعد في الطبقات الكبرى لحظات وفاتها الأخيرة، إذ قال عبد الله بن حنظلة الراهب أنه قد شهد وفاتها ودفنها بالبقيع، فعقب ذلك عاد سيدنا عثمان ﷺ وقد صلى الناس في المسجد، فصلى وحده وصلى ابن حنظلة الراهب بجواره، فسمعه وهو ساجد يقول: "اللهم أرحم أمي أو اللهم أغفر لأمي".

عاشت أروى بنت كريز رضوان الله عليها أحداث العهدين:

المكي والمدني، وامتدت بها الحياة حتى اشتعل رأسها شيبًا، ووهن العظم منها، وماتت في حياة ابنها عثمان ﷺ وهو خليفة، فقد أخرج ابن سعد رحمه الله عن عبد الله بن حنظلة بن الراهب قال: شهدنا أم عثمان بن عفان ﷺ يوم ماتت، فدفناها بالبقيع فرجع وقد صلّى النَّاس في المسجد فصلى عثمان وحده في المسجد، وصلّيتُ إلى جانبه، فسمعته وهو ساجد يقول: اللهم ارحم أمي، اللهم اغفر لأمي، وذلك في خلافته.

وذكر ابن حجر رحمه الله، أنَّ أروى تُوفيت ولها تسعون سنة، وكان ابنها عثمان يقف على قبرها ويدعو لها.

رضي الله عن أرُويَ وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

دُرَّة بنت أبي لهب

رُويَ أن امرأة أسلمت وهاجرت وأوذيت في دينها فصبرت واحتسبت، إنها بنت عم النبي وإحدى نساء آل البيت الأطهار، أسلمت بمكة ثم هاجرت إلى المدينة، وتزوجها زيد بن حارثة ثم طلقها.

امرأة دافع عنها النبي

أنـتِ بنـتُ أبي لهب الـذي يقول الله عزَّ وجلَّ فيه: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} .هذا ما قالته النسـوة في المدينة لدُرَّة بنت أبي لهب، فدافع عنها النبيُّ ﷺ أمام جميع المسلمين، وعنَّف من أساء إليها، وهدَّأ من روعها ﵂ وعن جميع آل البيت الكرام الأخيار.

نسبها

أمها أم جميل بنت حرب بن أميَّة بن عبد شمس، وهي أخت أبي سفيان ﵁، واسمها فاختة، وهي التي أنزل الله فيها "حمَّالة الحطب".

وقـد كانـت ﵂ شـاعرة، ولها أبيـاتٌ في يوم الفجـار وكان لها ثلاثـة إخوة مـن أبيها وأمها وهم:"عُتَيْبَـة وعُتْبَـة ومُعَتِّب"، ومن العجيب أنَّ جميع أبناء أبي لهب قد أسـلموا إلَّا واحدًا وهو عتيبـة، وقد كان أصابته دعوة الرسـول ﷺ "اللَّهُمَّ سَـلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِـنْ كِلَابِكَ"، وذلك عندما طلق أم كلثوم ابنة رسـول الله ﷺ، ولم يكتفِ بذلك كأخيه عتبة الذي أمره أبواه بتطليق السيدة رقية ﵂، إنما ذهب عتيبة إلى النبي ﷺ وسبَّه واشتدَّ في إهانته، وقيل إنَّه قطع قميصه ﷺ.

فهلـك إثر تلك الدعوة وهو مسـافرٌ في تجارةٍ له إلى الشـام، عـلى الرغم من حرص أبيه عليه وحمايته له ليقينه في اسـتجابة دعوة رسـول الله ﷺ، وقد أسـلم أخواها عتبة ومعتب ﵄ما يوم الفتح وشاركا مع الرسول ﷺ في غزوة حنين والطائف، ولكن ظلَّا في مكة إلى أن تُوفِّيا ﵄ما.

مكانتها

هـي إحدى نسـاء آل البيت الأطهـار الأخيار رضوان الله عليهم أجمعـين، فآل النبي هم بنو هاشـم وبنو المطلب وأبناء وزوجات النبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وكونها ابنة

أبي لهب عدو الإسلام الذي ذمَّه ربُّ العزَّة في قرآنه الكريم ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: ١)، لا ينتقص من قدرها أبدًا، فيقول ربُّ العزَّة جل وعلا: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(الإسراء: ١٥).

فهي رضوان الله عليها إحدى المؤمنات المهاجرات، فقد أسلمت ﵂ في مكة، وكانت من أولى المهاجرات إلى المدينة، فكانت رضوان الله عليها تجمع بين شرفين وطبقتين كلتيهما ترفع صاحبها أعلى مكانة بين الصحابة، وهما كونها من آل بيت الرسول ومن المهاجرين فـ ﵂ وأرضاها.

زواجها

تزوَّجت السيدة درة قبل إسلامها من الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي فولدت له الوليد وأبا الحسن ومسلم، ثم قُتِل يوم بدر كافرًا، فتزوَّجها الصحابي الجليل دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ﵁، وقد أسلمت ﵂ بمكة، ثم هاجرت إلى المدينة، وتزوَّجها زيد بن حارثة ﵁ ثم طلَّقها. ورُوِيَ أنَّ الإمام علي بن أبي طالب ﵁ خطبها على السيدة فاطمة ﵂.

هجرتها إلى المدينة

كانت دُرَّة بنت أبي لهب من المهاجرات اللاتي هاجرن من مكة إلى المدينة، السيدة دُرَّة بنت أبي لهب ﵂ ليس لها من رواية الحديث إلَّا حديثٌ واحدٌ في مسند أحمد، وإسناده ضعيف، فقد رُوِيَ عنها أنها قالت: "قام رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ وهو على المنبر فقال: يا رسول الله، أيُّ الناس خير؟ فقال ﷺ: "خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَؤُهُمْ وَأَتْقَاهُمْ وَآمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ."

وعن ابن أبي الحسين قال: كانت درة بنت أبي لهب عند الحارث بن عبد الله بن نوفل، فولدت له عقبة، والوليد، وأبا مسلم، ثم أتت النبي ﷺ بالمدينة، فأكثر الناس في أبويها، فجاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ما ولد الكفار غيري؟!

فقال لها رسول الله ﷺ: "وما ذاك؟" قالت: قد آذاني أهل المدينة في أبوي، فقال لها رسول الله – ﷺ:"إذا صليت الظهر فصلي حيث أرى". فصلى النبي ﷺ الظهر، ثم التفت إليها، فأقبل على الناس، فقال: "أيها الناس، ألكم نسب وليس لي نسب؟".

فوثب عمر بن الخطاب فقال: أغضب الله من أغضبك، فقال: "هذه بنت عمي، فلا يقل لها أحد إلا خيرًا". رواه الطبراني.

رضي الله عن درة وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

أم سليط النجارية

رُويَ أن امرأة من الأنصار بايعت النبي، أسلمت وجاهدت مع الرسول، ربَّت ولدها أبا سعيد الخدري الذي كان إمامًا، ومجاهدًا، ومُفتِيًا للمدينة المُنوَّرة، وأحد الفقهاء المُجتهدين، وكان ممّن شَهِد غزوة الخندق، وبيعة الرضوان.

والدة أبي سعيد الخدري

أم سليط النجارية هي أم قيس بنت عبيد من بني عدي بن النجار من الأنصار، والدة أبي سعيد الخدري ﷺ، كانت زوجًا لأبي سليط بن أبي حارثة عمرو بن قيس من بني عدي بن النجار، فولدت له سليطًا قبل الهجرة، ثم تزوجها مالك بن سنان الخدري، فولدت له أبًا سعيد الخدري.

جهادها مع النبي ﷺ:

كانت ﷺ من المبايعات، حضرت مع النبي ﷺ يوم أحد وشاركت المسلمين ويلات الحرب وشدتها، فكانت تقوم على خدمة الجنود وسقايتهم.

في خيبر

كانت ﷺ من الصحابيات الجليلات فتطوعت في الجيش الإسلامى عند خروج النبي إلى خيبر فشاركت في مداواة الجرحى، ولم تكتفِ بذلك بل عملت أيضًا على حراسة أمتعة الجيش.

فروى عنها قولها: لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ الْخُرُوجَ إِلَى خَيْبَرَ جِئْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ أَخْرُجُ مَعَكَ فِي وَجْهِكَ هَذَا أَخْرُزُ السِّقَاءَ وَأُدَاوِي الْمَرِيضَ وَالْجَرِيحَ إِنْ كَانَتْ جِرَاحٌ وَلا تَكُونُ وَأَبْصُرُ الرَّحْلَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: اخْرُجِي عَلَى بَرَكَةِ اللهَّ فَإِنَّ لَكِ صَوَاحِبَ قَدْ كَلَّمْنَنِي وَأَذِنْتُ لَهُنَّ مِنْ قَوْمَكِ وَمِنْ غَيْرِهِمْ فَإِنْ شِئْتِ فَمَعَ قَوْمِكِ وَإِنْ شِئْتِ فَمَعَنَا. قُلْتُ: مَعَكَ. قَالَ: فَكُونِي مَعَ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجَتِي. قَالَتْ: فَكُنْتُ مَعَهَا.

طلبها للعلم

كانت ﵂ حريصة على التعلم من النبي -ﷺ- وتخرج معه إلى الجمعة والعيدين، وكانت لها رواية عن رسول الله ﷺ، فروى عنها ابن

عباس، وابنتها ثبيتة بنت حنظلة، وذكرها ابن حبان في الثقات من الرواة.

راوية الأحاديث

ومما رُويَ عنها، أنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام، فنظر إلى يدي فقال: "ما على إحداكن أن تغير أظفارها".

براعتها فر أمور النساء

بالرغم من انشغالها في كثير من أمور المسلمين العامة إلا أنها كانت تمتلك ذوقًا فنيًا في زينة النساء، فقامت بتزيين أم المؤمنين صفية بنت حيي في ليلة زواجها من النبي ﷺ. قالت: كنت فيمن حضر عرس صفية فمشطناها وعطرناها، وكانت من أضوأ ما يكون من النساء، فأعرس بها رسول اللهَّ ﷺ.

في خلافة عمر

كانت من المجاهدات الصابرات، وكان لها مكانة عند الصحابة رضوان الله عليهم فعمر بن الخطاب ﵁ فى خلافته قسم مُروطًا بين نساء من نساء المدينة، فبقي مِرطٌ جيدٌ فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين أعطِ هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك -يريدون أم كلثوم بنت علي- فقال عمر: أم سليطٍ أحق، فإنها كانت تزفِرُ لنا القِرَب يوم أحدٍ.

قال عنها البيهقي: أم سليط الأنصارية الكادحة الغازية، شهدت مع النبي ﷺ أُحدًا وكدحت فلم تخف دون الله أحدًا.

رضي الله عن أم سليط وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

أم سيد الحفاظ

أميمة بنت صبيح

رُويَ أن امرأة دعا لها النبي بالهداية، وكانت أم سيد الحفاظ، أم أبي هريرة.. هي أميمة بنت صبيح بن الحارث. صحابية كريمة أنجبت أعجب رجال الدنيا في الحفظ وأكثر الصحابة رواية للحديث، إنه الفقيه المجتهد الحافظ أبو هريرة الدوسي اليماني الذي قال فيه أهل العلم:"أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره". وقد عاش أبو هريرة يتيمًا في كنف أمه أميمة بنت صبيح بن الحارث والتي تعرف بـ أم أبي هريرة، وقد قدم أبو هريرة على النبي ﷺ مسلمًا في المحرم من سنة سبع للهجرة، ولكن أمه رفضت أن تسلم وتنضوي تحت لواء المؤمنات وظلت على شركها مدة.

الرسول دعا لها بالهداية

جاء أبو هريرة يومًا إلى النبي يشكو إليه بثَّه وحزنه وما يؤلمه، وحدث بذلك رضي الله عنه عن أبي كثير يزيد بن عبد الرحمن، حدثني أبو هريرة قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله:-"اللهم اهدِ أم أبي هريرة". فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة. وسمعت خضخضة الماء قال: فاغتسلت ولَبِسَت درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة. فحمد الله وأثنى عليه وقال: خيرًا، قال: قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ "اللهم حبِّب عبيدك هذا - يعنى أبا هريرة وأمه - إلى عبادك المؤمنين وحبِّب إليهم المؤمنين". فما خُلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني. صحيح مسلم.

وهكذا قرَّت عينا أبي هريرة بإسلام أمه، وما سمع به أحد أو رآه أو عرف أمه إلا ويحبها.

وقد كان لأميمة بنت صبيح أم أبي هريرة منزلة كبرى في نفس ابنها أبي هريرة وكان يفخر بها.

موقف عظيم:

نقف هنا مع أبي هريرة وأمه لنرى ميزتين عظيمتين في هاتين الشخصيتين الكبيرتين، هذا الموقف هو أن أبا هريرة ﷺ كان إذا غدا من منزله لبس ثيابه، ثم وقف على باب أمه فيقول: السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته، فترد عليه مثل ذلك، فيقول: جزاك الله عني خيرًا كما ربيتني صغيرًا، فتقول: وأنت يا ابني، فجزاك الله عني خيرًا كما بررتني كبيرة. ثم يخرج، فإذا رجع قال مثل ذلك. فانظر-يا رعاك الله- إلى تعظيم هذا الصحابي الجليل لحق والدته وانظر إلى تقدير الأم لهذا البر.

جوادة كريمة

ولقد كانت أم أبي هريرة ﷺ مثالًا يُحتذى في مجال الجود والكرم، ففي سير أعلام النبلاء- للذهبي عن حميد بن مالك بن خثيم، قال: كنت جالسًا عند أبي هريرة في أرضه بالعقيق، فأتاه قوم، فنزلوا عنده.

قال حميد: فقال: اذهب إلى أمي، فقل: إن ابنك يقرئك السلام، ويقول: أطعمينا شيئًا.

قال: فوضعت ثلاثة أقراص في الصحفة، وشيئًا من زيت وملح ووضعتها على رأسي، فحملتها إليهم. فلما وضعته بين أيديهم؛ كبَّر أبو هريرة، وقال: الحمد لله الذي أشبعنا من الخبز بعد أن لم يكن طعامنا إلا الأسودين: التمر والماء.

رحم الله- تعالى الصحابية الجليلة أميمة بنت صبيح وابنها أبا هريرة اليماني وأسكنهما الجنة دار الأبرار المتقين.

أم زيد بن ثابت

رُويَ أن امرأة أسلمت وبايعت النبي، ربَّت ولدها على حب الله ورسوله، ولدها هو زيد بن ثابت كاتب الوحي، شيخ المقرئين، مفتي المدينة، روى الحديث عن النبي، وقرأ عليه القرآن بعضه أو كله.

النوار بنت مالك، الأنصارية، أم زيد بن ثابت، صحابية جليلة كانت متزوجة من ثابت بن الضحاك، فولدت له زيد بن ثابت وأخاه يزيد. قتل زوجها يوم بعاث، وكان عمر زيد ست سنوات، ثم تزوجها عمارة بن حزم وهو من أهل بدر، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله.

الأم الكريمة

وقد كانت هذه المرأة أمًّا كريمة شهمة حكيمة، آمنت بالنبي قبل مقدمه المدينة، فراحت تغذي زيدًا على مائدة القرآن وحفظه، وحب المصطفى، وقد عرف قلب زيد الصغير طعم هذا الحب وبركته من أول يوم التقى فيه رسول الله، وقد كان لقاء كرم وحسن ضيافة، إذ كانت أول هدية أهديت للحبيب المصطفى حين نزل بدار أبي أيوب الأنصاري، قصعة من طعام جاء بها زيد، أرسلته بها أمه النوار.

دية النوار للنبي

يرُويَ زيد قصة هذه الهدية، فيقول:"أول هدية دخلت على رسول الله في بيت أبي أيوب، قصعة أرسلتني بها أمي إليه، فيها خبز مثرود بسمن ولبن، فوضعتها بين يديه، وقلت: يا رسول الله، أرسلت بهذه القصعة أمي. فقال رسول الله:"بارك الله فيك وفي أمك".

أفبعد هذه المنزلة لابن النوار منزلة تسمو إليها الهمم؟! هنيئًا لك أيتها الأم التي ربت فأحسنت تربية ابنها، فقد دفعته إلى رسول الله تريد ليحفظ القرآن منه مباشرة، ودفعته صغيرًا إلى الجهاد في سبيل الله.

أم زيد بن ثابت كاتب الوحي ومفتي المدينة وراوي الحديث

هذه هي الأم العظيمة النوار، وهذا هو ابنها زيد وذاك علمه، وتلك مكانته، إنه عملها

الصالـح، وكيـف لا ورسـول الله أخبرنا قائلًا: "إذا مات الإنسـان انقطع عملـه إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". فالولد خلق الله وعمل الإنسان.

وكـمال المـرأة الوظيفـي أن تكون راعية، ومسـؤولة، ومربيـة. إنه غاية ما يـراد منها تحقيقه، حفظًا لفطرة الله، ونشرًا لرسالة الله، وخدمة لأمة رسول الله. فلله درك أيتها النوار!

رضي الله عن النوار بنت مالك وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في الجنة.

أميمة بنت رُقيْقة

رُويَ أن امـرأة أسـلمت وبايعـت النبي..عُذبـت عذابًا شـديدًا من قريـش، لكنها صبرت واحتسبت.

ورُقيْقـة بالتصغير اسـم أمها، وهـي: رُقيْقة بنت خويلـد أخت خديجة زوجـة النبي، وبهذا تكون أميمة ابنة خالة فاطمة الزهراء بنت رسول الله.

أميمة والنسب إلى أمها

من الطريف في هذه الصحابية القرشـية، أنها تنسـب عند جمهـور المحدثين وكتاب التراجم والطبقات إلى أمها رُقيْقة، إذ اشتهرت بذلك. أمَّا نسبها من جهة أبيها فيقال: أميمة بنت عبد الله بن بجاد من بني تميم بن مرة، هي إذا تيمية من قوم أبي بكر الصديق عليه رضوان الله، وزوجها هو حبيب بن كعب بن عمر الثقفي.

أميمة الصابرة

أسلمت أميمة منذ مطلع النور بمكة، وانضمت إلى الثَّلَةِ الأولى، ومع بدء إيمانها بدأت أذية المشركين تلاحقها، وأَخَذَ قُسـاة القلوب يرهقون مَنْ أسـلم إرهاقًا شديدًا، حيث ذكر ابن سعد رحمه الله، أنَّها كانت ممَّنْ يعذب في الله.

صبرت أميمة وبايعت بيعتها الشهيرة التي تعتبر غرة أخبارها ﵂.

أميمة والبيعة المباركة

ممـا روتـه أميمة ﵂ عن بيعتها، فقالت :أتيتُ رسـول الله في نِسـوة نبايعـه، فقلنا: نبايعك يا رسول الله على ألا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بـين أيدينـا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف، فقال رسـول الله ﷺ:"فيما اسـتَطعتُنَّ وأطَقتُنَّ". فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هلم نبايعك يا رسول الله، فقال: "إني لا أصافح النّساء، إنّما قولي لمئة امرأة كقولي لامرأة واحدة".

أميمة والجهاد

ومن البيعة ننتقل إلى الجهاد، فقد كان لأميمة نصيب فيه، حسب ما ذكره ابن عساكر رحمه الله في تاريخه من أنَّ أميمة شهدت مؤتة، وتابعت حياتها في المدينة حتى توفي رسول الله وشهدت وفاته.

أميمة وأحاديث المصطفى

روت أميمة عن النَّبي وعن زوجاته الطاهرات ٨ أحاديث أشهرها، حديث البيعة السابق، وروى عنها الحديث محمد بن المنكدر رحمه الله، وابنتها حكيمة بنت أميمة

أميمة ومعاوية ﷺ

وعاشت أميمة ﷺ الخلافة الراشدة، وشهدت الفتوحات مشارق الأرض ومغاربها، ولَمَّا انتقلت دار الخلافة إلى الشام، لحقت أميمة بدمشق، حيث كان معاوية بن أبي سفيان ﷺما قد حوَّلها إليه، وبنى لها دارًا، وأحسن مثواها، وشهدت وفاته بدمشق، فقد أورد ابن عساكر رحمه الله أنَّها دخلت على معاوية في مرضه الذي مات فيه، فقال: اندبيني يا بنت رقيقة، فتسجّت بثوبها ثم قالت: ألا أبكيه ألا أبكيه.. ألا كل الفتى فيه.

وعاشت مستقرة في دمشق إلى أن لحقت بربها.

رضي الله عن أميمة وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

أم الدحداح

رُويَ أن امرأة أسلمت وبايعت النبي وآثرت الآخرة على الدنيا ممن أقرضوا الله قرضًا حسنًا، ولما استشهد زوجها في أُحد صبرت واحتسبت.

أم الدحداح الأنصارية ﵂، قال ﷺ في حق زوجها: كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح؟

كانت أم الدحداح امرأة من نساء الأنصار، وكان زوجها الصحابي الكريم أبو الدحداح، ثابت بن الدحداح - أو الدحداحة - وأحد فرسان مدرسة النبوة.

دخلت أم الدحداح وأسرتها في الإسلام منذ قدم مصعب بن عمير ﵁ المدينة سفيرًا لرسول الله، أخذ يفقِّه أهلها ويعرفهم بالإسلام، فبدأوا يدخلون في دين الله أفواجًا، أسلم جميع أفرادها، ومشوا في السعداء.

أبو وأم الدحداح وقرض اللّه الحسن

ذكر الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره الجامع عن زيد بن أسلم رحمه الله قال ﷺ: لما نزل مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا، قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إِنَّ الله يستقرضُنَا وهو غني عن القرض؟

قال ﷺ: نعم، يريد أن يدخلكم الجنة به.

قال: فإني إن أقرضت ربي قرضًا يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة؟

قال ﷺ: نعم.

قال: فناولني يدك.

فناوله رسول الله يده فقال: إن لي حديقتين، إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضًا لله تعالى.

فقال رسول الله ﷺ: اجعل إحداهما لله، والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك.

قال: فأشهدك يا رسول الله إنّي جعلت خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة.

قال ﷺ: "إذًا يجزيك الله به الجنَّة".

فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النَّخْل، فأنشأ يقول: هداك ربي سبل الرشاد.. إلى سبيل الخير والسداد.

قالت أم الدحداح: ربح بيعك! بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشرك الله بخير وفرح مثلك أَدَّى ما لديه ونصح

قد منع الله عيالي ومنح بالعجوة السوداء والزهو البلح

والعبد يسعى وله ما قد كدح طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدَّحداح على صبيانها تُخْرِجُ ما في أفواههم، وتنقصُ ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر، فقال النبي الكريم ﷺ: كم من عِذْقٍ رَدَاحَ في الجنَّةِ لأبي الدحداح.

استشهاد أبي الدحداح.. تمنّتها ونالتها

كانت الصحابية الجليلة ترجو لأبي الدحداح الشَّهادة في سبيل الله عزَّ وجل لقوله ﷺ: كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح، وكان ذلك، فاستشهد بأُحد رضي الله عنه.

فلما كانت غزوة أحد، ودع أبو الدحداح زوجته أُمَّ الدَّحداح، وانطلق مع المجاهدين إلى لقاء المشركين، ولما انكشف المسلمون، ثبت أبو الدحداح تلة من الأنصار وقاتل حتى نال الشَّهادة

ماذا تفعل مَنْ أتاها خبر موت زوجها؟

وصل نبأ استشهاد أبي الدحداح رضي الله عنه إلى أسماع زوجه أم الدحداح رضي الله عنها، فلم تلطم ولم تشقَّ ثوبها، ولم تعفر رأسها بالتراب، وإنما كبَّرت واسترجعت واحتسبته عند الله عزَّ وجلَّ، لأنها تعلم بأنه نال شرفًا عظيمًا، وحظي بمرضاة الله عزّ وجلَّ، وهو حي مع الشهداء في جنانِ الخُلد. وغمر أمّ الدَّحداح، السرور عندما علمت أنَّ النبي ﷺ قد عاد سالمًا من أحد، لأنّها تعرفُ أنَّ كلَّ مصيبة بعد سلامة رسول الله ﷺ هينة.

رضي الله عن أم الدحداح وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

الصابرة المحتسبة

رُويَ أن أمرأة آمنت وتحملت العذاب مع زوجها، هاجرت إلى الحبشة ووضعت أول مولود فيها. ولَّما استشهد زوجها كانت مؤمنة صابرة.. رضي الله عنها.

هي أميمة بنت خلف بن أسعد الخزاعية، ممن صادف الإيمان قلبها خاليًا نقيًا فتمكَّن منه، إذ حدثها زوجها خالد بن سعيد بن العاص عن إيمانه واتباعه لرسول الله ﷺ فأسلمت وصدقت.

إسلامها وزوجها ومعاداة أهلهما

ولإسلام أميمة وزوجها قصة شائقة، حيث رأى خالد بن سعيد في النوم أنه وُقفَ به على شفير نار عظيمة، وأبوه مِنْ خلفه يدفعه يريدُ أَنْ يرميه فيها، فإذا بخالد يرى رسول الله ﷺ يمسكه مِنْ ثوبه ويجذبه بعيدًا عن النَّار. فلما أصبح قال: أحلَفُ بالله إنَّها لرؤيا، وأسرع إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه -وكان أعبر النَّاس- وقصّ عليه رؤياه فقال له الصديق: أُريدَ بكَ الخير، هذا رسولُ الله فاتبعه، وإنك ستتبعه في الإسلام الذي يحجزك من أن تقع في النار، وأبوك واقع فيها، فجاء خالد رسول الله ﷺ فأسلم، وزفَّ خالد نبأ إسلامه لزوجته أميمة، فسارعت هي الأخرى لتفوز بقصب السبق إلى الساحة الإيمانية المباركة.

تحمل العذاب والتنكيل، ومنذ أن أسلما بدأت المحن تنصب عليهما، فتعرَّضا للتعذيب والتنكيل من قريش. وقد شاركت أميمة زوجها رضي الله عنه ما في تحمل الشدائد من الجانبين، من قريش ومن حَمَاهَا -والد زوجها- وراحت تقهر العذاب بالتضحية، وتتفوق على الحرمان بزاد الإيمان الذي لا ينفد، وكان زوجها خالد قد تغيَّب عن أبيه في نواحي مكة، وحين أمر النبي الكريم أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة، كان خالد وزوجه أميمة أول من هاجر إليها.

وهناك ولدت أميمة لخالد ابنه سعيد، وبعدها ولدت له أمة بنت خالد، التي اشتهرت بكنيتها أم

خالد بنت خالد، وكان لهذين المولودين شأن في تاريخ عَصْر النبوة.

مقابلة الرسول

لبثت أميمة في أرض الحبشة بضع سنوات مع زوجها وولديها، حتى بعث رسول الله ﷺ إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري فحملهم في سفينتين، فقدم بهم عليه، ووجدوا أن رسول الله ﷺ قد فَرَغَ مِنْ فَتْح خيبر، وكان اللقاء سعيدًا بين النبي الكريم وبين المؤمنين الذين طالت غيبتهم وغربتهم، وطال اشتياقهم لرؤية نبيّهم محمد عليه الصَّلاة والسلام.

وأقامت أميمة رضي الله عنها في المدينة تتابع الأحداث الإسلامية، وتوفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنها وعن زوجها الذي كان قد ولَّاه على اليمن.

استشهاد زوجها وصبرها

ولما انطلق المسلمون لقتال الروم في الشّام، ودَّعَ خالد زوجته أميمة وانخرط في صفوفهم، وفي موقعة مرج الصفر بالشّام استشهد خالد وفاز بمرضاة الله عز وجل، ووصل خبر استشهادِهِ إلى زوجه المؤمنة الصَّابرة أميمة، فاحتسبته عند الله، وخصوصًا لَمَّا سمعت عن كرامته عقب استشهاده، ورد أن خالدًا لَمَّا استشهد قال الذي قتله بعد أن أسلم: مَنْ هذا الرجل؟ فإنني رأيتُ له نورًا ساطعًا إلى السماء.

رضي الله عن أميمة المهاجرة الصابرة المحتسبة وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

أم ورقة الأنصارية

رُويَ أن امرأة أسلمت وبايعت النبي وبشَّرها النبي بالشهادة فسميت الشهيدة.

"أم ورقة بنت نوفل" بنت عبد الله بن الحارث بن عويمر بن نوفل الأنصارية. أسلمت مع السابقات، وكانت من فضليات نساء عصرها، جمعت القرآن، وكانت تتدبر معانيه، وتتقن فهمه وحفظه، كما كانت قارئة مجيدة للقرآن، واشتهرت بكثرة الصلاة.

وعن حبها ﷺ للجهاد والشهادة في سبيل الله فنقل عنها قولها: "إن النبي ﷺ لما غزا بدرًا قلت له: يا رسول الله، ائذن لي في الغزو معك، أمرِّض مرضاكم لعل الله أن يرزقني الشهادة، قال:"قرِّي في بيتك فإن الله تعالى يرزقك الشهادة".

وهكذا عادت الصحابية العابدة إلى بيتها سامعة مطيعة أمر النبي، وفي الوقت نفسه بعد قول الرسول فإنها غدت ﷺ تعرف بهذا الاسم"الشهيدة"، واستأذنت الرسول صلِّ الله عليه وسلم في أن تجعل من بيتها مسجدًا، لكي يصلي به النساء فأذن لها. وكان الرسول ﷺ يقول للصحابة ﷺم: هيَّا نزور الشهيدة. رواه أبو داود في السنن والطبراني في المعجم الكبير برواية أبي داود.

وانتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو راضٍ عن أم ورقة. ثم أدركت عهد أبي بكر، ﷺ، فتابعت حياه العبادة والتقوى على الصورة التي كانت عليها من قبل، حتى تحققت بشارة النبي لها بالشهادة في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، حيث كان ﷺ يتفقدها ويزورها اقتداء بنية ﷺ.

وكانت أم ورقة تملك غلامًا وجارية، كانت قد وعدتهما بالعتق بعد موتها، فسوَّلت لهما نفساهما أن يقتلا سيدتهما حتى يحصلا على الحرية، وذات ليلة قاما إليها فغمياها وقتلاها وهربا، فلما أصبح عمر ﷺ قال: "والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة".

فدخل الدار فلم يرَ شيئًا، فدخل البيت فإذا هي ملفوفة في قطيفة في جانب البيت فقال: صدق الله ورسوله، ثم صعد المنبر فذكر الخبر، وقال: إليَّ بهما، فأتى بهما فكانا أول مصلوبين في المدينة.

فرحم الله تعالى الصحابية الأنصارية والشهيدة العابدة أم ورقة و ﷺ.

أم الشهداء

رُويَ أن امرأة أسلمت وبايعت النبي فحسن إسلامها، وغرست حب الدين في نفوس أولادها ولما استشهدوا جميعا لقبت بأم الشهداء.. هيعفراء بنت عبيد الأنصارية، صحابية جليلة ضُرب بها أروع الأمثال في البطولة والصبر على البلاء، فهي مدرسة لتخريج رجال مما قال عنهم القرآن الكريم: "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه."

كانت من السابقين في الإسلام حيث أسلمت مع ممن أسلموا من الأنصار وبايعت النبي علي السمع والطاعة، وأخلصت لله في القول والعمل.

تميزت عفراء بين قومها بالخلق الكريم والسلوك القويم، فهي ذات عقل راجح، ولم تتردد لحظة في إرسال أبنائها للجهاد في سبيل الله ورفع راية الإسلام. تزوجت مرتين وكان لديها سبعة من الأبناء هما: معاذ ومعوذ وعوف أبناء الحارث بن رفاعة، وبعد وفاته تزوجت البكير بن ياليل الليثي وأنجبت له أربعة أبناء هم: إياس وعاقل وخالد وعامر.

وقد شهد السبعة وهي معهم غزوة بدر الكبرى مع النبي ﷺ.

جاهدت جهاد الأبطال مع فلذات كبدها الذين ربتهم على يديها وزرعت فيهم مكارم الأخلاق والشجاعة، وكانت تحثهم دائمًا لنصرة الحق حتي شبُّوا على الإيمان والتقوى، ولم تترك عفراء أي غزوة أو معركة إلا وترافق أبناءها السبعة إلى ساحات القتال، حيث تمكن ابناها معاذ ومعوذ من قتل أبي جهل لسبِّه رسول الله قبل أن ينال الاثنان الشهادة في تلك المعركة ﷺ.

يقول عبدالرحمن بن عوف:

بينما أنا واقفٌ بيْنَ الصَّفِ يومَ بدرٍ نظَرْتُ عن يميني وعن شِمالي فإذا أنا بيْنَ غلامينِ مِن الأنصارِ فبينما أنا كذلك إذ غمَزني أحدُهما فقال: أيْ عمِّ هل تعرِفُ أبا جهلِ بنَ هشامٍ؟ فقُلْتُ: نَعم وما حاجتُك إليه يا ابنَ أخي؟ فقال: أُخبِرْتُ أنَّه يسُبُّ رسولَ الله ﷺ والَّذي نفسي بيدِه لو رأَيْتُه لا يُفارِقُ سوادي سوادَه حتَّى يموتَ الأعجَلُ منَّا قال: فأعجَبنِي قولُه،

قال: فغمَزني الآخَرُ وقال مثلَها فلم أنشَبْ أنْ رأَيْتُ أبا جهلٍ يجولُ بيْنَ النَّاسِ فقُلْتُ لهما: هذا صاحبُكما الَّذي تَسَلاني عنه فابتدراه فضرَباه بسيفَيْهما فقتَلاه ثمَّ أتَيا النَّبيَّ ﷺ فأخبَراه بما صنَعا فقال: (أيُّكما قتَله؟) فقال كلُّ واحدٍ منهما أنا قتَلْتُه فقال:

(هل مسَـحْتُما سـيفَيْكما؟) قُلْنا: لا، قال: فنظَر في السَّيفينِ فقال النَّبيُّ ﷺ: (كلاكما قتَله) ثمَّ قـضى بسـلَبِه لمُعاذِ بنِ عمرِو بـنِ الجَموحِ قال: والرَّجلانِ مُعاذُ بنُ عمرِو بـنِ الجموحِ ومُعاذُ بنُ عفراءَ.

أمـا ابنها خالد فاستشـهد يوم الرجيع سـنة أربعة مـن الهجرة، وغدر بـه وأصحابه عند بئر الرجيع.

فيـما استشـهد عامر يوم بئـر معونة وإياس يـوم اليمامة.. ومضى سـائر أولادها يجاهدون في سـبيل الله حتي نال كلٌّ منهم الشهادة، فلم تجزع، بل صبرت واحتسبت وتحلَّت بالرضا بقضاء الله، ولقبت عفراء بنت عبيد الأنصارية بأم الشهداء.

رضي الله عن عفراء وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

سلمى بنت عميس

رُويَ أن امرأة كانت صاحبة الهجرتين، تزوجت أسد الله حمزة، ثم رحل عنها شهيدًا في أُحد فصبرت واحتسبت.. إنها سلمى بنت عميس، أخت أسماء بنت عميس، ﷺ، وهي صحابية جليلة أسلمت منذ فجر الإسلام مع زوجها حمزة، وهاجرت معه إلى المدينة المنورة، وعاشت معه حتى استشهد في غزوة أحد، ومُثِّل به في الواقعة التاريخية الأليمة، فصبرت واحتسبت لتضرب مثلًا رائعًا في الصبر والإيمان.

وهي إحدى الأخوات اللاّتي قال فيهن رسول الله ﷺ: "الأخواتُ مؤمِناتٌ".

ثم تزوجت من بعد حمزة الصحابي شداد بن الهاد الليثي، حليف بني هاشم، وأنجبت له عبد الله بن شداد، الذي تربى مع ابنتها أمامة من حمزة عم رسول الله، أراد الله أن يكرمها عن صبرها بابنتها التي أصبحت هي الأخرى صحابية جليلة من خيرة الصحابيات، وكان لهجرتها في سبيل الله وكفالتها قصة جميلة، فبعد أداء الرسول، ﷺ، عمرة القضاء في العام السابع الهجري، وفي طريق العودة إلى المدينة كانت أمامة ما زالت تقيم في مكة، وأرادت الهجرة والخروج مع المسلمين العائدين إلى المدينة، فتبعتهم ونادت عليهم: يا عم.

فأجابها علي بن أبي طالب، ﷺ، وحملها مع زوجته فاطمة إلى المدينة المنورة، وهناك اختصم فيمن يكفلها ثلاثة كرام هم: علي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، ﷺ. فقال علي: أنا أخذتها، وهي ابنة عمي، وقال جعفر بن أبي طالب: ابنة عم. وقال زيد بن حارثة: ابنة أخي، فقد آخى رسول الله، ﷺ بينه وبين حمزة بعد الهجرة النبوية للمدينة. وقضى رسول الله، ﷺ لجعفر بن أبي طالب؛ لأنّ خالتها زوجته، وهي بمثابة أمها.

وعاشت أمامة في المدينة في كنف خالتها، تحيا في ظل الإسلام، وتنهل من معين الإيمان الصافي.. وتحت رعاية خير البرية، ﷺ، يشملها برعايته وحبه، فهي ابنة أخيه من الرضاعة وابنة عمه، وحين أشاروا عليه بالزواج منها قال: ابنة أخي من الرضاعة.

رضي الله عن سلمى وعن الصحابة أجمعين وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

أم سفيان الثوري

رُويَ أن امرأة جليلة كانت مثالًا للتضحية، ربَّت ولدها فكان أمير المؤمنين في الحديث.

تُعد من أعظم الأمهات، وهي واحدة من أجلِّ النساء، بل واحدة من أجلِّ وأعظم علماء الفقه والحديث، نعم لا نعرف اسمها، ولكن نرى ثمرة عملها، أم سفيان الثوري، والتي تُعد من أعظم الأمهات.

ولدها بن سعيد بن مسروق الثوري: وُلِدَ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِيْنَ اتِّفَاقًا، وَطَلَبَ العِلْمَ وَهُوَ حَدَثٌ بِاعتنَاءِ وَالِدِه المُحَدِّثِ الصَّادِقِ سَعِيْدِ بنِ مَسْرُوْقٍ الثَّوْرِيِّ، وَكَانَ وَالِدُهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّعْبِيِّ، وَخَيْثَمَةَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَمِنْ ثِقَاتِ الكُوْفِيِّيْنَ، وَعِدَادُهُ فِي صِغَارِ التَّابِعِيْنَ. مات في عام ١٢٦ هجرية حينئذ كان عمر سفيان ٢٩ سنة.

كان سفيان الثوري من عائلة فقيرة زاهدة، وكان لا بد له من العمل، كان يكفي شيئًا من مؤنة الأسرة، لكن الآمال المعقودة عليه كانت كبيرة لظهور نبوغه اللافت من طفولته: وُلِد بخراسان وفيها عاش طفولته ثم عاد إلى العراق، وعاش بالكوفة، قَالَ يَحْيَى بنُ أَيُّوْبَ العَابِدُ: حَدَّثَنَا أَبُو المُثَنَّى، قَالَ: سَمِعْتُهُم بِمَرْوَ يَقُوْلُوْنَ: قَدْ جَاءَ الثَّوْرِيُّ، قَدْ جَاءَ الثَّوْرِيُّ. فَخَرَجتُ أَنظُرُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ غُلاَمٌ قَدْ بَقَلَ وَجْهُهُ، وقال الوليد بن مسلم قال: رأيت الثوري بمكة يُسْتَفْتَى ولما يخط وجهه بعد.

رَأَى أَبُو إِسْحَاقَ السَّبِيْعِيُّ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ مُقْبِلًا، فَقَالَ: {وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مَرْيَمُ: ١٢].

قدر سفيان الثوري عند العلماء: عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: مَا رَأَيتُ رَجُلًا أَعْلَمَ بِالحَلاَلِ وَالحَرَامِ مِنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَقَالَ شُعْبَةُ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ، وَأَبُو عَاصِمٍ، وَيَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، وَغَيْرُهُم: سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ فِي الحَدِيْثِ، وأمير المؤمنين في الحديث هي درجة لا ينالها إلا من فاق في الحفظ والإتقان في علم الحديث، وقد حصل على اللقب عددٌ محدود من علماء الحديث، منهم: سفيان الثوري، وعبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم بن الحجاج.

في المقارنات يأتي سفيان الثوري على الأغلب أعلى من غيره.

وَقَالَ ابْنُ المُبَارَكِ: كَتَبتُ عَنْ أَلفٍ وَمائَةِ شَيْخٍ، مَا كَتَبتُ عَنْ أَفْضَلَ مِنْ سُفْيَانَ، قال: يُوْنُسَ بنَ عُبَيْدٍ: مَا رَأَيتُ أَفْضَلَ مِنْ سُفْيَانَ. فَقِيْلَ لَهُ: فَقَدْ رَأَيتَ سَعِيْدَ بنَ جُبَيْرٍ، وَإِبْرَاهِيْمَ بن أدهم،

وَعَطَاءً بن أبي رباح، وَمُجَاهِدًا بن جبر، وَتَقُوْلُ هَذَا؟ قَالَ: هُوَ مَا أَقُوْلُ: مَا رَأَيتُ أَفْضَلَ مِنْ سُفْيَانَ، وَقَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: قَالَ لِي ابْنُ عُيَيْنَةَ: لَنْ تَرَى بِعَيْنَيْكَ مِثْلَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ حَتَّى تَمُوْتَ، وسُئل أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، قَالَ: أَتَدْرِي مَنِ الإِمَامُ؟ الإِمَامُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، لاَ يَتَقَدَّمُهُ أَحَدٌ فِي قَلْبِي.

ويقول الفُضَيْلُ: كَانَ سُفْيَانُ -وَاللهِ- أَعْلَمَ مِنْ أَبِي حَنِيْفَةَ، وَقَالَ ابْنُ رَاهَوَيْه: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ مَهْدِيٍّ ذَكَرَ سُفْيَانَ، وَشُعْبَةَ، وَمَالِكًا، وَابْنَ الْمُبَارَكِ، فَقَالَ: أَعْلَمُهُم بِالعِلْمِ سُفْيَانُ، الأَوْزَاعِيَّ يَقُوْلُ: لَوْ قِيْلَ: اخْتَرْ لِهَذِهِ الأُمَّةِ رَجُلًا يَقُوْمُ فِيْهَا بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، لاَخْتَرْتُ لَهُم سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ.

وقال وكيع بن الجراح: "كان سفيان بحرًا"، وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بنُ عَيَّاشٍ: إِنِّيْ لأَرَى الرَّجُلَ يَصحَبُ سُفْيَانَ، فَيَعْظُمُ فِي عَيْنِي.

وأبي سفيان كان من رواة الحديث، وكذا إخوته المبارك وعمر، لكن التفوق والنبوغ يحتاج تفرُّغًا:

١- المكوث طويلًا عند العلماء.

٢- قضاء وقت طويل في المذاكرة والحفظ.

٣- تكثير عدد الشيوخ.

٤- الرحلة في طلب العلم.

وضعه والده على الطريق، لكن لا يستطيع إكمال المسيرة بالإنفاق الكامل عليه.

هنا يأتي دور الأمِّ:

التاريخ لا يحفظ لأمِّ سفيان الثوري إلا موقفين، ولكن ما أروعهما:

١- قَالَ الثَّوْرِيُّ: لَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَطْلُبَ الْعِلْمَ قُلْتُ: يَا رَبِّ إِنَّهُ لَابُدَّ لِي مِنْ مَعِيشَةٍ وَرَأَيْتُ الْعِلْمَ يُدْرَسُ فَقُلْتُ: أُفَرِّغُ نَفْسِي لِطَلَبِهِ، وَقَالَ: وَسَأَلْتُ رَبِّي الْكِفَايَةَ وَالتَّشَاغُلَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ فَمَا رَأَيْتُ إِلَّا مَا أُحِبُّ إِلَى يَوْمِي هَذَا.

قال وكيع بن الجراح (من تلامذة سفيان): قالت أم سفيان الثوري لسفيان: يا بني، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي.

٢- قال وكيع: قَالَتْ أم سُفْيَان الثَّوْرِي لسفيان: "يا بني، إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك، فإن لم تَرَ ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك".

بهذه الطريقة: وصل عدد شيوخ سفيان ٦٠٠ أو أكثر، قرأ القرآن عرضًا على حمزة الزيات أربع مرات، وتحوَّل التلميذ إلى أستاذ لبعض شيوخه، كان عَاصِمُ بنُ أَبِي النَّجُوْدِ الكوفي يَجِيْءُ إِلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، يَسْتَفْتِيْهِ، وَيَقُوْلُ: يَا سُفْيَانُ، أَتَيْتَنَا صَغِيْرًا، وَأَتَيْنَاكَ كَبِيْرًا.

وظلَّ سفيان على هذه الحالة الطالبة للعلم إلى وفاته في عام ١٦١هـ، وعمره حينئذ ٦٣عامًا، قيل لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: إِلَى مَتَى تَطلُبُ الحَدِيْثَ؟ قَالَ: وَأَيُّ خَيْرٍ أَنَا فِيْهِ خَيْرٌ مِنَ الحَدِيْثِ، فَأَصِيْرُ إِلَيْهِ؟ إِنَّ الحَدِيْثَ خَيْرُ عُلُوْمِ الدُّنْيَا.

رضي الله عن أم سفيان الثوري ورحمها، فقد كانت سببًا في تقديم هذه النابغة للأمة الإسلامية، وقد صارت هذه الأم قدوةً ومثلًا للرجال قبل النساء في الاهتمام بعلم الأبناء، وبالتضحية من أجل التفوُّق فيه.

وفي عصر الرسول محمد ﷺ برزت قصص عشرات النساء في حياة نبي الأمة، ممن كان لهن أثر عظيم في عصرهن والعصور التي تلته.

جميلة

رُويَ أن امرأة أسلمت وبايعت الرسول، وهي ابنة رأس النفاق، فكانت زوجة الشهيد وأم الشهيدين، إنها جميلة بنت عبد الله بن أُبي سلول. أبوها عبد الله بن أُبي بن سلول زعيم المنافقين، وقد كان يرجو أن يتوَّج ملكًا على يثرب قبل البعثة، فلما رأى الإسلام يكبر ويشتد أظهر الإسلام وأضمر النفاق.

أسلمت جميلة وبايعت النبي ثم تزوجت حنظلة بن أبي عامر ﷺ، الصحابي الجليل الذي كان أعجوبة في زواجه، كما كان آية في إقدامه وبطولته واستطشهاده، هو حنظلة بن أبي عامر الملقب بالراهب الأنصاري الأوسي، يقول ابن الأثير في كتابه أسد الغابة: حنظلة من سادات المسلمين وفضلائهم، وهو المعروف بغسِّيل الملائكة، أحد شهداء الأنصار في الغزوة الثانية من غزوات رسول الله -ﷺ، إنها غزوة أحد، عند الجبل الذي وصفه رسول الله بقوله: (أحد جبل يحبنا ونحبه)، الغزوة التي فيها الكثير الكثير من الدروس والعبر والبطولات والمواقف المشهودة والمشهورة، ومن أغربها قصة هذا الشهيد المبارك غسِّيل الملائكة.

في هذا اليوم تتبدَّى لنا شخصية عظيمة من رجال الأوس من أنصار رسول الله، ﷺ، أهل الإيمان والنصرة، والوفاء بالعهد، أمَّا أبوه فقد كان معاديًا للإسلام، أطلق عليه الرسول اسم "أبو عامر الفاسق"، ولم يكن حنظلة ﷺ راضيًا بما يفعله والده، وسأل رسول الله ﷺ أن يقتله، ولكن رسولنا الكريم أبى ومنعه من قتل أبيه، وتذكر كتب السيرة أن أبا عامر الفاسق كما سماه رسول الله ﷺ، رجع مع المشركين بعد أحد إلى مكة يجر ذيول الخيبة والخسران، فأقام بها حتى فتحها رسول الله ﷺ في السنة التاسعة للهجرة، فهرب الفاسق أبو عامر إلى أرض هرقل في الشام، فأقام بها حتى مات.

الزواج المبارك

تزوَّج حنظلة من جميلة بنت عبد الله بن أُبي بن سلول، التي كان زواجه منها في الليلة التي صبيحتها غزوة أحد، فاستأذن ﷺ النبي ﷺ في المبيت عندها فأذن له بذلك، فلما صلى الصبح عاد إليها، فأرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم عليه أنه دخل بها، فقيل لها: لِمَ فعلتِ هذا؟

قالت: رأيت كأن السماء انفرجت فدخل فيها حنظلة ثم أطبقت، فقلتُ: هذه والله الشهادة، فأحببتُ أن أُشهِد عليه، وما هي إلا سويعات كان يقضيها مع عروسه إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: حي على الجهاد، فهبَّ ﷺ من فراش الزوجية، وقام من فوره إلى الجهاد، ومضى يشق صفوف المشركين في ساحة القتال، حتى خلص إلى قائد المشركين أبي سفيان صخر بن حرب، وكاد أن يقضي عليه لولا أن أتاح الله له الشهادة.

وقد رُزِقا من ليلتهما بولد، وهو عبدُ الله بن حنظلة بن أبي عامر، واستشهد يوم الحَرَّة.

غِسِّيل الملائكة.

عن ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ قال بعد أن وجدوه في القتلى ورأسه يقطر ماء: "إن صاحبكم لتغسله الملائكة" يعني حنظلة، فاسألوا أهله من ما شأنه؟ فسئلت صاحبته (زوجته) فقالت: خرج وهو جُنب حين سمع الهائعة، فقال رسول الله ﷺ: لذلك غسلته الملائكة.

وقد ذكر السهيلي عن الوافدي وغيره أن حنظلة بن أبي عامر عندما عثر عليه في القتلى، وجدوا رأسه يقطر بالماء، ولم يكن الماء على مقربة منه. وهذا تأكيد لقول الرسول ﷺ: (إن صاحبكم تغسله الملائكة).

حنظلة ﷺ مفخرة للأوْس:

عن أنس ﷺ قال: "افتخر الحيّان من الأنصار: الأوس والخزرج، فقالت الأوس: مِنَّا غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب (حنظلة بن أبي عامر).

المرأة التي أسلمت وحسن إسلامها فاستشهد زوجها الذي كان يجاورها الفراش وفقدته في لحظات حتى خرج ولم يغتسل فغسَّلته الملائكة.

ثم استشهد ابناها عبد الله بن حنظلة بن أَبِي عامر الراهب ومحمد بن قيس بن شمّاس يوم الحرّة.

رضي الله عن جميلة وعن صحابة رسول الله وجمعنا بحبنا لهم في جنات النعيم.

علي بن أبي طالب

رُويَ أن شابًا نشأ في بيت النبوة، أول من أسلم من الصبيان، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ﷺ، وابن عم الرسول وصهره من آل بيته، رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وممن توفي ورسول الله ﷺ راضٍ عنهم.

اشتهر علي بن أبي طالب ﷺ بالفصاحة والحكمة، فينسب له الكثير من الأشعار والأقوال المأثورة، كما يُعدّ رمزًا للشجاعة والقوّة ويتّصف بالعدل والزُهد، ويعتبر من أكبر علماء عصره علمًا وفقهًا إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق ﷺ.

أمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، التي قيل إنها أول هاشمية تلد لهاشمي. أسلمت وهاجرت إلى المدينة المنورة، تُوفِّيت في حياة رسول الله ﷺ، فصلّى عليها وأثنى عليها رحمها الله.

مولده ونسبه

هو أصغر ولد أبيه أبي طالب بن عبد المطلب أحد سادات قريش والمسؤول عن السقاية فيها، ووالده من كفل رسول الله حين توفي والداه وجدّه عبد المطلب، فتربَّى ونشأ في بيتهما.

في بيت النبي

حين كان علي ﷺ ما بين الخامسة والسادسة من عمره مرت بمكة المكرمة سنين عُسرة أثّرت على الأحوال الاقتصادية، كان لأبي طالب ثلاثة أبناء: علي وعقيل وجعفر، فذهب إليه الرسول محمد ﷺ وعمه العباس بن عبد المطلب وعرضا عليه أن يأخذ كل منهما ولدًا من أبنائه يربيه ويكفله تخفيفًا للعبء الذي عليه، فأخذ العباس جعفر وأخذ الرسول ﷺ عليًّا ﷺ، فتربى في بيته وكان ملازما له أينما ذهب، فكان يذهب معه إلى غار حراء للتعبد والصلاة، كما يُذكر أنه كان قبل الإسلام حنفيًا لم يسجد لصنم قط طيلة حياته.

إسلامه ﷺ

أسلم علي بن أبي طالب -كرَّم الله وجهه وهو صغير، بعد أن عرض النبي محمد ﷺ الإسلام على أقاربه من بني هاشم تنفيذًا لما جاء في القرآن الكريم.

كما كان علي بن أبي طالب ﷺ أول من صلَّى مع النبي محمد ﷺ وزوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ﷺ بعد الإسلام.

أول فدائي في الإسلام

حين أجمع النبي على الهجرة إلى يثرب، اجتمع سادات قريش في دار الندوة واتفقوا على قتله، فجمعوا من كل قبيلة شابًا قويًا، وأمروهم بانتظاره أمام باب بيته ليضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل. جاء المَلَك جبريل عليه السلام إلى النبي وحذَّره من تآمر القرشيين لقتله، فطلب النبي من علي أن يبيت في فراشه بدلًا منه ويتغطَّى ببُرده الأخضر ليظن الناس أن النائم هو محمد، وبهذا غطَّى عليَّ هجرة النبي ﷺ وأحبط مؤامرة أهل قريش.

يعتبر علي بن أبي طالب ﷺ أول فدائي في الإسلام بموقفه في تلك الليلة، وكان محمدًا ﷺ قد أمره أن يؤدي الأمانات إلى أهلها ففعل، حيث كان أهل
قريش يضعون أماناتهم عند النبي محمد ﷺ لأمانته وحُسن خُلقه.

هجرته

بقي علي بن أبي طالب ﷺ في مكة المكرمة ثلاثة أيام حتى وصلته رسالة النبي عبر رسوله أبي واقد الليثي ﷺ يأمره فيها بالهجرة للمدينة المنورة.

خرج علي بن أبي طالب للهجرة إلى المدينة المنورة وهو في الثانية والعشرين من عمره، وحسب رواية ابن الأثير في أُسد الغابة فقد خرج علي ﷺ وحيدًا يمشي الليل ويكمن النهار.

علي بن أبي طالب في حياة النبي

بعد أن وصل علي بن أبي طالب ﷺ المدينة المنورة واستقر فيها، تزوج من فاطمة الزهراء ﷺ وأرضاها بنت النبي محمد في شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة، ولم يتزوج بأخرى في حياتها، وأنجب ﷺ منها الحسن والحسين ﷺ في السنتين الثالثة والرابعة من الهجرة على

التوالي. كما أنجب زينب وأم كلثوم ﵄.

كاتب الوحي

كان عليًا ﵁ موضع ثقة الرسول محمد ﷺ، فكان أحد كتَّاب الوحي الذين يدونون القرآن الكريم في حياة النبي محمد ﷺ، كما كان أحد سفرائه الذين يحملون الرسائل ويدعون القبائل للإسلام. واستشاره الرسول في الكثير من الأمور مثلما استشاره فيما يُعرف بحادثة الإفك.

شهد بيعة الرضوان، وأمره النبي حينها بتدوين وثيقة صلح الحديبية وأشهده عليها، كما ساهم في فض النزاعات وتسوية الصراعات بين بعض القبائل، وشهد ﵁ جميع المعارك مع الرسول إلا غزوة تبوك، التي خلفه فيها على المدينة وعلى عياله بعده، وقال له ﷺ: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي" وسلم له الراية في الكثير من المعارك.

براعته وشجاعته وقوَّته في القتال

عُرِفَ علي بن أبي طالب ﵁ ببراعته وقوته في القتال، وقد تجلى هذا في غزوات الرسول ﷺ.

في غزوة بدر، هزم علي كرم الله وجهه الوليد بن عتبة، وقتل ما يزيد عن عشرين من المشركين، وفي غزوة أحد قتل طلحة بن عبد العزى حامل لواء قريش في المعركة، كما أرسله النبي إلى فدك فأخذها في سنة ٦ هـ، واقتحم حصن خيبر متخذًا الباب درعًا له لشدة قوَّته في القتال، كما أنه ثبت مع النبي محمد ﷺ في غزوة حنين.

وقد كان لعلي ﵁ سيف شهير أعطاه له الرسول ﷺ في غزوة أحد عرف باسم ذي الفقار.

إدارته للدولة الإسلامية

استلم علي الخلافة خلفًا لعثمان ﵄ في وقت كانت الدولة الإسلامية تمتد من المرتفعات الإيرانية شرقًا إلى مصر غربًا، بالإضافة لشبه الجزيرة العربية بالكامل وبعض المناطق غير المستقرة على الأطراف.

منذ اللحظة الأولى في خلافته أعلن علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه أنه سيطبق مبادئ الإسلام وترسيخ العدل والمساواة بين الجميع بلا تفضيل أو تمييز، على الرغم من أن علي

بـن أبي طالـب ﷺ لم يقم بأي فتوحات طوال فترة حكمه إلا أنها اتصفت بالكثير من المنجزات المدنيـة والحضاريـة: منها تنظيم الشرطة، وإنشـاء مراكـز متخصصة لخدمة العامـة كدار المظالم ومربد الضوال وبناء السجون، وكان يدير حكمه انطلاقا من دار الإمارة.

كـما ازدهرت الكوفة في عهده وبُنيت بها مـدارس الفقه والنحو، وقد أمر علي بن أبي طالب ﷺ أبا الأسود الدؤلي بتشكيل حروف القرآن لأول مرة.

أخلاقه وصفاته ﷺ

كان عـلي بـن ابي طالب ذا مكانةٍ عالية من المعرفة والحِكمة، قال فيه عبد الله بن عبّاس:"كنّا إذا أتانـا الثَّبْـت عن علي ﷺ لم نَعْدل به"، وقال ابن شُـبرُمة: "إذا ثبـت لنا الحديث عن علي ﷺ أخذنـاه وتركنـا ما سـواه". وهو من أكثر الصحابة معرفةً بأمـور القضاء، فقد ثبت عن أنس بن مالك ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: "أرحمُ أمَّتي بأمَّتي أبو بَكرٍ، وأشدُّهم في دينِ اللهِّ عمر، وأصدقُهم حيـاءً عثـمانُ، وأقضاهم عليٌّ بنُ أبي طالبٍ". كما عُرِف عليّ بن أبي طالب ﷺ بكرمه وسـخائه، فـكان يرى أنّ قضاء حاجـة الآخرين أحبّ إلى قلبه ممّا في الأرض من ذهب وفضة، وقد بلغت الأوقاف التي أوقفها أربعين ألف دينار.

صـبر عـليّ بن أبي طالـب ﷺ في حياته كثيرًا، وذلك منذ صِغره حين أسـلم مع النبيّ ﷺ في المرحلـة السرّيـة من الدعوة، وفيما تعـرّض له في الغزوات والسرايا، والفِتـن التي واجهها أثناء خلافتـه، وكان يحثّ الصحابة على الصبر، وعُرِف عليّ بشـجاعته. ومن المواقف الشـاهدة على ذلك توشّحه رداء النبيّ -ﷺ- ونومه في فراشه طوال الليل، حماية له من القوم الذين يتربّصون به لقتله، وذلك عند هجرته -عليه السلام- وتعرُّضه للحبس والضرب من قِبلهم بسبب فِعله.

استشهاده

كان علي كرَّم الله وجهه يؤم المسـلمين في صلاة الفجر في مسـجد الكوفة، وفي أثناء الصلاة ضربه عبد الرحمن بن ملجم بسـيف مسـموم على رأسـه، فقال علي ﷺ جملته الشـهيرة:"فزت ورب الكعبة".

وتقول بعض الروايات أن علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه كان في الطريق إلى المسجد حين اغتاله ابن ملجم، ثم حُمل على الأكتاف إلى بيته وقال: "أبصروا ضاربي، أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، النفس بالنفس، إن هلكت، فاقتلوه كما قتلني وإن بقيت رأيت فيه رأيي" ونهى عن تكبيله بالأصفاد وتعذيبه. وجيء له بالأطباء الذين عجزوا عن معالجته، فلمَّا علم علي أنه ميت قام بكتابة وصيته، كما ورد في مقاتل الطالبيين ظل السم يسري بجسده إلى أن توفاه الله بعدها بثلاثة أيام تحديدًا ليلة ٢١ رمضان سنة ٤٠ هـ عن عمر يناهز ٦٤ سنة حسب بعض الأقوال.

أنس بن مالك

رُويَ أن شابًا نشأ في بيت النبي، لازمه في الحضر والسفر وهو في العاشرة من عمره خدم الرسول عشر سنين كاملة.

خادم الرسول

هو أكثرُ الأنصارِ روايةً عن رسولِ الله ﷺ، وكان مِنْ سعادتِه أَنْ خَدَمَ الرَّسولَ ﷺ عشرَ سنين كاملةً، أي كلّ العهدِ المدنيِّ في السِّيرةِ، ومع كونِه في العاشرةِ فقط مِنَ العمرِ يومَ بدأ خدمتَه للرَّسولِ ﷺ فإنَّه -لدقَّةِ فهمِه، وحِدَّةِ ذكائه- استوعب سُنَّةَ الرسولِ ﷺ بشكلٍ مذهلٍ، حتى صار مِنْ أوثقِ ناقليها. يُضاف إلى أهمِّيَّتِه رضي الله عنه أنَّه صَاحَبَ رسولَ الله ﷺ في الحَضَرِ والسَّفَرِ، حتى شَهِدَ معه بدرًا وأُحُدًا، للخدمةِ لا للقتالِ، مع أنَّه كان لا يتجاوز الثَّالثة عشرة مِنَ العمرِ. وكان لقربِه مِنَ الرَّسولِ ﷺ، يحفظ تمامًا ما يفعله، ويُقَلِّده تمامَ التَّقليدِ، ولهذا يقول أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ صَلَاةً بِرَسُولِ الله ﷺ مِنَ ابْنِ أُمِّ سُلَيْم" رواه الطبراني.

قَدَّم الإمامُ الذَّهَبِيُّ ترجمتَه بقولِه: "الإِمَامُ، المُفْتِي، المُقْرِئُ، المُحَدِّثُ، رَاوِيَةُ الإِسْلَامِ.. خَادِمُ رَسُوْلِ الله ﷺ، وَقَرَابَتُهُ مِنَ النِّسَاءِ، وَتِلْمِيذُهُ، وَتَبَعُهُ، وَآخِرُ أَصْحَابِهِ مَوْتًا".

هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي النجاري من بني عدي بن النجار، خادم رسول الله، وكنيته أبو حمزة.

نشأته

ولقد تربى أنس بن مالك رضي الله عنه على يد الرسول العظيم ﷺ تربية خاصة، فمنذ بلغ العاشرة من عمره أتت به أمه إلى الرسول، ﷺ، ليخدمه ويتربى على يديه، فقالت له: "هذا أنس غلامٌ يخدمك"، فقَبِله.

وروى الترمذي بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: "خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ، وَلاَ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، وَلاَ مَسَسْتُ خَزًّا قَطُّ وَلاَ حَرِيرًا وَلاَ شَيْئًا كَانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ الله ﷺ، وَلاَ

شَمَمْتُ مِسْكًا قَطُّ وَلاَ عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ". رواه الترمذي.

وَلَمَّا أتت بـه أمه إلى النبي ﷺ ليخدمـه، أخبرته ﷺ أنه كاتب، وهذه الميـزة العظيمة لم تكن متوفرة إلا في النفر القليل من أصحاب رسـول الله ﷺ، مما يدل على فطنة أنس ﷺ وذكائه منذ الصغـر، فقـد كان حينهـا لم يتجاوز العاشرة من عمـره، وقد كان هذا الذكاء وهـذه الفطنة من الأهمية بمكان؛ إذ حفظ ﷺ وفَقِه وتعلّم من رسول الله ﷺ.

مواقف من حياته

شـهد أنـس ﷺ غزوة بدر مع رسـول الله ﷺ، وكان يخدمـه، إذ كان عمره حينها اثني عشر عامًا. قَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ وَاللهِ لاَ أَذْهَـبُ وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّـوقِ، فَإِذَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَـضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِـي. قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْـهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ، "يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ". قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ. رواه مسلم.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: أَتَانِي مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ يَا مُعَاذُ؟ قَالَ: جِئْتُ مِـنْ عِنْـدِ نَبِـيِّ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: فَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: "مَنْ شَـهِدَ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ" قُلْـتُ: فَأَذْهَبُ فَأَسْـأَلُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: اذْهَبْ. فَأَتَيْتُ النَّبِـيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْـنُ جَبَـلٍ أَنَّكَ قُلْتَ: "مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ" قَالَ: "صَدَقَ مُعَاذٌ، صَدَقَ مُعَاذٌ، صَدَقَ مُعَاذٌ" رواه الطبراني.

وقال الزُّهْرِيّ: دَخَلْتُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِدِمَشْقَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: لاَ أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا أَدْرَكْتُ إِلَّا هَذِهِ الصَّلاَةَ، وَهَذِهِ الصَّلاَةُ قَدْ ضُيِّعَتْ. رواه مسلم.

رواية أنس للحديث وأثره في الآخرين

يعـد أنـس بن مالـك ﷺ من أكثـر الصحابة روايـة عن رسـول الله ﷺ؛ وذلـك لأنه لازَم الرسول الكريمَ ﷺ عشر سنوات، مرافقًا له وخادمًا ومتعلمًا منه. وقيل إنه في المرتبة الثالثة بعد ابن عمر وأبي هريرة ﷺ في كثرة الأحاديث التي رواها وحفظها من رسـول الله ﷺ، ومسـنده ألفان ومائتان وسـتة وثمانون حديثًا، اتفق له البخاري ومسـلم على مائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاري بثمانين حديثًا، ومسلم بتسعين حديثًا.

وفاة أنس بن مالك

عـن صفـوان بن هبيرة، عن أبيـه قال: قال لي ثابت البناني: قـال لي أنس بن مالك ﷺ: هذه شعرة من شعر رسول الله ﷺ فضعها تحت لساني. قال: فوضعتها تحت لسانه، فدُفن وهي تحت لسانه.

وقـد عـاش أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ على الأغلبِ إلى العامِ الثَّالثِ والتِّسـعين مِنَ الهجرةِ (أي زاد عمرُه على مائةِ عامٍ)، حيث مات بالبصرةِ، فكان آخر الصَّحابةِ موتًا بها، وبقي أصحابُه الثِّقاتُ إلى ما بعدَ العامِ الخَمسين بعدَ المائةِ، فساعد ذلك على نشرِ علمِه بشكلٍ كبيرٍ.

وقيل: تُوُفِّي سنة إحدى وتسعين، وقيل: سنة اثنتين وتسعين.

رضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

خبَّاب بن الأرت

رُويَ أن شابًا كان من السابقين الأوَّلين، وكان سادس ستة أسلموا على ظهر الأرض، عُذِّب عذابًا شديدًا ليترك الإسلام فثبت، وقيل عنه: أسلم راغبًا، وهاجر طائعًا، وعاش مجاهدًا.

وقد أسلم قبل أن يدخل رسول الله دار الأرقم.

نسبه

هو خبَّاب بن الأَرَتّ بن جندلة التميمي، سُبِي في الجاهلية فبيع في مكة، فكان مولى أم أنمار الخزاعية، حالف بني زهرة، وكان من السابقين الأولين.

حاله في الجاهلية

دفعت أم أنمار غلامها إلى أحد الحدَّادين في مكة ليعلمه صناعة السيوف، فما أسرع أن أتقن الغلام الصنعة! وتمكّن منها أحسن تمكُّن. ولما اشتد ساعد خبَّاب وصلب عوده استأجرت أم أنمار دكانًا، واشترت له عدة، وجعلت تستثمر مهارته في صنع السيوف. لم يمضِ غير قليل على خبَّاب حتى شُهر في مكة، وجعل الناس يقبلون على شراء سيوفه؛ لمَا كان يتحلى به من الأمانة والصدق وإتقان الصنعة.

وكان خبَّاب -على حداثة سنِّه- يتحلى بعقل الكلمة وحكمة الشيوخ؛ فكان كثيرًا ما يفكر في هذا المجتمع الجاهلي الذي غرق في الفساد من أخمص قدميه إلى قمة رأسه، راجيًا أن يرى بعينه مصرع الظلام، ومولد النور.

قصة إسلام خبَّاب بن الأرت

لم يطل انتظار خبَّاب كثيرًا، فقد ترامى إليه أن خيطًا من نور قد تألق من فم فتى من خيرة بني هاشم، يُدعى محمد بن عبد الله، فمضى إليه وسمع منه، فغمره سناه، فبسط يده إليه وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فكان سادس ستة أسلموا على ظهر الأرض.

أثر الرسول في تربية خبَّاب بن الأرَت

روى البخاري بسنده عن خبَّاب قال: أتيت النبي وهو متوسد بُرْدَةً وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر وجهه، فقال: "لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلاَّ اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ".

وفي البخاري أيضًا عن قيس قال: أتينا خبَّاب بن الأرت نعوده وقد اكتوى سبعًا، فقال: لولا أن رسول الله نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به.

أهم ملامح شخصيته

جرأة خبَّاب بن الأرت

لم يكتم خبَّاب إسلامه عن أحد، فما لبث أن بلغ خبره أم أنمار فاستشاطت غضبًا وتميزت غيظًا، وصحبت أخاها "سباع بن عبد العزى" ولحق بهما جماعة من فتيان خزاعة ومضر جميعًا إلى خبَّاب، فوجدوه منهمكًا في عمله، فأقبل عليه "سباع" وقال: لقد بلغنا عنك نبأ لم نصدقه. فقال خبَّاب: وما هو؟ فقال سباع: يشاع أنك صبأت، وتبعت غلام بني هاشم.

فقال خبَّاب في هدوء: ما صبأت، وإنما آمنت بالله وحده لا شريك له، ونبذت أصنامكم، شهدت أن محمدًا عبد الله ورسوله.

فما إن لامست كلمات خبَّاب مسامع "سباع" ومن معه حتى انهالوا عليه وجعلوا يضربونه بأيديهم ويركلونه بأقدامهم، ويقذفونه بما يصلون إليه من المطارق وقطع الحديد، حتى هَوَى على الأرض فاقدًا الوعي والدماء تنزف منه.

ثباته على الإسلام وصبره

ومع كل ما تعرَّض له من التعذيب الشديد على يد مشركي مكة، فإنه ثبت على الحق كالجبال، ورفض جميع أنواع الإغراءات ليرتد عن دينه. يرُويَ البخاري بسنده عن خبَّاب قال: كنت قَيْنًا بمكة، فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفًا، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد. قلت: لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يحييك. قال: إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال

وولد. فأنزل الله: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} [مريم: ٧٧، ٧٨].

خوفه وتقواه

وقد اغتنى خبَّاب في الشطر الأخير من حياته بعد فقر، وملك ما لم يكن يحلم به من الذهب والفضة، غير أنه تصرف في ماله على وجه لا يخطر ببال أحد؛ فقد وضع دراهمه ودنانيره في موضع بيته، يعرفه ذوو الحاجات من الفقراء والمساكين، ولم يشدد عليه رباطًا، ولم يُحكم عليه قفلًا، فكانوا يأتون داره ويأخذون منه ما يشاءون دون سؤال أو استئذان، ومع ذلك فقد كان يخشى أن يُحاسب على ذلك المال وأن يعذَّب بسببه.

بعض مواقف خبَّاب بن الأرت مع الرسول

عن عبد الله بن خبَّاب بن الأَرَتّ عن أبيه -وكان قد شهد بدرًا مع رسول الله- أنه راقب رسول الله الليلة كلها حتى كان مع الفجر، فلمَّا سلم رسول الله من صلاته، جاءه خبَّاب فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها. فقال رسول الله: "أجل، إنها صلاة رغب ورهب، سألت ربي فيها ثلاث خصال، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها، وسألت ربي أن لا يظهر علينا عدوًّا من غيرنا فأعطانيها، وسألت ربي أن لا يلبسنا شيعًا فمنعنيها."

وفاة خبَّاب بن الأرت

تُوفِّي خبَّاب بالكوفة سنة سبع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وصلى عليه علي بن أبي طالب حين منصرفه من صفين، ثم وقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على قبره قائلًا: رحم الله خبَّابًا، فلقد أسلم راغبًا، وهاجر طائعًا، وعاش مجاهدًا.

رضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

خالد بن الوليد

رُويَ أن شـابًا عادى الإسلام وحارب المسـلمين، وفي غزوة أُحد انتصر عليهم؛ ليهدي الله قلبه للإيمان حتى صار سيف الله المسلول.

إنـه خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي فارس وقائد، لقَّبه الرسـول بسـيف الله المسـلول، حارب في بلاد فارس وبلاد الروم وفي الشام، وتُوُفِّيَ ودُفن بعدها في حمص.

نشأته

والـده الوليد بن المغيرة كان سـيِّدًا في بني مخزوم ومن سـادات قريش، واسـع الثراء ورفيع النسـب والمكانـة، حتى إنـه كان يرفض أن تُوقد نارٌ غير ناره لإطعام الناس، خاصة في مواسـم الحجِّ وسوق عكاظ، ولُقِّبَ

بريحانة قريش؛ لأنه كان يكسـو الكعبة عامًا وقريش أجمعها تكسـوها عامًـا، وأُمُّه هي لبابة بنـت الحـارث الهلاليـة. كان أحدَ الاثنـين اللذين يُقاتلان بسـيفين في آن واحد هـو والزبير بن العوام، ويقود الفرس برجليه؛ ولذلك جعلته فروسيَّتُه أحد قادة فرسان قريش.

خالد قبل الإسلام

لم يُحارب خالد بن الوليد في غزوة بدر؛ لأنه كان في بلاد الشـام وقتها، وحارب المسلمين في غزوة أُحد، وكان صاحب دور رئيسي في كسر انتصار المسـلمين في غزوة أحد في نهاية الغزوة، وذلك بعد أن قتل مَنْ بقي من الرماة المسـلمين على جبل الرماة، والتفَّ حول جيش المسـلمين وطوَّقهم من الخلف، وقام بهجوم أدَّى إلى ارتباك صفوف جيش المسلمين في هذه الغزوة، وقَتَل من المسلمين عددًا كبيرًا.

في غـزوة الأحـزاب قـاد كتيبة مـن فرسـان المشركين محـاولًا اقتحـام الخندق الـذي حفره المسـلمون حمايـةً للمدينة، ولما أخفقت محـاولاتُ المشركين وانصرفوا منسـحبين، قام خالد مع عمـرو بـن العاص بحماية مؤخِّرتهم، ثم كان على رأس خيَّالة قريش الذين أرادوا أن يَحُولُوا بين المسلمين ومكة في غزوة الحديبية.

إسلام خالد بن الوليد

أسلم متأخِّرًا في السنة الثامنة من الهجرة، قبل فتح مكة بستة أشهر، وقبل غزوة مؤتة بنحو شهرين، وتعود قصة إسلام خالد بن الوليد إلى ما بعد معاهدة الحديبية؛ حيث أسلم أخوه الوليد بن الوليد، ودخل الرسول مكة في عمرة القضاء، فسأل الوليد عن أخيه خالد، فقال: "أَيْنَ خَالِدٌ؟" فقال الوليد: يأتي به الله.

فقال النبي ﷺ: "مَا مِثْلُهُ جَهِلَ الْإِسْلَامَ، وَلَوْ كَانَ يَجْعَلَ نِكَايَتَهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ". فأعجبه مقالة النبي فيه فتشجَّع وأسلم.

رحلة خالد إلى المدينة

يقول خالد عن رحلته من مكة إلى المدينة: (وددت لو أجد مَنْ أُصاحب، فلقيتُ عثمان بن طلحة، فذكرتُ له الذي أُريد فأسرع الإجابة، وخرجنا جميعًا فأدلجنا سرًّا، فلما كنا بالسهل إذا عمرو بن العاص، حتى قدمنا المدينة أول يوم من صفر سنة ثمان) فلما رآهم رسول الله قال لأصحابه: "رَمَتْكُمْ مَكَّةُ بِأَفْلَاذِ كَبِدِهَا".

وقال الرسول عن خالد: "نِعْمَ عَبْدُ اللهِ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ".

خالد بعد إسلامه

شارك خالد بن الوليد في أولى غزواته في غزوة مؤتة ضد الغساسنة والروم، يقول خالد: "قد انقطع في يدي يومَ مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلَّا صفيحة يمانية (وهي نوع من السيوف تكون عريضة النصل)"

وقال النبي ﷺ عندما أخبر الصحابة بتلك الغزوة: "أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ ابْنُ رَوَّاحة فَأُصِيبَ -وعيناه ﷺ تذرفان- حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ". فسُمِّيَ خالد من ذلك اليوم سيف الله.

ولقد أَمَّره الرسول ﷺ على إحدى الكتائب الإسلامية التي تحرَّكت لفتح مكة، وغزوة تبوك، وكان على مُقَدِّمة جيش المسلمين يوم حنين في بني سليم، فجُرح خالد، فعاده رسول الله، ونفث في جرحه فبرأ.

دور خالد في حروب الردة

أَمَّره الخليفة أبو بكر ﷺ بعد وفاة رسول الله على قتال المرتدين وهزيمتهم.

دور خالد في فتح فارس

بعد أن قضى أبو بكر الصديق ﷺ على فتنة الردة -التي كادت تُمَزِّق الأُمَّة وتقضي على الإسلام- توجَّه الصديق ببصره إلى العراق؛ يُريد تأمين حدود الدولة الإسلامية وكسر شوكة الفرس المتربصين بالإسلام.

دور خالد في فتح الشام

رأى أبو بكر الصديق أن يتَّجه بفتوحاته إلى الشام بعد أن ثَبَّت خالد بن الوليد ﷺ أقدامه في العراق، وبعد انتصاراته الكبيرة على الفرس؛ فقد كان خالد قائده الذي يرمي به الأعداء في أي موضع،

حتى قال عنه: "والله لأُنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد". وقد كان خالد عند حُسن الظن دائمًا.

في اليرموك

التقى المسلمون والروم في وادي اليرموك، وحمل المسلمون على الروم حملة شديدة، أبلَوْا فيها بلاءً حسنًا حتى كُتب لهم النصر في النهاية، وقُبيل المعركة تُوُفِّي أبو بكر وتولَّى الخلافة عمر بن الخطاب، الذي أرسل كتابًا إلى أبي عبيدة بن الجراح يأمره بإمارة الجيش وعزل خالد؛ لأن الناس فُتنوا بخالد؛ حتى ظنُّوا أن لا نصر بدون قيادته، ولكنَّ أبا عبيدة آثر أن يُخفي الكتاب حتى انتهاء المعركة وتبيّن النصر تحت قيادة خالد، وقد استُشهد من المسلمين في هذه الموقعة نحو ثلاثة آلاف، فيهم كثير من أصحاب رسول الله.

وكان له دورٌ بارزٌ في فتح دمشق وحمص وقِنِّسْرِين، ولم يَفُتُّ في عضده أن يكون واحدًا من جنود المسلمين، ولم يُوهن في عزمه أن يصير جنديًّا بعد أن كان قائدًا وأميرًا؛ فقد كانت غايته الكبرى الجهاد في سبيل الله، ينشده من أي موقع وفي أي مكان.

وفاة خالد

تُـوُفِّيَ خالـد بن الوليـد بحمص في ١٨ من رمضـان ٢١هـ، وحينما حضرته الوفاة انسـابت الدموع من عينيه حارَّة حزينة وهو يقول: "لقد حضرتُ كذا وكذا زحفًا وما في جسدي موضع شـبر إلَّا وفيـه ضربة بسـيف، أو رمية بسـهم، أو طعنة برمح، وهأنذا أمـوت على فراشي حتف أنفي، كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء". فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

زيد بن حارثة

رُويَ أن شابًا نشأ في بيت النبوة فكان حِبَ رسول الله، نزل فيه قرآن يُتلى إلى يوم الدين.
هو زيد بن حارثة، من بني قضاعة، هو أبو أسامة، حِب رسول الله.

مولَى رسول اللّه

قيل: إنه أصاب زيدًا سبيٌ في الجاهلية، وذلك حين خرجت أمه به تزور قومها بني معن، فأغارت عليهم خيل بني القين بن جسر، فأخذوا زيدًا، فقدموا به سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمَّتِه خديجة بنت خويلد، فوهبته خديجة للنبي ﷺ بمكة قبل النبوة، وبعد فترة أتى بعض قومه لفدائه، فقدموا مكة، وقالوا لرسول الله: جئناك في ابننا عندك فامنُن علينا، وأحسن إلينا في فدائه. فقال: "مَنْ هُوَ؟" قالوا: زيد بن حارثة. فقال رسول الله ﷺ: "فَهَلَّا غَيْرَ ذَلِكَ". قالوا: ما هو؟ قال:"ادْعُوهُ وَخَيِّرُوهُ، فَإِنِ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِنِ اخْتَارَنِي فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَى مَنِ اخْتَارَنِي أَحَدًا". قالا: قد زدتنا على النَّصْف وأحسنت.

فدعاه رسول الله ﷺ فقال: "هَلْ تَعِرْفُ هَؤُلاَءِ؟" قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي. قال: "أَنَا مَنْ قَدْ عَرَفْتَ، وَرَأَيْتَ صُحْبَتِي لَكَ، فَاخْتَرْنِي أَوِ اخْتَرْهُمَا". قال: ما أريدهما، وما أنا بالذي أختار عليك أحدًا، أنت مني مكان الأب والعم. فقالا: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وأهل بيتك؟! قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئًا، ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا. فلمَّا رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحِجْر، فقال: "يَا مَنْ حَضَرَ، اشْهَدُوا أَنَّ زَيْدًا ابْنِي، يَرِثُنِي وَأَرِثُهُ". فلمَّا رأى ذلك أبوه وعمُّه طابت نفوسهما وانصرفا.

ومع أن سند القصة ضعيف، فإن اشتهار القصة في كتب السيرة والتاريخ يعطي انطباعًا أن لها أصلًا، بالإضافة إلى أنه يشهد لها روايتان أخرتان.

ابن النبي بالتبني

كان النبي ﷺ قد تبنَّى زيدًا على عادة العرب في ذلك الوقت، وسماه زيد بن محمد، فلما حرَّم الله التبني سماه زيد بن حارثة، فعبد الله بن عمر رضي الله عنه ما قال:"مَا كُنَّا نَدْعُو زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إِلاَّ زَيْدَ

بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ﴾ [الأحزاب: ٥]"

زيد بن حارثة في القرآن

كان زيد من الصحابة الذين نزل في حقهم قرآن يتلى إلى يوم الدين، بل إنه الوحيد من صحابة رسول الله ﷺ الذي جاء اسمه في كتاب الله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا﴾[الأحزاب: ٣٧].

قال السعدي رحمه الله: "وكان سبب نزول هذه الآيات أن الله تعالى أراد أن يشرع شرعًا عامًّا للمؤمنين، أن الأدعياء ليسوا في حكم الأبناء حقيقة، من جميع الوجوه، وأن أزواجهم لا جناح على من تبناهم في نكاحهن.

وكان هذا من الأمور المعتادة التي لا تكاد تزول إلا بحادث كبير، فأراد أن يكون هذا الشرع قولًا من رسوله، وفعلًا، وإذا أراد الله أمرًا جعل له سببًا، وكان زيد بن حارثة يُدعى "زيد بن محمد" قد تبناه النبي ﷺ، فصار يُدعى إليه حتى نزل (ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ) فقيل له: "زيد بن حارثة".

وكانت تحته زينب بنت جحش -ابنة عمة رسول الله ﷺ- وكان قد وقع في قلب الرسول لو طلقها زيد لتزوَّجها، فقدَّر الله أن يكون بينها وبين زيد ما اقتضى أن جاء زيد بن حارثة يستأذن النبي ﷺ في فراقها.

بطل معركة مؤتة وأميرها الأول

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: بعثَ رسولُ اللهِ -ﷺ- جَيشَ الأمراءِ فقالَ: عليكُم زيدُ بنُ حارثةَ، فإن أصيبَ زيدٌ فجعفرُ بنُ أبي طالبٍ، فإنَ أُصيبَ جعفَرٌ فعبدُ اللهِ بنُ روَّاحة الأنصاريُّ فوثبَ جعفرٌ فقالَ: بأبي أنتَ وأمِّي يا رسولَ اللهِ ما كنتُ أرهبُ أن تَستَعملَ عليَّ زيدًا قالَ: امضِهْ، فإنَّكَ لا تدري أيٌّ ذلِكَ خيرٌ؟

وفاة زيد

وكانت مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمانٍ من الهجرة، وقُتل زيد يومئذ وهو ابن خمس وخمسين سنة. رضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

حمزة بن عبد المطلب

رُويَ أن شابًا نشأ في بيت النبوة فكان أسد الله وسيد الشهداء، عم النبي وأخوه في الرضاعة وصديق طفولته وشبابه، نشآ معًا وتآخيا معًا وترعرعا معًا، وبلغا أشدّهما معًا.

إسلام حمزة

ذات يوم خرج حمزة من داره، متوشحًا قوسه للصيد، ولمَّا عاد من قنصه، ذهب كعادته إلى الكعبة وهناك لقته خادمة لعبد الله بن جدعان، ولم تكد تبصره حتى قالت له: "يا أبا عمارة، لو رأيت ما لاقى ابن أخيك محمد آنفًا من أبي الحكم بن هشام، فذهب وتقدّم حمزة من أبي جهل، وهو وسط سادات قريش ثم استلّ قوسه وهوى به على رأسه فشجّه وأدماه، وقبل أن يفيق الجالسون من الدهشة، صاح حمزة في أبي جهل: "أتشتم محمدًا وأنا على دينه، أقول ما يقول؟! ألا فرُدّ ذلك عليّ إن استطعت".

ويرُويَ حمزة بقية النبأ فيقول: "ثم أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي، وبت من الشك في أمر عظيم، لا أكتحل بنوم، ثم أتيت الكعبة وتضرّعت إلى الله أن يشرح صدري للحق، ويذهب عني الريب فاستجاب الله لي وملأ قلبي يقينا. وغدوت إلى رسول الله بما كان من أمري، فدعا الله أن يثبت قلبي على دينه". وهكذا أسلم حمزة إسلام اليقين.

حمزة أسد الله وأسد رسوله

أعز الله الإسلام بحمزة الذي نذر كل عافيته وبأسه وحياته لله ولدينه حتى خلع النبي عليه هذا اللقب العظيم: "أسد الله، وأسد رسوله".

حمزة في غزوة بدر

أول سرية خرج فيها المسلمون للقاء عدو كان أميرها حمزة، وأول راية عقدها رسول الله لأحد من المسلمين كانت لحمزة، ويوم التقى الجمعان في غزوة بدر، كان أسد الله ورسوله هناك يصنع الأعاجيب حتى انتصر المسلمون نصرًا عزيزًا.

المؤامرة على حمزة بن عبد المطلب

وجاءت غزوة أحد، وكان زعماء قريش يهدفون بمعركتهم الجديدة هذه إلى رجلين اثنين: الرسول وحمزة ﷺ وأرضاه، ووكَّلوا المهمة لعبد حبشي اسمه وحشي.

قال له سيده: "اخرج مع الناس، وإن أنت قتلت حمزة فأنت عتيق" ثم أحالوه إلى هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان لتزيده تحريضًا ودفعًا إلى الهدف الذي يريدون.

وكانت هند قد فقدت في معركة بدر أباها، وعمها، وأخاها، وابنها، من أجل هذا كانت أكثر القرشيين والقرشيّات تحريضًا على الخروج للحرب، لا لشيء إلا لتظفر برأس حمزة مهما يكن الثمن.

جاءت غزوة أحد والتقى الجيشان، وتوسط حمزة أرض الموت والقتال مرتديًا لباس الحرب وعلى صدره ريشة النعام التي تعوّد أن يزيّن بها صدره في القتال، وراح يصول ويجول، لا يريد رأسًا إلا قطعه بسيفه، ومضى يضرب في المشركين حتى قاربوا النصر الحاسم، وحتى أخذت فلول قريش تنسحب مذعورة هاربة، ولولا أن ترك الرماة مكانهم فوق الجبل ونزلوا إلى أرض المعركة ليجمعوا غنائم العدو المهزوم، لكانت غزوة أحد مقبرة لقريش كلها؛ رجالها ونسائها، بل وخيلها وإبلها.

استشهاد حمزة بن عبد المطلب

رأى حمزة ما حدث فضاعف قوته ونشاطه وبلاءه، وأخذ يضرب عن يمينه وشماله، وبين يديه ومن خلفه، ووحشيّ هناك يراقبه، ويتحيّن الفرصة الغادرة ليوجه نحوه حربته فيقضي عليه.

ويرُوِيَ وحشي ما حدث:

"فلما قدمت مكة أُعتقت، ثم أقمتُ بها حتى دخلها رسول الله فخرجت حتى قدمت المدينة فلم يرني إلا قائمًا أمامه أشهد شهادة الحق، فلما رآني قال: أوحشيّ أنت؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: فحدّثني كيف قتلت حمزة، فحدّثته، فلما فرغت من حديثي قال: ويحك، غيِّب عني وجهك، فكنت أتنكّب طريق رسول الله ﷺ حيث كان، لئلا يراني حتى قبضه الله إليه.

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة حتى إذا رضيته منها دفعتها عليه فوقعت فيه، فإن كنت قد قتلت بحربتي هذه خير الناس وهو حمزة، فإني لأرجو أن يغفر الله لي إذ قتلت بها شرّ الناس مسيلمة"

قتلوه ومثّلوا به

هكذا سقط أسد الله ورسوله شهيدًا مجيدًا، وكما كانت حياته مدوّية، كانت موتته مدوّية كذلك، فلم يكتفِ أعداؤه بمقتله بل مثّلوا بجسده الكريم.

قال النبي وعيناه على جثمان عمّه: "لن أصاب بمثلك أبدًا، وما وقفت موقفًا قط أغيظ إليّ من موقفي هذا". ثم التفت إلى أصحابه وقال:"لولا أن تحزن صفيّة -أخت حمزة- ويكون سُنّة من بعدي، لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن، لأمثّلن بثلاثين رجلا منهم"، فصاح أصحاب الرسول: "والله لئن ظفرنا بهم يومًا من الدهر، لنمثّلن بهم مثلةً لم يمثلها أحد من العرب".

ولكن الله الذي أكرم حمزة بالشهادة، يكرّمه مرة أخرى بأن يجعل من مصرعه فرصة لدرس عظيم يحمي العدالة إلى الأبد، ويجعل الرحمة حتى في العقوبة والقصاص واجبًا وفرضًا، فقد جاء الوحي وهو في مكانه لم يبرحه بهذه الآية الكريمة:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٢٥ -١٢٦).

وكان نزول هذه الآيات، في هذا الموطن، خير تكريم لحمزة الذي وقع أجره على الله تعالى.

سيد الشهداء حمزة

لم يجد الرسول تحية يودّعه بها خيرًا من أن يصلي عليه بعدد الشهداء المعركة جميعًا حتى صلى على عمّه يومئذ سبعين صلاة.

وينصرف الرسول من المعركة إلي بيته، فيسمع في طريقه نساء بني عبد الأشهل يبكين شهداءهن، فيقول ﷺ من فرط حنانه وحبه: "لكنّ حمزة لا بواكي له!"

ويسمعها سعد بن معاذ فيظن أن الرسول ﷺ يطيب نفسًا إذا بكت النساء عمه، فيسرع إلى نساء بني عبد الأشهل ويأمرهن أن يبكين حمزة فيفعلن، ولا يكاد الرسول يسمع بكاءهن حتى يخرج إليهن، ويقول:"ما إلى هذا قصدت، ارجعن يرحمكن الله، فلا بكاء بعد اليوم". فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

الحسين بن علي

رُويَ أن شـابًا نشـأ في بيت النبوة فكان ريحانة رسول الله في الدنيا، وإمامًا وسيد شباب أهل الجنة.. إنه الحسين بن علي، ابن بنت رسول الله فاطمة الزهراء، السِّبْط الشهيد بكَرْبَلاء.

وُلِدَ الحسـينُ سـنة أربع مـن الهجرة، وله من الولـد: علي الأكبر، وعلي الأصغـر، والعَقِب، وجعفر، وفاطمة، وسكينة.

مكانة الحسين وفضله

رُويَت أحاديث عديدة تدل على فضله وتعلّق الرسول الكريم به وبأخيه الحسن، منها:

عن ابن عمر ﷺما قال: قال رسـول الله: "هما ريحانتاي من الدنيا" يعني الحسـن والحسـين ﷺما، وعن أبي سعيدٍ الخدري قال: قال رسول الله: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة".

وعـن زر، عـن عبد الله قال: قال رسـول الله: "هذان ابناي فمن أحبهما فقـد أحبني"، يعني الحسن والحسين ﷺما.

الحسين راويًا للحديث

عن علي بن الحسـين، عن الحسـين بن علي بن أبي طالب، عن النبي قال: "يصلي المريض قائمًا إن استطاع، فإن لم يستطع صلى قاعدًا، فإن لم يستطع أن يسجد أومأ وجعل سجوده أخفض من ركوعه، فإن لم يسـتطع أن يصلي قاعدًا صلى على جنبه الأيمن مسـتقبلًا القبلة، فإن لم يستطع أن يصلي على جنبه الأيمن صلى مستلقيًا رجله مما يلي القبلة".

وعن أبي محمد بن علي قال: حدثني أبي علي بن الحسـين، قال: حدثني أبي الحسـين بن علي، قـال: حدثنـي أبي عـلي بن أبي طالـب، قال: قال رسـول الله:"مـن عامل الناس فلـم يظلمهم، وحدثهـم فلـم يكذبهـم، ووعدهم فلـم يخلفهم، فهـو ممن كملـت مروءته، وظهـرت عدالته، ووجبت أخوَّته، وحُرمت غيبته".

يزيد بن معاوية ومحاولة أخذ البيعة من الحسين بن علي

بعد وفاة معاوية سـنة سـتين، وَلِي الخلافة يزيد بن معاوية، فلم يكن له همٌّ حين ولي إلا بيعة

النفر الذين أبوا على معاوية البيعة له، فكتب إلى عامله على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يأمره بأخذ البيعة من هؤلاء النفر الذين أبوا على معاوية استخلاف ولده، وعلى رأسهم الحسين بن علي.

وقد خرج الحسين تحت جُنح الظلام متجهًا إلى مكة، واستصحب معه بنيه وإخوته وجُلّ أهل بيته، وفي الطريق لقي ابنُ عمر وابن عباس الحسينَ وابن الزبير في طريقهما إلى مكة، وكان ابن عمر وابن عباس قادمَيْن منها إلى المدينة فسألاهما عما وراءهما، فقالا: قد مات معاوية، والبيعة ليزيد.

فقال لهما ابن عمر: "اتقيا الله، ولا تفرِّقا جماعة المسلمين".

مسير الحسين إلى العراق

قد جاء ابن عباس إلى الحسين بن علي فقال له: يا ابن عم، إني أَتَصَبَّرُ ولا أَصْبِر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك، إن أهل العراق قوم غُدر فلا تغترَنَّ بهم، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم أقدم عليهم، وإلا فَسِرْ إلى اليمن فإن به حصونًا وشعابًا ولأبيك به شيعة، وكن عن الناس في مَعزِل، واكتب إليهم وبثَّ دعاتك فيهم، فإني أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب.

فقال الحسين بن علي: يا ابن عم، والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكني قد أزمعت المسير. فقال له: فإن كنت ولا بد سائرًا فلا تسر بأولادك ونسائك، فوالله إني لخائف أن تُقتَلَ كما قُتِلَ عثمانُ ونساؤه وولده ينظرون إليه.

الحسين شهيدا

عندما أشرف الحسينُ بن علي على العراق، رأى طليعة لابن زياد، فلمَّا رأى ذلك رفع يديه فقال: "اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي من كل أمر نزل ثِقةً وعُدَّة، فكم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، فأنزلته بك وشكوته إليك، رغبة فيه إليك عمّن سواك، ففرجته وكشفته وكفيتنيه، فأنت لي وليُّ كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل غاية".

وقع القتال بين فئة صغيرة لا تبلغ الثمانين رجلًا وبين خمسة آلاف فارس وراجل، على أنه انضم إلى الحسين أفراد رأوا أن أهل العراق خانوا الحسين، وأن من واجبهم الاستماتة بين يديه،

فانتقلوا إليه مع معرفتهم بالموت الذي ينتظرهم، وكانت الواقعة، فقُتِلَ رجال الحسين على بكرة أبيهم (حوالي ٧٢ رجلًا)، وقتل الحسين بن علي معهم.

ثم بعث ابن زياد بالرؤوس، ومن بينها رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية بالشام، فدمعت عينا يزيد بن معاوية وقال: كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية (عبيد الله بن زياد)، أَمَا والله لو أني صاحبُه لعفوت عنه، ورَحِمَ اللهُ الحسين بن علي.

ثم أكرم يزيد بن معاوية نساء الحسين وأهله وأدخلهنَّ على نساء آل معاوية وهُنَّ يبكين ويَنُحْنَ على الحسين وأهله، واستمر ذلك ثلاثة أيام، ثم أرسل يزيد بن معاوية إليهن يسأل كل امرأة عما أُخِذَ منها، فليس منهنَّ امرأةٌ تدَّعي شيئًا بالغًا ما بلغ إلا أضعفه لها، ثم أمر يزيد بن معاوية النعمان بن بشير أن يبعث معهنَّ رجلًا أمينًا معه رجال وخيل يصحبهن أثناء السفر إلى المدينة، وعندما ودعهن يزيد قال لعلي بن الحسين (علي الأصغر): قبَّح الله ابن سمية! أما والله لو أني صاحب أبيك ما سألني خصلة إلا أعطيته إياها، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكنَّ الله قضى ما رأيت، ثم جهَّزه وأعطاه مالًا كثيرًا، وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول، وقال لعلي: كاتِبْنِي بكل حاجة تكن لك.

فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

أسامة بن زيد

رُويَ أن شابًا نشأ في بيت النبوة، وكان حِب رسول الله وابن حِبه.

إنه أسامة بن زيد بن حارثة، كان أبوه مولًى لرسول الله، ويكنّى أبا محمد، وهو مولى رسول الله من أبويه، وكان يسمى "حِبّ رسول الله".

وُلد ﷺ بمكة سنة ٧ قبل الهجرة، ونشأ حتى أدرك ولم يعرف إلا الإسلام لله تعالى ولم يُدن بغيره، وهاجر مع رسول الله إلى المدينة، وكان رسول الله يحبه حبًّا شديدًا، وكان عنده كبعض أهله.

أمه هي أم أيمن ﷺ، واسمها بركة، مولاة رسول الله وحاضنته، وكان زيد بن حارثة لخديجة فوهبته لرسول الله فأعتقه رسول الله وزوّجه أم أيمن بعد النبوة، فولدت له أسامة بن زيد ﷺ.

أثر الرسول في تربية أسامة بن زيد

في العام السادس من بعثة النبي وُلد لأمّ أيمن أسامة بن زيد، ﷺ، فنشأ وتربى ﷺ في أحضان الإسلام، ولم تنل منه الجاهلية بوثنيتها ورجسها شيئًا، وكان ﷺ قريبًا جدًّا من بيت النبوة، وملازمًا دائمًا للنبي ﷺ. ففي مسند الإمام أحمد عن أسامة بن زيد ﷺ قال: كنت رديف رسول الله (أي كان يركب خلفه) بعرفات، فرفع يديه يدعو، فمالت به ناقته فسقط خطامها. قال: فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى.

ومن ثَمَّ كان تأثره شديدًا برسول الله، وكان النبي يحبه حبًّا شديدًا. ففي البخاري بسنده عن أسامة بن زيد ﷺ حدَّث عن النبي أنه كان يأخذه والحسن ﷺ فيقول: "اللهم أحبهما؛ فإني أحبهما".

بل وكان النبي يأمر بحبِّ أسامة بن زيد ﷺ، فعن عائشة ﷺ قالت: لا ينبغي لأحد أن يبغض أسامة بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من كان يحب الله ورسوله فليحب أسامة". وكان نقش خاتم أسامة بن زيد ﷺ: (حِبّ رسول الله)، وقد زوّجه النبي وهو ابن خمس عشرة سنة.

دور أم أيمن في تربية أسامة بن زيد

أم أيمن ﵂ هي حاضنة النبي ﷺ، وهي إحدى المؤمنات المجاهدات اللاتي شاركن في المعارك الإسلامية مع رسول الله، فقد شهدت أُحدًا، وكانت تسقي المسلمين وتداوي الجَرْحَى، وشهدت غزوة خيبر، وقد روت أم أيمن ﵂ بعضًا من أحاديث رسول الله. قال ابن حجر في الإصابة: كان النبي يقول عنها: "هذه بقية أهل بيتي"، هذه المرأة المؤمنة التقية الورعة المجاهدة كانت أحد المحاضن التربوية التي

تخرَّج فيها أسامة بن زيد ﵁.

وقد استشهد زيد بن حارثة ﵁ زوج أم أيمن ووالد أسامة في مُؤْتة، واستشهد أيمن ابنها وأخو أسامة من أمه في حُنين، ففي هذه الأسرة المؤمنة المجاهدة نشأ هذا القائد الفارس الفذّ، وتربى على معاني الجهاد والدفاع عن الإسلام، مما جعل رسول الله يوليه إمارة الجيش الإسلامي وهو في الثامنة عشرة من عمره وفي الجيش كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وأصحاب السبق في الإسلام.

أسامة بن زيد قائد جيش المسلمين في غزو الروم

ولَّاه النبي -على صغر سنِّه- قيادة جيش المسلمين المتوجه لغزو الروم في الشام، وقال له: "يا أسامة، سر على اسم الله وبركته حتى تنتهي إلى مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك على هذا الجيش، فأغِر صباحًا على أهل أُبْنَى وحرق عليهم، وأسرع السير تسبق الخبر، فإن أظفرك الله فأقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلَّاء، وقدم العيون أمامك والطلائع". ثم عقد الرسول لأسامة اللواء، ثم قال: "امضِ على اسم الله".

أثره في الآخرين

روى عنه أحاديثَ النبي ثلاثون من الصحابة والتابعين، وممن روى عنه من الصحابة سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأبو هريرة (﵃م أجمعين). وممن روى عنه من التابعين سعيد بن المسيب، وإبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، وعامر بن شرحبيل، وشقيق بن سلمة، وغيرهم.

بعض الأحاديث التي رواها عن الرسول

روى البخاري بسنده عن أسامة بن زيد ﷺ، عن النبي، ﷺ، قال: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء".

وروى مسلم في صحيحه عن أسامة بن زيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: "لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم".

وفاته

اعتزل أسامة بن زيد ﷺ الفتن بعد مقتل عثمان ﷺ إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية ﷺ، حتى مات بالمدينة. رضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

الحسن بن علي

■ رُويَ أن شابًا نشأ في بيت النبوة، فكان سبط رسول الله وريحانته من الدنيا، وسيد شباب أهل الجنة، هو أبو محمد ابن السيدة فاطمة بنت رسول الله، وأبوه أمير المؤمنين علي. وقد وُلد الحسن في نصف رمضان سنة ٣هـ.

أثر الرسول في تربية الحسن بن علي

ظل الحسن بن علي يتربى على يد المصطفى ما يقرب من ثماني سنوات، ربّاه على عينه، وكان النبي يحبه حبًّا جمًّا، وقد تولّى النبي تربيته منذ اليوم الأول لولادته؛ فسمَّاه الحسن، وأذَّن في أذنه ليرسِّخ في قلبه معاني عظمة الله وليطرد عنه الشيطان، كما برّك النبي الحسن وحنّكه. وكان النبي يداعب الحسن كثيرًا، ويقبِّله ويعانقه حبًّا له وعطفًا عليه، كما كان النبي يؤصِّل في الحسن منذ الصغر حب الإصلاح بين المسلمين، ويربط هذا الأمر بالسيادة، فقد روى البخاري بسنده عن أبي بكرة أن النبي صعد بالحسن بن علي المنبرَ فقال: "ابني هذا سيِّد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين". وقد تحققت هذه النبوءة التي تنبّأ بها رسول الله بعد ذلك.

أهم ملامح شخصية الحسن بن علي

الحرص الواضح والدائم على حقن دماء المسلمين ووحدتهم، ويكسو هذا الحرص حياة الحسن طولًا وعرضًا، ويؤكد ذلك المواقف الكثيرة التي عاشها الحسن وتعايش معها انطلاقًا من هذا المبدأ العظيم.

وخير شاهد على ذلك تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية حقنًا لدماء المسلمين، وأبرم الصلح معه بعد بضعة أشهر من مبايعته للخلافة، فكان ذلك فاتحة خير على المسلمين؛ إذ توحَّدت جهودهم، وسمي عام ٤١هـ عام الجماعة، وعاد المسلمون للجهاد والفتوحات.

بعض مواقف الحسن بن علي مع الرسول

روى الإمام أحمد بسنده عن أبي الحوراء السعدي قال: قلت للحسن بن علي: ما تذكر من رسول الله؟ قال: أذكر أني أخذت تمرة من تمر الصدقة، فألقيتها في فِيَّ، فانتزعها رسول الله بلعابها

فألقاها في التمر. فقال له رجل: ما عليك لو أكل هذه التمرة؟. قال: "إنَّا لا نأكلُ الصدقة".

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: كنت مع رسول الله في سوقٍ من أسواق المدينة فقال النبي: "اللَّهُم إِني أُحِبهُ، فَأَحِبهُ، وَأَحِب مَنْ يُحِبهُ". وقال أبو هريرة: "فما كان أحدٌ أحب إليَّ من الحسن بن علي بعدما قال رسول الله ما قال".

بعض مواقف الحسن بن علي مع الصحابة

مع أبي بكر:

عن عقبة بن الحارث أن أبا بكر الصديق لقي الحسن بن علي فضمَّه إليه، وقال:"بأبي، شبيهٌ بالنبي ليس شبيهٌ بعلي". وعليٌّ يضحك.

مع أبي هريرة:

عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال: كنا مع أبي هريرة فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب فسلَّم علينا، فرددنا عليه السلام، ولم يعلم به أبو هريرة، فقلنا له: يا أبا هريرة، هذا الحسن بن علي قد سلم علينا. فلحقه وقال: وعليك السلام يا سيدي. ثم قال: سمعت رسول الله يقول:"إنه سيِّد".

أثر الحسن بن علي في الآخرين

عن الحسن بن علي قال: علمني رسول الله كلمات أقولهن في قنوت الوتر:"اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت".

بعض الأحاديث التي نقلها الحسن بن علي عن النبي

روى الترمذي بسنده عن أبي الحوراء السعدي قال: قلت للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله؟ قال: حفظت من رسول الله: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة".

بعض كلمات الحسن بن علي لما بويع له بالخلافة قال: "والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم". قالوا: ما هي؟ قال: "تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت". ولمَّا تمت البيعة خطبهم.

ورُوِيَ أنه كان يقول:"العَشاء قبل الصلاة يُذهب النفس اللوامة". ومن كلماته: "الدنيا ظل

زائـل"، ومـن كلماته أيضًا لبَنِيهِ وبني أخيه: "تعلَّمـوا؛ فإنكم صغار قوم اليوم، وتكونوا كبارهم غدًا، فمن لم يحفظ منكم فليكتب".

وفاة الحسن بن علي

توفي سنة ٤٩ من الهجرة، وقيل سنة خمسين عن ٤٧ عامًا. يقال: إنه مات مسمومًا، ودُفن في بقيع الغرقد بجانب أمه فاطمة الزهراء.

معاذ بن جبل

رُويَ أن شـابًا نشـأ في بيت النبوة فـكان أعلم الأمة بالحلال والحرام. هـو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، هو أبو عبد الرحمن، أسـلم وهو ابن ثماني عشرة سـنة، شهد العقبة مع السبعين وبدرًا، والمشاهد كلها مع رسول الله.

وأردفـه رسـول الله وراءه، وبعثه إلى اليمن بعد غزوة تبوك وشـيَّعه ماشـيًا ﷺ ومعاذ كان راكبًا.

معاذ من قُرَّاء الصحابة

عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت النبي يقول:"استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل".

معاذ أعلم الأمة بالحلال والحرام

عن أنس بن مالك قال: قال رسـول الله: "أرحَمُ أمَّتي بأمَّتي أبو بَكْرٍ، وأشـدُّهم في دينِ اللهَّ عُمـرُ وأصدقُهُـم حياءً عُثمانُ، وأقضاهُم عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأقرأُهُـم لِكتابِ اللهَّ أبيُّ بنُ كَعبٍ، وأعلمُهُم بالحلالِ والحرامِ مُعاذُ بنُ جبلٍ، وأفرضُهُم زيدُ بنُ ثابتٍ ألا وإنَّ لِكُلِّ أمَّةٍ أمينًا، وأمينَ هذِهِ الأمَّةِ أبو عُبَيْدةَ بنُ الجَرَّاحِ".

صفة معاذ بن جبل

عن أبي مسـلم الخولاني قال: أَتَيْتُ مَسْجِدَ دِمَشْـقَ فَإِذَا حَلْقَةٌ فِيهَا كُهُولٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِذَا شَـابٌّ فِيهِـمْ أَكْحَلُ الْعَيْنِ، بَرَّاقُ الثَّنَايَا، كُلَّمَا اخْتَلَفُـوا فِي شَيْءٍ يَرُدُّوهُ إِلَى الْفَتَى، فَقُلْتُ لِجَلِيسِي: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ.

معاذ بعد الهجرة

لزم معاذ بن جبل النبي منذ هجرته إلى المدينة، فأخذ عنه القرآن وتلقَّى شرائع الإسلام حتى صار أقرأ الصحابة لكتاب الله وأعلمهم بشرعِه، وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله.

عـن الصُّنَابحـي، عن معاذ بن جبل أنه قال: أخذ رسـول الله يومًا بيدي، فقال لي: "يا مُعاذُ، واللهَّ إنِّي لأحبُّـكَ، واللهَّ إنِّي لأحبُّـك"، فقالَ: "أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعنَّ في دُبُرَ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ".

وعـن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن معاذ بن جبل أراد سـفرًا فقـال: يَا نَبِيَّ اللهَّ أَوْصِنِي، قَالَ: اعْبُدِ اللهَّ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهَّ زِدْنِي، قَالَ: "إِذَا أَسَأْتَ، فَأَحْسِنْ"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ زِدْنِي، قَالَ: "اسْتَقِمْ وَلْيَحْسُنْ خُلُقُكَ".

معاذ بن جبل إلى اليمن

عـن عاصـم بن حميد عـن معاذ بن جبل قـال: لَمَّا بعَثه رسـولُ الله ﷺ إلى اليَمـنِ خرَج معه رسولُ الله ﷺ يوصِّيه، معاذٌ راكبٌ ورسولُ الله ﷺ تحتَ راحلتِه- فلمَّا فرَغ قال: "يا معاذُ، إنَّك عسى ألَّا تَلقاني بعدَ عامي هذا لعلَّك أنْ تمُرَّ بمسَجدي وقبري" فبكى معاذٌ خَشَعًا لِفراقِ رسولِ الله ﷺ ثمَّ التفَت ﷺ نحوَ المدينةِ فقال: "إنَّ أهلَ بيتي هؤلاءِ يرَوْنَ أنَّهم أَوْلى النَّاسِ بي وإنَّ أَوْلى النَّاسِ بي المتَّقونَ مَن كانوا وحيث كانوا".

عبادته واجتهاده

عـن ثور بـن يزيد قال: كان معاذ بن جبـل إذا تهجد من الليل قال: اللهـم قد نامت العيون وغـارت النجـوم وأنت حي قيوم: اللهـم طلبي للجنة بطيء، وهربي مـن النار ضعيف، اللهم اجعل لي عندك هدًى ترده إلي يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد.

مواعظ معاذ وكلامه:

عـن عبد الله بن سـلمة قـال: قال رجل لمعاذ بن جبل: علمني، قـال وهل أنت مطيعي قال: إني على طاعتك لحريص قال: صم وأفطر، وصلِّ ونم، واكتسب ولا تأثم، ولا تموتن إلا وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم.

وعـن معاويـة بن قرة قال: قال معاذ بن جبل لابنه: يا بني، إذا صليت فصلِّ صلاة مودع لا تظن أنك تعود إليها أبدًا، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسـنتين: حسـنة قدمها وحسـنة أخَّرها.

وعن الأسود بن هلال قال: كنا نمشي مع معاذ بن جبل فقال: اجلسوا بنا نؤمن ساعة.

مرض معاذ بن جبل ووفاته

عن طارق بن عبد الرحمن قال: وقع الطاعون بالشام فاستغرقها، فقال الناس: ما هذا إلا الطوفان، إلا أنه ليس بماء. فبلغ معاذ بن جبل فقام خطيبًا فقال: إنه قد بلغني ما تقولون، وإنما هذه رحمة ربكم ودعوة نبيكم، وكموت الصالحين قبلكم، ولكن خافوا ما هو أشد من ذلك، أن يغدو الرجل منكم من منزله لا يدري أمؤمن هو أو منافق، وخافوا إمارة الصبيان.

واتفق أهل التاريخ أن معاذ بن جبل مات في طاعون عمواس بناحية الأردن من الشام سنة ثماني عشرة، واختلفوا في عمره على قولين؛ أحدهما: ثمانٍ وثلاثون سنة، والثاني: ثلاث وثلاثون. فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

عبد الرحمن بن عوف

رُويَ أن شابًا نشأ في بيت النبوة فكان من السابقين والعشرة المبشَّرين بالجنة، كنَّى أبا محمد، وكان مولده في مكة بعد عام الفيل بعشر سنوات، هو أحد العشرة الذين شهد لهم النبي بالجنة، وأحد الستة الذين جعل عمر الشورى فيهم، وأخبر أن النبي توفي وهو عنهم راض.

كان رجلًا شريفَ النفس، عفيفَ اليد، كثيرَ المال، متينَ الحال، تجودُ يدُه بالأعطيات، وعينُه وقلبه بالعَبرات، فهو مثالٌ للغنيّ الشَّاكر، والتَّاجر النَّاجح، ولقد قال يومًا عن نفسه: "لقد رأَيْتُني لو رفَعْتُ حجَرًا لَوَجَدْتُ تحته فِضَّةً وذَهَبًا"، وكان من أكثر الصحابة الكرام ثراءً وبذلًا واجتهادًا.

إسلام عبد الرحمن بن عوف

أسلم قبل أن يدخل النبي دار الأرقم، وكان إسلامه على يد أبي بكر الصديق ﷺ، وكان عمره عند إسلامه ثلاثين عامًا.

ولقد نال عبد الرحمن بن عوف ﷺ ما نال الصحابة الكرام من إيذاء المشركين، فاضطُرَّ إلى الهجرة خارج مكةَ مرتين؛ مرةً إلى الحبشة، وأخرى إلى المدينة؛ حيث استقرَّ رسول الله ﷺ.

ملامح من شخصية عبد الرحمن بن عوف

من أهم ما يميز ملامح شخصية سيدنا عبد الرحمن بن عوف عفته، وظهر ذلك جليًا عندما آخى الرسول بينه وبين سعد بن الربيع، فقال له سعد: إن لي مالًا فهو بيني وبينك شطران، ولي امرأتان، فانظر أيها أحب إليك فأنا أطلقها فإذا حلَّت فتزوجها، فقال عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك، ثم قال: دلُّوني على السُّوق. وخرج إلى السوق، فاشترى، وباع، وربح حتى صار من أكثر المسلمين مالًا.

شجاعة عبد الرحمن بن عوف

شهد عبد الرحمن بدرًا والمشاهد كلها، وثبت مع النبي يوم أحد، حتى إنه حصلت له إصابات بالغة، فقيل إنه أصيب يوم أُحد بعشرين جراحة، وأن إحدى هذه الإصابات تركت

عرجًا دائمًا في إحدى ساقيه، كما سقطت يوم أحد بعض أسنانه، فتركت خللًا واضحًا في نطقه وحديثه ولقد صلى وراءه النبي في غزوة تبوك.

بعض المواقف من حياة عبد الرحمن بن عوف مع الصحابة

– ومن مواقفه مع الصحابة ما حدث بينه وبين سيدنا خالد بن الوليد، فقد اشتكى عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد للنبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ:"يا خالد، لم تؤذِ رجلًا من أهل بدر؟ لو أنفقت مثل أحد ذهبا لم تدرك عمله"، فقال: يا رسول الله إنهم يقعون في فأرد عليهم فقال:"لا تؤذوا خالدًا فإنه سيف من سيوف الله صبَّه الله على الكفار"

– ومن مواقفه أيضًا ما كان بينه وبين بقية أصحاب الشورى، والذين استخلفهم سيدنا عمر بن الخطاب لاختيار من بينهم خليفة المسلمين، فقد رُويَ أن عبد الرحمن بن عوف قال لأصحاب الشورى: هل لكم أن أختار لكم وأنتقي منها؟ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أول من رضي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:"أنت أمين في أهل السماء وأمين في أهل الأرض".

بعض المواقف من حياة عبد الرحمن بن عوف مع التابعين

ومن مواقفه مع التابعين ما كان بينه وبين نوفل بن إياس الهذلي فقد قال: كان عبد الرحمن بن عوف لنا جليسًا، وكان نِعم الجليس وإنه انقلب بنا ذات ويوم حتى دخلنا منزله ودخل فاغتسل ثم خرج فجلس معنا، فأتينا بقصعة فيها خبز ولحم، ولما وضعت بكى عبد الرحمن ابن عوف فقلنا له: ما يبكيك يا أبا محمد؟ قال: مات رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، ولا أرانا أُخِّرنا لهذا لما هو خير لنا.

من كلمات عبد الرحمن بن عوف

"ابتُلِينَا مع رسولِ اللهِ ﷺ بالضَّرَّاءِ فصَبَرْنا، ثم ابتُلِينا بعدَه بالسَّرَّاءِ فلم نَصْبِرْ".

وفاة عبد الرحمن بن عوف

كانت وفاته رضي الله عنه سنة إحدى وثلاثين، وهو ابن خمس وسبعين سنة بالمدينة، ودفن بالبقيع وصلى عليه عثمان وكان قد أوصى بذلك. فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

عبد اللّه بن عمر

رُويَ أن شابًا نشأ في بيت النبوة فكان أحد العبادلة الأربعة، زهد الخلافة واعتزل الفتنة.

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب من أكثر الصحابة رواية للحديث، فقد روى عن الرسول وعن أبيه وأبي بكر وعثمان، كان من المتقين الزاهدين، فزهد في الخلافة واعتزل الفتنة، مدحه كثير من الصحابة وأثنوا عليه، توفي بمكة ودفن بها.

نسب عبد اللّه بن عمر:

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب يُكنى بأبي عبد الرحمن، وأمه زينب بنت مظعون، وكان إسلامه بمكة مع إسلام أبيه، ولم يكن بَلَغ يومئذ. وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وكان عمره عشر سنين.

رواية عبد اللّه بن عمر للحديث

عبد الله بن عمر أحد العبادلة المكثرين مِن حفظ حديث رسول الله والرواية عنه، فقد روى عن النبي ﷺ فأكثر، وعن أبيه، وأبي بكر والصحابة.

له ألف وستمائة وثلاثون حديثًا (١٦٣٠)، اتفق البخاري ومسلم على مائة وسبعين (١٧٠)، وانفرد البخاري بواحد وثمانين (٨١)، ومسلم بواحد وثلاثين(٣١).

اتّباع بن عمر للرسول

كان عبد الله بن عمر حريصًا كل الحرص على أن يفعل ما كان الرسول يفعله، وكان يحفظ ما سمع من النبي ويسأل من حضر إذا لم يحضر عما قال أو فعل، وكان يتتبع آثار النبي، ويصلي في كل مسجد صلى فيه.

شهد مع النبي حجة الوداع فوقف معه بعرفة فكان يقف في ذلك الموقف كلما حج، ولا يفوته الحج في كل عام، وتقول في ذلك أم المؤمنين عائشة ﵂: "مَا رَأَيْتُ أَلْزَمَ لِلْأَمْرِ الْأَوَّلِ مِنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ". حتى إنّ النبي نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، فيصبُّ في أصلَها الماء لكيلا تيبس.

جهاد عبد الله بن عمر

شهد عبد الله بن عمر العديد من المشاهد على صغر سنه، فقد شهد كل المشاهد مع النبي ﷺ سوى بدر وأحد؛ حيث استصغره النبي وكانت بداية جهاده في غزوة الخندق، كما أنه شهد بيعة الرضوان، وشهد غزوة مؤتة واليرموك، وحضر يوم القادسية ويوم جلولاء وما بينهما من وقائع الفرس، وشهد فتح مصر، وقدم البصرة وشهد غزو فارس وورد المدائن مرارًا، وغزا إفريقية، وغير ذلك، وقد كان عمره يوم مات النبي ﷺ ثنتين وعشرين سنة.

تقوى عبد الله بن عمر

كان من أهل التقوى والورع والعلم والصلاح، وقد ورد عن النبي كلامًا يُذكر في محاسن عبد الله بن عمر، فعن حَفْصَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: "إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ."

وكان عبد الله مثل أبيه تهطل دموعه حين يسمع آيات النذير في القرآن؛ فقد جلس يومًا بين إخوانه فقُرئ: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}[المطففين]، فبكى حتى لم يستطع قراءة ما بعدها من الآيات.

علم عبد الله بن عمر

كان رضي الله عنه من فقهاء الصحابة المعدودين وأعلم صحابة رسول الله بمنهاجه، وقد أفتى المسلمين قرابة ستين سنة، فعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ: "كَانَ إِمَامَ النَّاسِ عِنْدَنَا بَعْدَ عُمَرَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَكَانَ إِمَامَ النَّاسِ عِنْدَنَا بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما "مكث ستين سنة يفتي الناس.

وكان عبد الله بن عمر شديد الحذر في روايته عن الرسول فكان يرُويَ الحديث كما سمعه من النبي من غير أن يزيد فيه ولا ينقص، فعن أبي جعفر قال: "لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا أَحْذَرَ أَنْ لَا يَزِيدَ فِيهِ وَلَا يُنْقِصَ مِنَ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما".

كما كان شديد الحذر والحرص في الفُتيا، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: "لَا عَلِمَ لِي بِهَا"، فَلَمَّا أَدْبَرَ الرَّجُلُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ:"نِعْمَ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ، سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا".

جود عبد الله بن عمر وكرمه وزهده

كان ابن عمر تاجرًا أمينًا ناجحًا، كثير الإنفاق في وجوه الخير، قال ميمون بن مهران: أتاه اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرَّقها، وذكر عنه ابن شعبان أنه اعتمر ألف عمرة وكان من أكرم أهل زمانه، وعن مالك أنه حج ستين حجة وأعتق ألف رأس وحبس ألف فرس.

موقف عبد الله بن عمر من الخلافة

رغم كل ما ذُكر عن عبد الله بن عمر من روايته للحديث واتباعه للرسول وجهاده وتقواه وعلمه وجوده وكرمه وزهده، إلا أنه عُرضتْ عليه الخلافة عدة مرات فلم يقبلها، فعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: "لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ جَاءَ النَّاسُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ، فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ سَيِّدُ النَّاسِ، وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، فَاخْرُجْ بِنَا حَتَّى نُبَايِعَ لَكَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَمَا وَاللهِ مَا دَامَ فِيَّ رَوْحٌ فَلَنْ يُهَرَاقَ فِيَّ مِحْجَمَةٌ مِنْ دَمٍ، فَعَاوَدُوهُ فَقَالُوا: إِنْ لَمْ تَخْرُجْ قَتَلْنَاكَ عَلَى فِرَاشِكَ، فَأَعَادَ لَهُمُ الْكَلَامَ مِثْلَ مَا قَالَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَ".

موقف عبد الله بن عمر من الفتنة

اعتزل أكثر الصحابة الفتنة وأبَوا أن يخوضوا في دماء المسلمين، ومنهم الصحابي عبد الله بن عمر، فقد حرص على ألا يقترب من الفتنة أبدًا ورفض استعمال القوة والسيف في الفتنة المسلحة بين عليٍّ ومعاوية، وكان الحياد شعاره ونهجه: فقيل له: "أتصلِّي مع هؤلاء ومع هؤلاء وبعضهم يقتل بعضًا؟ فقال: من قال حي على الصلاة، أجبته. ومن قال حي على الفلاح، أجبته. ومن قال حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله، قلت: لا".

أقوال الصحابة والتابعين في عبد الله بن عمر

كان لكثير من الصحابة والتابعين بعض الأقوال التي أثنوا بها على عبد الله بن عمر، ومن هذه الأقول ما قاله ابن مسعود: "إِنَّ مِنْ أَمْلَكِ شَبَابِ قُرَيْشٍ لِنَفْسِهِ عَنِ الدُّنْيَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ."

وعن عائشة ﵂ قالت: "ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من ابن عمر."

وفاة عبد الله بن عمر

توفي عبد الله ﵁ بمكة سنة ثلاث وسبعين، وقد مات وهو ابْنُ أربع وثمانين سنة، وهو آخر من مات بمكة من الصّحابة. فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

الأرقم بن أبي الأرقم

رُويَ أن شـابًا نشـأ في طاعة الله، أسـلم سابع سـبعة، ولازم رسـول الله وكانت داره مركزًا للدعـوة. اسـمه عبـد منـاف بـن أسـد بـن عبد الله بـن عمـرو بن مخـزوم، يكنّـى أبا عبـد الله.

إسلام الأرقم بن أبي الأرقم

كان مـن السـابقين الأولـين قيل أسـلم بعد عـشرة، وقال البخـاري له صحبـة، وذكره ابن إسحاق وموسى بن عقبة فيمن شهد بدرًا، وروى الحاكم في ترجمته في المستدرك أنه أسلم سابع سـبعة. وقد أسلم الأرقم على يد أبي بكر الصديق ﷺ، فعن عائشة زوج النبي قالت: خرج أبو بكر الصديق يريد رسـول الله وكان له صديقًا في الجاهلية، فلقيه فقال: يا أبا القاسـم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها فقال رسـول الله: إني رسـول الله أدعوك إلى الله عز وجل، فلما فرغ رسول الله من كلامه أسلم أبو بكر فانطلق عنه رسول الله وما بين الأخشبين أحد أكثر سرورًا منه بإسلام أبي بكر. ومضى أبو بكر وراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا، ثم جاء الغد عثمان بن مظعون وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم، فأسلموا ﷺ.

دار الأرقم ومكانتها في الإسلام

تُعد دار الأرقم ﷺ وأرضاه إحدى الدور التي كان لها دور هام في تاريخ الإسلام، فقد كانت المحضـن التربـوي الأول الـذي ربَّى النبي ﷺ فيه طليعـة أصحابه الذين حملوا معه المسـؤولية الكـبرى في تبليغ رسـالة الله تعالى، يقول ابن عبد البر: وفي دار الأرقـم ابن أبي الأرقم هذا كان النبي ﷺ مسـتخفيًا من قريش بمكة يدعو الناس فيها إلى الإسـلام في أول الإسلام حتى خرج عنها وكانت داره بمكة على الصفا فأسلم فيها جماعة كثيرة وهو صاحب حلف الفضول.

لماذا اختار النبي ﷺ دار الأرقم؟

١ - أن الأرقم لم يكن معروفًا بإسلامه، فما كان يخطر ببال قريش أن يتم لقاء محمد وأصحابه بداره.

٢ - أن الأرقـم بـن أبي الأرقم ﷺ وأرضاه من بني مخزوم، وقبيلة بني مخزوم هي التي تحمل

لواء التنافس والحرب ضد بني هاشـم، فلو كان الأرقم معروفًا بإسـلامه فلا يخطر في البال أن يكون اللقاء في داره، لأن هذا يعني أنه يتم في قلب صفوف العدو.

– ٣ كان الأرقم ﷺ فتىً عند إسلامه، فلقد كان في حدود السادسة عشرة من عمره، ويوم تفكـر قريـش في البحث عن مركز التجمع الإسـلامي، فلـن يخطر في بالهـا أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب محمد ﷺ، بل يتجه نظرها وبحثها إلى بيوت كبار أصحابه، أو بيته هو نفسه ﷺ، ومن ثم نجد أن اختيار هذه الدار كان في غاية الحكمة من جميع النواحي.

مواقف من حياته مع الرسول

عن الأرقم قال: قال رسول الله يوم بدر: "ضعوا ما كان معكم من الأثقال" فرفع أبو أسيد الساعدي سيف ابن عائذ المزربان فعرفه الأرقم بن أبي الأرقم فقال: هبْهُ لي يا رسول الله فأعطاه إياه.

وعنه أنه جاء إلى رسـول الله فسـلّم عليه فقال: "أين تريد؟" فقال: أردت يا رسول الله ههنا، وأومأ بيده إلى حيز بيت المقدس، قال: "ما يخرجك إليه، أتجارة؟" فقال: قلت لا، ولكن أردت الصـلاة فيـه، قـال: "الصلاة ههنـا، وأومأ بيـده إلى مكة، خير مـن ألف صلاة، وأومـأ بيده إلى الشام."

وفاة الأرقم بن أبي الأرقم

عـن محمـد بن عمران بن هند عن أبيه قال: حضرتْ الأرقم بن أبي الأرقم الوفاة فأوصى أن يصلي عليه سعد، فقال مروان: أتحبس صاحب رسول الله لرجل غائب أراد الصلاة عليه؟ فأبى عبـد الله بـن الأرقم ذلك على مروان، وقامـت معه بنو مخزوم ووقع بينهم كلام، ثم جاء سـعد فصلى عليه، وذلك سنة ٥٥ هـ بالمدينة وتوفي وهو ابن بضع وثمانين سنة.

فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

النعمان بن بشير

رُويَ أن شـابًا نشـأ في بيـت النبـوة، فهو أول مولود في الإسـلام بعد الهجـرة، فحنَّكه النبي وقال: "يعيش حميدًا ويُقتل شهيدًا ويدخل الجنة". إنه النعمان بن بشير.

يكنَّى عبد الله، ولم يدرك النعمان الجاهلية، فقد كان أول مولود ولد في الإسلام من الأنصار بعـد الهجـرة بأربعة عشر شـهرًا، حيث وُلِد بالمدينـة بعد الهجرة للأنصار في جمادى الأول سـنة ثنتـين مـن الهجرة، فأتت به أمُّه تحملـه إلى النبيِّ فحنّكه وبشرها بأنه يعيش حميدًا ويُقتل شـهيدًا ويدخل الجنة.

من مواقف النعمان بن بشير مع الصحابة

كان النعمان ذا منزلة من معاوية ﷺ، وكان معاوية يقول: يا معشر الأنصار تستبطئونني وما صحبني منكم إلا النعمان بن بشير، وقد رأيتم ما صنعت به وكان ولَّاه الكوفة وأكرمه.

من الأحاديث التي رواها النعمان بن بشير عن النبي

– عـن النعمان بن بشـير قال: بينَا رسـول الله في مسـير له إذ خفق رجل عـلى راحلته، فأخذ رجل من كنانته سهمًا فانتبه الرجل مذعورًا، فقال النبي:"لا يحل لمسلم أن يروّع مسلمًا".

– عن النعمان بن بشـير أن أباه نحلَه غلامًا، وأنه أتى النبي ليشـهده فقال:"أكل ولدك نحلته مثل هذا؟"قال: لا. قال:"فارددهُ".

وعن الشـعبي قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سـمعت رسول الله يقول وأومأ النعمان بإصبعيه إلى أذنيه: "إنَّ الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ، وبين ذلك مشتبهات لا يعلمها كثيرٌ من الناس، فمـن اتقـى المشـتبهات فقد اسـتبرأ لدينـه ولعِرضه، ومـن وقع في المشـتبهات وقـع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى أوشك أن يقع فيه، ألا إنَّ لكل ملك حِمى وإن حِمَى الله محارمه".

عن الشعبي عن النعمان بن بشير عن النبي قال:"مَثَلُ المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمَثَل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"

وعن النعمان بن بشـير قال: صلى بنا رسـول الله ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فقال:"سوُّوا صفوفكم ولا تختلفوا فيخالف الله عز وجل بينكم يوم القيامة."

فلقـد رأيتنـا وإن الرجل منـا ليلتمس بمنكبه منكـب أخيه وبركبته ركبة أخيـه وبقدمه قدم أخيه.

من كلمات النعمان بن بشير

عن سماك بن حرب قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: ألستم في طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيكم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه.

وفاة النعمان بن بشير

وبعد موت يزيد بن معاوية بايع النعمان لابن الزبير، فتنكَّر له أهل حمص، فخرج هاربًا فتبعه خالد بن خليٍّ الكلاعي فقتله سنة خمسٍ وستين للهجرة.

عبد اللّه بن أبي بكر الصديق

رُويَ أن شـابًا نشـأ في بيت النبوة، هو ابن الصدِّيق، وأخو أم المؤمنين عائشة، إنه عبد الله بن أبي بكر الصديق، صحابي من المسلمين الأوائل، وهو شقيق أسماء بنت أبي بكر.

دور عبد اللّه في الهجرة

قـال ابـن إسـحاق: أقام رسـول الله في الغار ثلاثًا ومعـه أبو بكر، وجعلـت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم، وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم، يسمع ما يأتمرون به وما يقولون في شأن النبي وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر.

وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ﷺ يرعى في عيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكـر فاحتلبـا وذبحا، فـإذا عبد الله بن أبي بكر غدَا من عندهما إلى مكـة، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفي عليه، حتى إذا مضت الثلاث وسكن عنهما الناس،

أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريهما وبعير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر ﷺ بسفرتهما، ونسـيت أن تجعل لها عصامًا، فلمَّا ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس لها عصام فتحل نطاقها فتجعله عصامًا، ثم علقتها به.

بعض كلمات عبد اللّه بن أبي بكر

كان عبـد الله قـد تزوج عاتكة، وكان بها معجبًا، فشـغلته عن أموره، فقـال له أبوه: طلقها، فطلقها، ثم ندم فقال

أعاتِـكُ لا أنسـاك مـا ذرَّ شـارق ... ومـا لاح نجـم في السـماء محلّـقُ

لهـا خلـق جـزل ورأي ومنصـب ... وخلـق سـوي في الحيـاة ومصـدَقُ

ولم أر مثـلي طلـق اليـوم مثلهـا ... ولا مـثلهـا في غـير شيء تطلـقُ

فلمَّا سمعه أبو بكر رقَّ له، فأمره بمراجعتها، فراجعها، ومات وهي عنده، ولها مرثية

وفاة عبد الله بن أبي بكر:

ذكـر أصحـاب المغازي أنه رُمي بسـهم في حصار الطائـف، فجرح، ثم اندمـل ثم انتقض، فمات في خلافة أبيه في شوال سنة إحدى عشرة،

ومات بعد رسول الله ﷺ بأربعين ليلة، قالوا: لما مات نزل حفرته عمر وطلحة وعبد الرحمن بن أبي بكر وكان يعد من شهداء الطائف.

معاوية بن أبي سفيان

رُويَ أن شـابًا نشـأ في بيت النبوة، فكان خليفة المسـلمين وأسَّـس الدولة الأموية. كنيته أبو عبد الرحمن، هو أحد أبناء أبو سفيان بن حرب، أمه هند بنت عتب، وأخته هي أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان.

نشأته وإسلامه

ولد معاوية بمكة قبل الهجرة بخمس عشرة سنة، وكان سِنه يوم الفتح ٢٣ سنة.

وأسلم معاوية يوم فتح مكة وهو من الطلقاء، وشهد غزوة حنين.

روايته للحديث

كان أحد كتَّاب النبي، رُويَ له عن النبي مائة وثلاث وستون حديثًا.

ولاية الشام

تولَّى معاوية ولاية الأردن في الشـام سـنة ٢١هـ في عهد عمر بن الخطاب، وبعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان من طاعون عمواس، ولَّاه عمر ولاية دمشق وما يتبع لها من البلاد، ثم جمع له الخليفة عثمان بن عفان على ولاية الشام كلها، فكان من ولاة أمصارها.

وبعد موت عثمان سنة ٣٥هـ خرج عن أمر خليفة المسلمين علي بن أبي طالب، ونادى بأخذ الثـأر مـن قتلـة الخليفة عثمان بن عفان وحـرَّض على قتالهم، وقبل ذلك وقعـت موقعة الجمل، حيث كانت السـيدة عائشـة مع جيش في قيادته طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وكانوا قد خرجوا جميعًا لأخذ الثأر من قتلة عثمان.

موقعة صفين

بعـد موقعـة الجمل اقتتل معاوية مع علي بـن أبي طالب، وكانت موقعـة صفين التي أنتهت بالتحكيـم الجـبري، وبعد مقتـل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تولَّى الحسـن بـن علي الخلافة، فثـار معاوية على الحسـن وحاربـه، فما كان من الحسـن إلا أن حقن دماء المسـلمين وأقام عهدًا

مـع معاوية ينص على أن الأمر يعود للمسـلمين لاختيـار خليفتهم بعد وفاة معاوية، وهذا ما لم يحدث.

معاوية خليفة المسلمين

وبموجب ذلك العهد تسـلَّم معاوية الحكم فأصبح خليفة المسلمين في دمشق عاصمة دولة الخلافة الإسلامية.

عام الجماعة

بعد العهد الذي أبرمه معاوية مع الحسـن بن علي بن أبي طالب بايعه المسلمون سنة ٤١ هـ، فسميّ ذاك العام بعام الجماعة، لاجتماع كلمة المسلمين فيه، وأصبح معاوية بن أبي سفيان خليفة جميع المسـلمين، واتَّخذ من دمشـق عاصمة ومقرًا للخلافة الأموية والدولة الإسـلامية، وعمل في فـترة خلافته على توحيد البلاد الإسـلامية وتقوية أواصر الدولة، وهو مؤسـس لأكبر دولة إسلامية في التاريخ، وهي الدولة الأموية.

الفتوحات الإسلامية في عهده

بعد قيام الدولة الأموية استُأنفت الفتوحات الإسلامية في عهد معاوية واتسعت رقعة بلاد المسلمين جهة بلاد الروم، وبلاد السند، وكابل، والأهواز، وبلاد ما وراء النهر، وشمال إفريقيا، حتى وصلت إلى أكبر اتساع لدولة في تاريخ الإسلام الدولة الاموية.

وقد أنشـأ معاوية أول أسـطول حربي في تاريخ الإسـلام، وفتح به جزيـرة قبرص وصقلية ومناطق وجزر في البحر الأبيض المتوسـط، ومن أجل بناء أسـطول إسلامي بحري قوي، أقام معاوية دارًا لصناعة السفن البحرية في مدن ساحل الشام وفي جزيرة الروضة.

ضرب الأمثال بحلم وسياسة معاوية

يعتبر معاوية رمزًا للدهاء والسياسة وكانت العرب تضرب به المثل في ذلك، ولعلّ أشهرها مصطلح شعرة معاوية، وهو كناية عن حسن السياسة أو الدبلوماسية في المصطلحات الحديثة، ولذلك كان يقول: (لو أنّ بيني وبين الناس شـعرة ما انقطعت، كانوا إذا مدّوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها).

وفاته

تـوفّي في دمشـق عن ٧٨ سـنة بعدما عهد بالأمـر إلى ابنه يزيد بن معاوية، ودفن في دمشـق، وكانـت وفاتـه في رجب سـنة ٦٠ هـ كان خلالها واليًا لمدة ٢٠ عامًـا، وخليفة ٢٠ عامًا أخرى. وكان عنـده شيء مـن شـعر رسـول الله ﷺ وقلامة أظفاره، فـأوصى أن تجعل في فمـه وعينيه، وقال: افعلوا ذلك وخلُّوا بيني وبين أرحم الراحمين.

عبد اللّه بن روَّاحة

رُويَ أن شـابًا نشأ في بيت النبوة فكان شـاعرًا وقائدًا عسكريًا، شهد مع النبي كل المشاهد، ولـد سـيدنا عبد الله بن روَّاحة بالمدينة، وعاش بهـا إلى أن وافته المنية في غزوة مؤتة بأرض بلقاء بالشام.

فِكره العسكري وحذَره وحِيطته

كان سيدنا عبد الله بن روَّاحة ممن يأخذون بالحذر في حياتهم، ويدل على ذلك لَمَّا بعثه النبي في سرية إلى يسـير بن رزام اليهودي وأراد أن يأخذ سـيف سـيدنا عبد الله بن رواحه ليقتله به، ففطن له سيدنا عبد الله بن رواحه فعاجله بقطع قدمه.

رفع معنويات الجند

لَمَّـا رأى المسـلمون كثـرة الـروم أرادوا أن يبعثوا إلى النبـي، فوقف فيهم سـيدنا عبد الله بن رواحه يبث فيهم الأمل ويرفع معنوياتهم، فقال كما ذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية:

"يـا قـوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشـهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإمَّا شهادة".

أهم المعارك ودوره فيها

كان ممن شهد العقبة، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء والمشاهد كلها مع النبي.

غزوة مؤتة

عـن عـروة بـن الزبير قال: بعث رسـول الله بعثـة إلى مؤتة في جمـادى الأولى من سـنة ثمان، واسـتعمل عليهم زيد بـن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بـن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن روَّاحة على الناس. فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف.

ولما التقى الجمعان اقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة بِرَاية رسول الله حتى شاط في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل القوم حتى قُتل، فكان جعفر أول المسلمين عُقر فرسه في الإسلام، فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن روَّاحة الراية ثم تقدَّم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد، ويقول:

أقسمت يا نفس لتنزلنّه ... لتنزلنّ أو لتكرهنه

إن جلب الناس وشدوا الرنّة ... ما لي أراك تكرهين الجنة؟!

قد طال ما قد كنت مطمئنة ... ها أنت إلا نطفة في شنَّة.

وقال أيضًا:

يا نفس إن لا تقتلي تموتي ... هذا حِمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أُعطيت ... إن تفعلي فعلهما هُديت.

يريد صاحبيه زيدًا وجعفرًا، ثم نزل، فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم، فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده فانتهس منه نهسة، ثم سمه الحطمة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا، ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه ثم تقدَّم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه.

وفاته

لقي سيدنا عبد الله بن روَّاحة ربَّه شهيدًا في غزوة مؤتة بأرض بلقاء بالشام في السنة الثامنة من الهجرة، رضي الله عنه وأرضاه.

قالوا عنه

قال عنه النبي ﷺ: "يَرْحَمُ اللهُ ابْنَ روَّاحة، إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تُبَاهَى بِهَا الْمَلاَئِكَةُ".

وذلك لما قال لرجل: هيا بنا نؤمن ساعة، فذهب الرجل إلى النبي، ﷺ، وقال له: إن ابن روَّاحة يرغب عن إيمانك بإيمان ساعة.

فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسنت سيرته.

عبد اللّه بن مسعود

رُويَ أن شـابًا نشـأ في بيت النبوة، فكان خادم النبي وصاحب نعليه وسرّه ووسادِه وسواكه وطَهوره، والأقرب له شكلًا ومذهبًا، والأكثر تأثُّرًا به وبهدْيه.

الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، الفقيه المحدِّث، أحد رواة الحديث، أسلم قبل دخول النبي دار الأرقم، وهو سـادس من دخل الإسـلام، فعنه أنَّه قال: "لقد رأيتني سـادس سـتَّةٍ ما على الأرض مسلمٌ غيرنا". وقد هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد مع رسول الله، وهو الذي أجهز على أبي جهل في غزوة بدر.

وقـد روى عـن النبـيِّ ﷺ ثمانمائـة وثمانية وأربعـين حديثًا اتَّفقـا على أربعة وسـتين، وانفرد البخاري بواحد وعشرين ومسلم بخمسة وثلاثين.

خدمة عبد اللّه بن مسعود للنبي

كان ملازمًا لرسول الله ﷺ دائمًا، وكان صاحب نعليه، يدخل على النبيِّ ويخدمه ويلازمه لا سيَّما في سفره، فعن ابْنِ عُتْبَةَ قَالَ: "كان عبد الله بن مسعود صاحب سواد رسول الله ﷺ (يعني سره)، ووساده (يعني فراشه)، وسواكه ونعليه وطَهوره؛ وهذا يكون في السفر".

أثر الرسول في تربية عبد اللّه بن مسعود

من أجل ملازمة عبد الله بن مسـعود ﷺ للنبيِّ ﷺ تأثَّر به وبهديه حتى قال فيه حذيفة:"ما أعرف أحدًا أقرب سمتًا وهديًا ودلًّا بالنبيِّ ﷺ من ابن أمِّ عبد".

وعـن أبي عطيَّـة قال:"دخلـت أنـا ومسروق على عائشـة فقلنا: يـا أمَّ المؤمنـين، رجلان من أصحـاب محمـد ﷺ أحدهما يُعجِّـل الإفطار ويُعجِّل الصـلاة، والآخر يُؤخِّـر الإفطار ويُؤخِّر الصـلاة. قالـت: أيُّهما الـذى يُعجِّل الإفطـار ويُعجِّـل الصلاة. قـال: قلنا: عبـد الله، يعني ابن مسعود. قالت: كذلك كان يصنع رسول الله ﷺ".

قـال عبد الله بن مسـعود: "قال لي النبـيُّ ﷺ: "اقْرَأْ عَلَيَّ". قلت: أقـرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: "فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْـمَعَهُ مِنْ غَيْرِي". فقرأت عليه سـورة النسـاء حتى بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا

جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، قال:"أَمْسِكْ". فإذا عيناه تذرفان"

مكانة عبد الله بن مسعود عند النبي

حظي ابن مسعود بمنزلةٍ كبيرةٍ عند النبيِّ، ﷺ، ولذلك قال عنه: "لَوْ كُنْتُ مُؤَمِّرًا أَحَدًا مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ لَأَمَّرْتُ عَلَيْهِمْ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ".

كما عاتب النبيُّ أصحابه حينما أمر عبد الله بن مسعود بصعود شجرةٍ يأتيه منها بشيء، فضحكوا من نحافة ساقيه، فقال ﷺ: "مَا تَضْحَكُونَ؟ لَرِجْلُ عَبْدِ اللهِ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ".

عن مسروق قال: ذكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجلٌ لا أزال أحبُّه بعد ما سمعت رسول الله يقول: "اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -فَبَدَأَ بِهِ- وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ".

عمر بن الخطاب يثني على ابن مسعود

وَلِي ابن مسعود رضي الله عنه قضاء الكوفة وبيت مالها في خلافة عمر بن الخطاب، وصدر من خلافة عثمان، ولمَّا سيَّره عُمر رضي الله عنه إلى الكوفة كتب إلى أهلها: "إنِّي قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرًا، وعبد الله بن مسعود معلِّمًا ووزيرًا، وهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ، من أهل بدر فاسمعوا، وقد جعلتُ ابن مسعود على بيت مالكم فاسمعوا وتعلَّموا منهما، واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي".

حال عبد الله بن مسعود مع القرآن

كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حسن الصوت بالقرآن، وهو أوَّل من جَهَر به بمكة بعد رسول الله ﷺ.

وقد مرَّ النبي ﷺ بابن مسعود وهو يقرأ القرآن حرفًا حرفًا، فقال: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ".

وفاة عبد اللّه بن مسعود

تُوُفِّي عبد الله بن مسعود في المدينة سنة اثنتين وثلاثين، ودُفِن في البقيع، وصلى عليه عثمان بن عفان والزبير بن العوام، وكان عمره يوم تُوفِّي بضعًا وستِّين سنة.

فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

أبو موسى الأشعري

رُويَ أن شـابًا نشـأ في بيت النبوة، هاجر الهجرتين وكان من أول المسـلمين، فأصبح الفقيه القارئ صاحب مزامير داوود.

هـو عبـد الله بن قيـس المكنَّي بـ أبي موسـى الأشـعري، غادر وطنه اليمـن إلى الكعبة فور سـماعه برسـول يدعو إلى التوحيد، وفي مكة جلس بين يدي الرسول الكريم وتلقى عنه الهدى واليقين، وعاد إلى بلاده يحمل كلمة الله.

أبو موسى الأشعري والسفينة

قال أبو موسـى الأشـعري: "بلغنا مخرج رسـول الله ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوانِ لي أنا أصغرهما، أحدهُما أبو بُرْدة والآخر أبو رُهْم، وبضع وخمسين رجلًا من قومي فركبنا سفينة، فألْقَتْنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافَقْنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إنّ رسول الله ﷺ بعثنا وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا".

أبو موسى الأشعري والقدوم على المدينة

قـال رسـول الله لأصحابه: "يقدُم عليكـم غدًا قومٌ هم أرقُّ قلوبًا للإسـلام منكـم"، فقدِمَ الأشعريون وفيهم أبو موسى الأشعري، فلمّا دَنَوْا من المدينـة جعلوا يرتجـزون يقولـون: "غدًا نلقى الأحبّـة، محمّـدًا وحِزبه"، فلمّا قدمـوا تصافحـوا، فكانوا هم أوّل مَنْ أحدث المصافحة.

واتفـق قدوم الأشـعريين وقدوم جعفر وفتـح خيبر، فأطعمهم النبي ﷺ مـن خيبر طُعْمة، وهي معروفة بـ "طُعْمَة الأشـعريين"، قال أبو موسى:"فوافَقْنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر، فأسْـهَم لنا، وما قسـم لأحد غاب عن فتح خيبر شيئًا إلا لمن شـهد معه، إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسَّم لهم معنا".

فضل أبو موسى الأشعري

ومن ذلك اليوم أخذ أبو موسى مكانه العالي بين المؤمنين، فكان فقيهًا حصيفًا ذكيًّا، ويتألق بالإفتاء والقضاء، حتى قال الشعبي: "قضاة هذه الأمة أربعة: عمر وعلي وأبو موسى وزيد بن

ثابت"، وقال: "كان الفقهاء من أصحاب محمد ﷺ ستة: عمر وعليّ وعبد الله بن مسعود وزيد وأبو موسى وأبيّ بن كعب.

أبو موسى الأشعري والقرآن

وكان من أهل القرآن حفظًا وفقهًا وعملًا، ومن كلماته المضيئة: "اتبعوا القرآن ولا تطمعوا في أن يتبعكم القرآن"، وإذا قرأ القرآن فصوته يهز أعماق من يسمعه، حتى قال الرسول: "لقد أوتي أبو موسى مزمارًا من مزامير آل داود"، وكان عمر يدعوه للتلاوة قائلًا: "شوِّقنا إلى ربنا يا أبا موسى ."

أبو موسى الأشعري والصوم

وكان أبو موسى رضي الله عنه من أهل العبادة المثابرين، وفي الأيام القائظة كان يلقاها مشتاقًا ليصومها قائلًا: "لعل ظمأ الهواجر يكون لنا ريًّا يوم القيامة".

أبو موسى الأشعري في مواطن الجهاد

كان أبو موسى رضي الله عنه موضع ثقة الرسول وأصحابه وحبهم، فكان مقاتلًا جسورًا، ومناضلًا صعبًا، فكان يحمل مسئولياته في استبسال جعل الرسول يقول عنه: "سيد الفوارس أبو موسى"، ويقول أبو موسى عن قتاله: "خرجنا مع رسول الله في غزاة، نقبت فيها أقدامنا، ونقبت قدماي، وتساقطت أظفاري، حتى لففنا أقدامنا بالخرق"، وفي حياة رسول الله ولَّاه مع معاذ بن جبل أمر اليمن.

أبو موسى الأشعري والإمارة

وبعد وفاة الرسول ﷺ عاد أبو موسى من اليمن إلى المدينة ليحمل مسئولياته مع جيوش الاسلام، وفي عهد عمر ولَّاه البصرة سنة سبع عشرة بعد عزل المغيرة، فجمع أهلها وخطب فيهم قائلًا: "إن أمير المؤمنين عمر بعثني إليكم أعلمكم كتاب ربكم وسنة نبيكم، وأنظف لكم طرقكم"، فدُهش الناس لأنهم اعتادوا أن يفقِّههم الأمير ويثقفهم، ولكن أن ينظف طرقاتهم فهذا ما لم يعهدوه أبدًا، وقال عنه الحسن رضي الله عنه: "ما أتى البصرة راكب خير لأهلها منه"، فلم يزل عليها حتى قُتِلَ عمر رضي الله عنه.

كما أن عثمان ﷺ ولّاه الكوفة، قال الأسود بن يزيد: "لم أرَ بالكوفة من أصحاب محمدٍ ﷺ أعلم من عليّ بن أبي طالب والأشعري".

أبو موسى الأشعري وأهل أصبهان

وبينما كان المسلمون يفتحون بلاد فارس، هبط الأشعري وجيشه على أهل أصبهان الذين صالحوه على الجزية فصالحهم، بيد أنهم لم يكونوا صادقين، وإنما أرادوا أن يأخذوا الفرصة للإعداد لضربة غادرة، ولكن فطنة أبي موسى التي لم تغِب كانت لهم بالمرصاد، فعندما هموا بضربتهم وجدوا جيش المسلمين متأهبًا لهم، ولم ينتصف النهار حتى تم النصر الباهر.

أبو موسى الأشعري في موقعة تستر

في فتح بلاد فارس أبلى القائد العظيم أبو موسى الأشعري البلاء الكريم، وفي موقعة التستر (٢٠ هـ) بالذات كان أبو موسى بطلها الكبير، فقد تحصَّن الهُرْمُزان بجيشه في تستر، وحاصرها المسلمون أيامًا عدة، حتى أعمل أبو موسى الحيلة، فأرسل مائتي فارس مع عميل فارسي أغراه أبو موسى بأن يحتال حتى يفتح باب المدينة، ولم تكد تُفتح الأبواب حتى اقتحم جنود الطليعة الحصن وانقضَّ أبو موسى بجيشه انقضاضًا، واستولى على المعقل في ساعات، واستسلم قائد الفرس، فأرسله أبو موسى إلى المدينة لينظر الخليفة في أمره.

وفاة أبو موسى الأشعري

لّما قاربت وفاته زادَ اجتهاده، فقيل له في ذلك، فقال: "إنّ الخيل إذا قاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من أجَلِي أقل من ذلك"، وجاء أجلُ أبو موسى الأشعري، وكست محياه إشراقة من يرجو لقاء ربه وراح لسانه في لحظات الرحيل يردد كلمات اعتاد قولها دومًا: "اللهم أنت السلام، ومنك السلام"، وتوفي بالكوفة في خلافة معاوية سنة اثنين وخمسين. فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

عبد اللّه بن الزبير

رُويَ أن شـابًا نشـأ في بيت النبوة، وكان أول مولود للمسـلمين بعد الهجرة وأحد العبادلة الأربعة، أبوه الزبير بن العوام، أمه السـيدة "أسـماء بنت أبي بكر الصديق" ذات النطاقين، وهو أحد الشجعان من الصحابة، وأحد من ولي الخلافة منهم.

مولد عبد اللّه بن الزبير:

ولـد ﷺ عـام الهجرة، وحفظ عن النبي وهو صغير، وحدَّث عنه بجملة من الحديث، وهو يُعَدّ أول مولود للمسـلمين في المدينة بعد الهجرة، وكان فرح المسـلمين بولادته كبيرًا وسعادتهم بـه طاغيـة؛ لأن اليهـود كانوا يقولون: سـحرناهم فلا يُولـد لهم ولد، فحنَّكه رسـول الله بتمرة لاكها في فِيه ثم حنّكه بها، فكان ريق رسول الله أول شيء دخل جوفه، وسمّاه عبد الله، وكنَّاه أبا بكر بجدِّه أبي بكر الصّدّيق.

ونشأ عبد الله بن الزبير ﷺ نشأة طيبة، وتنسَّم منذ صغره عبق النبوة، وكانت خالته السيدة عائشة ﷺ تُعنَى به وتتعهده، حتى كنيت باسمه، فكان يقال لها: "أم عبد الله"؛ لأنها لم تنجب ولدًا.

عـن هشـام بن عروة، عن أبيـه وزوجته فاطمة، قال: خرجت أسـماء حـين هاجرت حُبلى، فنفسـت بعبد الله بقباء، قالت أسـماء ﷺ: فجاء عبد الله ﷺ بعد سـبع سـنين ليبايع النبي، أمره بذلك أبوه الزبير ﷺ، فتبسم النبي حين رآه مقبلًا، ثم بايعه.

أهم ملامح شخصية عبد الله بن الزبير:

- كثرة حبه للعبادة بجميع أنواعها:

يـرُويَ عبـد الملـك بن عبد العزيز قال: قسَّـم عبد الله بن الزبير ﷺ الدهـر على ثلاث ليال؛ فليلة هو قائم حتى الصباح، وليلة هو راكع حتى الصباح، وليلة هو ساجد حتى الصباح.

- حبه الشديد للجهاد:

لم يكـن غريبًـا على من نشـأ هذه النشـأة الصالحة أن يشـب محبًّا للجهاد؛ فقد شـهد وهو في الرابعـة عشرة من عمره معركة اليرموك الشـهيرة سـنة (١٥هـ/ ٦٣٦م)، واشـترك مع أبيه في

فتح مصر، وأبلى بلاءً حسنًا.

موقف عبد اللّه بن الزبير مع عمر بن الخطاب:

تنبَّأ له عمر بن الخطاب ﷺ بمستقبل باهر؛ لَمَا رأى من رباطة جأشه وثبات قلبه واعتداده بنفسه، فقد مرَّ عمر بعبد الله وهو يلعب مع رفاقه من الصبيان، فأسرعوا يلوذون بالفرار هيبةً لعمر وإجلالًا له، في حين ثبت عبد الله بن الزبير ولزم مكانه، فقال له عمر ﷺ: ما لك لم تفر معهم؟ فقال عبد الله ﷺ: لم أجرِم فأخافك، ولم يكن الطريق ضيقًا فأوسع لك.

موقف عبد اللّه بن الزبير مع يزيد بن معاوية:

بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠هـ، حرص يزيد بن معاوية على أخذ البيعة من الأمصار الإسلامية، فلبَّت نداءه وبايعته دون تردد، في حين استعصت عليه بلاد الحجاز حيث يعيش أبناء الصحابة، وكان في مقدمة الممتنعين الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ﷺما، غير أن يزيد ألحَّ في ضرورة أخذ البيعة منهما، ولو جاء الأمر قسرًا وقهرًا لا اختيارًا وطواعية، ولم يجد ابن الزبير ﷺ مفرًّا من مغادرة المدينة والتوجه إلى مكة والاحتماء ببيتها العتيق، وسمَّى نفسه "العائذ بالبيت"، وفشلت محاولات يزيد في إجباره على البيعة.

وبعد استشهاد الحسين بن علي ﷺ في معركة "كربلاء" في العاشر من المحرم سنة (٦١هـ) التفَّ الناس حول ابن الزبير ﷺ، وزاد أنصاره سخطًا على يزيد بن معاوية الذي أرسل إليه جيشًا، وحاصر ابن الزبير ﷺ أربعة وستين يومًا، دارت خلالها مناوشات لم تحسم الأمر، وفي أثناء هذا الصراع جاءت الأنباء بوفاة يزيد بن معاوية فتوقف القتال.

ابن الزبير ﷺ خليفة للمسلمين

عقب وفاة يزيد بن معاوية بويع بالخلافة في (٧ من رجب ٦٤هـ)، ودخلت في طاعته ومبايعته الكوفة، والبصرة، ومصر، وخراسان، والشام معقل الأمويين، ولم يلقَ ابن الزبير ﷺ تحديًا في بادئ الأمر؛ فهو صحابي جليل تربَّى في بيت النبوة، واشتهر بالتقوى والصلاح والزهد والورع، والفصاحة والبيان والعلم والفضل، وحين تلفَّت المسلمون حولهم لم يجدوا خيرًا منه لتولي هذا المنصب الجليل.

بعض الأحاديث التي نقلها عبد الله بن الزبير عن النبي

عن أبي نعيم، حدثنا عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل، عن عباس بن سهل بن سعد، قال: سمعت ابن الزبير ﷺ على المنبر بمكة في خطبته يقول: يا أيها الناس، إن النبي كان يقول: "لو أن ابن آدم أُعطِي واديًا مَلْئًا من ذهب أحبَّ إليه ثانيًا، ولو أُعطي ثانيًا أحب إليه ثالثًا، ولا يسدّ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب"

ما قيل عن عبد الله بن الزبير:

- قال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- يومًا لابن أبي مُلَيْكة: صِفْ لنا عبد الله بن الزبير ﷺ. فقال: "والله ما رأيت نفسًا رُكّبت بين جَنْبين مثل نفسه، ولقد كان يدخل في الصلاة فيخرج من كل شيء إليه، وكان يركع أو يسجد فتقف العصافير فوق ظهره وكاهله، لا تحسبه من طول ركوعه وسجوده إلا جدارًا أو ثوبًا مطروحًا، ولقد مرَّت قذيفة منجنيق بين لحيته وصدره وهو يصلي، فوالله ما أحسَّ بها ولا اهتزَّ لها، ولا قطع من أجلها قراءته، ولا تعجَّل ركوعه".

- وسئل عنه ابن عباس ﷺ فقال على الرغم مما بينهما من خلاف: "كان قارئًا لكتاب الله، مُتَّبِعًا سُنة رسوله، قانتًا لله، صائمًا في الهواجر من مخافة الله، ابن حواريّ رسول الله، وأمه أسماء بنت الصديق، وخالته عائشة زوجة رسول الله، فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله".

- قال عمر بن قيس: "كان لابن الزبير مائة غلام، يتكلّم كل غلام منهم بلغة أخرى، وكان الزبير يكلّم كلَّ واحد منهم بلغته، وكنت إذا نظرتُ إليه في أمر دنياه قلت: هذا رجلٌ لم يُرِد الله طرفةَ عين، وإذا نظرتُ إليه في أمر آخرته قلت: هذا رجلٌ لم يُرِد الدنيا طرفة عين"

وفاة عبد الله بن الزبير:

بعث عبد الملك بن مروان بالحجاج الثقفي إلى الحجاز، وضرب حصارًا على مكة، فأصابت أهل مكة مجاعة كبيرة، وراح عبد الله بن الزبير ﷺ يسأل أمه أسماء بنت أبي بكر ﷺ، ماذا يفعل وقد تخلّى عنه الناس؟

فقالت له: "إن كنت على حقٍّ فامضِ لشأنك لا تمكّن غلمان بني أميّة، وإن كنتَ إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت! أهلكت نفسك ومن معك، القتل أحسن".

فقال: "يا أُمَّتِ، إني أخاف إن قتلوني أن يمثّلوا بي". قالت: "إنّ الشاة لا يضرُّها سلخها بعد ذبحها".

فخرج من عندها، وذهب إلى القتال، فاستشهد في المعركة في (١٧ من جمادى الأولى ٧٣هـ)، وبوفاته انتهت دولته التي استمرت نحو تسع سنين، وكان عُمر ابن الزبير ﷺ يوم استشهاده ٧٢ سنة. فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

صهيب الرومي

رُويَ أن شـابًا نشـأ في بيت النبوة فشهد كل المشـاهد مع النبي ولازمه ورافقه وافتدى نفسه بـكل مالـه ورحـل مهاجرًا. إنه صهيب بن سـنان، أبو يحيى، كان إسـلامه بعـد بضعة وثلاثين رجلًا. أمه من بني مالك بن عمرو بن تميم، وهو الرومي، قيل له ذلك؛ لأن الروم سَبَوه صغيرًا.

قـال ابن سـعد: وكان أبوه وعمه على (الأبلة) مدينة من جهة كـسرى، وكانت منازلهم على دجلـة مـن جهة الموصل، فنشـأ صهيب بالـروم فصار ألكن، ثم اشـتراه رجل مـن كلب فباعه بمكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان التميمي، فأعتقه.

حال صهيب الرومي في الجاهلية:

عاش صهيب طفولة ناعمة سـعيدة إلى أن سُبي بهجوم رومي، وقضى طفولته وصدر شبابه في بـلاد الـروم وأخذ لسـانهم ولهجتهم، ثم باعـه تجار الرقيق أخـيرًا لعبد اللـه بـن جدعان في مكة وأعجب سـيده الجديد بذكائه ونشـاطه وإخلاصه، ونتيجة إعجاب سيده بذكائه ونشاطه وإخلاصه أعتقه وحرَّره وأخذ يتاجر معه حتى أصبح لديه المال الكثير.

قصة إسلام صهيب الرومي:

يقول عمار بن ياسر: لقيت صهيب بن سـنان على باب دار الأرقم، ورسـول الله فيها، فقلت لـه: مـاذا تريد؟ فأجابني: مـاذا تريد أنت؟ قلت له: أريد أن أدخل على محمد فأسـمع ما يقول. قال: وأنا أريد ذلك..

فدخلنا على رسـول الله فعرض علينا الإسلام، فأسلمنا ثم مكثنا على ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا، ونحن مستخفيان. فكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلًا.

أثر الرسول ﷺ في تربية صهيب

عندما همَّ الرسـول بالهجرة، علم صهيب به، وكان من المفروض أن يكون ثالث الرسـول وأبي بكـر، ولكـن أعَاقَـه الكافرون، فسـبقه الرسـول وأبو بكـر، وحين اسـتطاع الانطلاق في الصحـراء، أدركـه قنَّاصة قريش، فصـاح فيهم: "يا معـشر قريش، لقد علمتـم أني من أرماكم

رجلًا، وايمُ الله لا تصلون إليّ حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ثم أضربكم بسيفي حتى لا يبقى في يدي منه شيء، فأقدموا إن شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي وتتركوني وشأني"...

فقبل المشركون المال وتركوه قائلين: أتيتنا صعلوكًا فقيرًا، فكثُر مالك عندنا، وبلغت بيننا ما بلغت، والآن تنطلق بنفسك وبمالك؟! فدلهم على ماله وانطلق إلى المدينة، فأدرك الرسول في قباء، ولم يكد يراه الرسول حتى ناداه متهللًا: "ربِح البيع أبَا يحيى.. ربِح البيع أبا يحيى"، فقال: يا رسول الله، ما سبقني إليك أحدٌ، وما أخبرك إلا جبريل.

فنزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[البقرة: ٢٠٧].

أهم ملامح شخصية صهيب الرومي:

الجود والإنفاق

كان صهيب جوادًا كريم العطاء، ينفق كل عطائه من بيت المال في سبيل الله، يعين المحتاج ويغيث المكروب، ويطعم الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا، حتى أثار سخاؤه المفرط انتباه عمر بن الخطاب فقال: "أراك تطعم كثيرًا حتى أنك تسرف"، فأجابه صهيب: لقد سمعت رسول الله يقول: "خياركم من أطعم الطعام وردَّ السلام، فذلك الذي يحملني على أن أطعم الطعام"

من مواقف صهيب الرومي مع رسول الله:

يتحدث صهيب عن ولائه للإسلام فيقول: "لم يشهد رسول الله مشهدًا قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضره، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضره، ولا غزا غزاة قط، أول الزمان وآخره، إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما خاف المسلمون أمامهم قط، إلا كنت أمامهم، ولا خافوا وراءهم، إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله بيني وبين العدو أبدًا حتى لقي ربه".

وكان إلى جانب ورَعه خفيف الروح، حاضر النكتة، فقد رآه الرسول يأكل رطبًا، وكان بإحدى عينيه رمد، فقال له الرسول ضاحكًا: "أتأكل الرطب وفي عينيك رمد؟"، فأجاب قائلًا: "وأي بأس؟ إني آكله بعيني الأخرى!"

من مواقف صهيب الرومي مع الصحابة

موقف صهيب مع عمر بن الخطاب:

روى البغوي من طريق زيد بن أسلم، عن أبيه، خرجت مع عمر حتى دخلت على صهيب بالعالية، فلما رآه صهيب قال: يا ناس يا ناس. فقال عمر: ما له يدعو الناس؟ قلت: إنما يدعو غلامه يحنس، فقال له: يا صهيب، ما فيك شيء أعيبه إلا ثلاث خصال؛ أراك تنتسب عربيًّا ولسانك أعجمي، وتكنى باسم نبي وتبذِّر مالك. قال: أمَّا تبذيري مالي، فما أنفقه إلا في الحق، وأمَّا كنيتي فكنَّانيها النبي، وأمَّا انتمائي إلى العرب فإن الروم سبتني صغيرًا، فأخذت لسانهم، ولمَّا مات عمر أوصى أن يصلي عليه صهيب، وأن يصلي بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام.

- كانت حياة صهيب مترعة بالمزايا والعظائم، فإن اختيار عمر بن الخطاب إياه ليؤم المسلمين في الصلاة مزية تملأ حياته ألفة وعظمة.

فعندما اعتُدي على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو يصلي بالمسلمين صلاة الفجر. وحينما أحس نهاية الأجل، راح يلقي على أصحابه وصيته وكلماته الأخيرة ثم قال: "وليصلِّ بالناس صهيب"

بعض ما روى صهيب الرومي عن النبي ﷺ:

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم، فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجِّنا من النار؟ قال: فيُكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم".

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: قال رسول الله: "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إنْ أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإنْ أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له".

وفاة صهيب الرومي:

مات صهيب في شوال سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين، وكانت وفاته في المدينة المنورة.

فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

بلال بن رباح

رُويَ أن شابًا نشأ في بيت النبوة فكان مؤذنَ الرسول وسيد المؤذنين.

بلال بن رباح الحبشي، مولى أبي بكر الصديق، اشتراه ثم أعتقه وكان له خازنًا، ولرسول الله مؤذنًا، وهو من السابقين الأوَّلين، وكان صادق الإسلام، طاهر القلب. اسم أبيه رباح، واسم أمه حمامة، وقد وُلد بعد حادث الفيل بثلاث سنين أو أقل.

قصة إسلام بلال

رُويَ أن رسول الله وأبا بكر اعتزلا في غار، فبينما هما كذلك إذ مرّ بهما بلال وهو في غنم عبد الله بن جدعان، فأطلع رسول الله رأسه من ذلك الغار، فقال:"يا راعي، هل من لبن؟" فقال بلال: ما لي إلا شاة منها قوْتي، فإن شئتما آثرتكما بلبنها اليوم. فقال رسول الله: "اِيت بها"، فحلبها رسول الله في القعب (الوعاء) حتى ملأه، فشرب حتى رُويَ، ثم حلب حتى ملأه فسقى أبا بكر، ثم احتلب حتى ملأه فسقى بلالًا حتى رُويَ، ثم أرسلها وهي أحفل ما كانت، ثم قال: "هل لك في الإسلام؟ فإني رسول الله". فأسلم، وقال:"اكتم إسلامك". ففعل.

ثم انصرف بغنمه وبات بها وقد أضعف لبنها، فقال له أهله: لقد رعيت مرعًى طيبًا، فعليك به. فعاد إليه ثلاثة أيام يستقيها ويتعلم الإسلام، حتى علم المشركون بإسلامه، فقاموا بتعذيبه أشد العذاب.

مكانة بلال بن رباح وفضله:

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله لبلال عند صلاة الغداة:"يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة؛ فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة". قال بلال: ما عملت عملًا في الإسلام أرجى عندي منفعة من أني لا أتطهر طهورًا تامًّا في ساعة من ليل ولا نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي.

وروى البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله قال: كان عمر يقول: "أبو بكر سيدُنا، وأعتق سيدَنا" يعني بلالًا.

وكان بلال أول من أذَّن للصلاة، وهو مؤذِّن الرسول. عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله: "نِعم المرء بلال، هو سيد المؤذنين، ولا يتبعه إلا مؤذن، والمؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة"

أثر الرسول في تربية بلال بن رباح

عن عبد الله بن محمد بن الحنفية قال: انطلقت أنا وأبي إلى صهرٍ لنا من الأنصار نعوده، فحضرت الصلاة، فقال لبعض أهله: يا جارية، ائتوني بوضوء لعلِّي أصلي فأستريح. قال: فأنكرنا ذلك عليه، فقال: سمعت رسول الله يقول: "قم يا بلال، فأرحنا بالصلاة".

لقد تربى بلال وتعلم في مدرسة النبوة، ورافق النبي كثيرًا، مما كان له الأثر الكبير في شخصيته. ولقد اكتشف النبي موهبته ومهارته وصوته الندي، فأمره أن يؤذن، فكان أول مؤذن في الإسلام.

أهم ملامح شخصية بلال بن رباح:

الصبر والثبات في سبيل الله:

قال عبد الله بن مسعود: "كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأمَّا رسول الله فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأمَّا أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأمَّا سائرهم فأخذهم المشركون وأُلبِسوا أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا، إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شِعاب مكة وهو يقول: أحد أحد"، وكان أُميّة بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره، ثم يقول: لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد. فيقول وهو في ذلك: أحدٌ أحد.

بعض مواقف بلال بن رباح مع الرسول:

روى البخاري بسنده، عن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه قال: سرنا مع النبي ليلة، فقال بعض القوم: لو عَرَّسْتَ بنا يا رسول الله. قال:"أخاف أن تناموا عن الصلاة". قال بلال: أنا أوقظكم، فاضطجعوا. فأسند بلال ظهره إلى راحلته فغلبته عيناه فنام، فاستيقظ النبي وقد طلع حاجب الشمس، فقال: "يا بلال، أين ما قلت؟ "قال: ما ألقيت عليَّ نومة مثلها قطُّ. قال: "إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها عليكم حين شاء، يا بلال، قُمْ فأذن بالناس بالصلاة".

وعـن أبي سـعيد الخـدري عن بلال قال: قال رسـول الله:"يا بـلال، اِلقَ الله فقـيرًا ولا تلقه غنيًّـا". قـال: قلت: وكيف لي بذلك يا رسـول الله؟ قال:"إذا رُزقت فلا تخبئ، وإذا سُـئلت فلا تمنع". قال: قلت: وكيف لي بذلك يا رسول الله؟ قال:"هو ذاك وإلا فالنار".

بعض مواقف بلال بن رباح

- مع ابن عمر

روى مسـلم بسـنده عن ابن عمر أن رسـول الله دخل الكعبة هو وأسـامة وبلال وعثمان بن طلحـة الحجبـي فأغلقها عليه ثم مكث فيها، قال ابن عمر: فسـألت بلالًا حين خرج، ما صنع رسـول الله؟ قال: "جعل عمودين عن يسـاره، وعمودًا عن يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه"، وكان البيت يومئذٍ على ستة أعمدة ثم صلى.

بعض الأحاديث التي رواها بلال بن رباح عن الرسول:

روى ابن ماجه بسنده، عن بلال بن رباح أن النبي قال له غداةَ جمعٍ: "يا بلال، أسكِت الناس أو أنصِت الناس"، ثم قال: "إن الله تطوَّل عليكم في جمعكم هذا، فوهب مسـيئكم لمحسـنكم، وأعطى محسنكم ما سأل، ادفعوا باسم الله".

وعن بلال قال: أذَّنت في غداة باردة، فخرج النبي فلم يرَ في المسجد أحدًا، فقال:"أين الناس؟" فقلت: حبسهم القُرُّ. فقال: "اللهم أذهب عنهم البرد". قال: فلقد رأيتهم يتروَّحون في الصلاة.

بعض كلمات بلال بن رباح:

كان يقول عن نفسه تواضعًا:"إنما أنا حبشي، كنت بالأمس عبدًا".

وعـن هند امـرأة بلال قالـت: كان بلال إذا أخذ مضجعـه قال: "اللهم تجاوز عن سـيئاتي، واعذرني بعلاتي."

وفاة بلال بن رباح:

لَّما احتضر بلال نادت امرأته: واحزناه! فقال:"واطرباه! غدًا ألقى الأحبة محمدًا وحزبَه".

وقد مات بدمشـق سـنة عشرين، فدُفن عند الباب الصغير في مقبرة دمشـق، وهو ابن بضع وستين سنة.

عمرو بن العاص

رُويَ أن شابًا كان قائدًا عسكريًا، وهو فاتح مصر.

يكنى بأبي عبد الله وأبي محمد، كان يحترف التجارة، كما كان من فرسان قريش، وكان أيضًا شاعرًا حسن الشعر، ولذلك أرسلته قريش إلى النجاشي ملك الحبشة ليرُدَّ عليهم مَنْ هاجر من المسلمين إلى بلاده، ولكن لم يستجب له النجاشي وردَّه خائبًا.

إسلام عمرو بن العاص

دخل عمرو الإسلام سنة ثمان للهجرة، قبل الفتح بنحو ستة أشهر؛ حيث قَدِمَ هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة المدينة مسلمين، فلمَّا دخلوا على رسول الله ونظر إليهم، قال: "رَمَتْكُمْ مَكَّةُ بِأَفْلَاذِ كَبِدِهَا".

وقد كان عمرو مجاهدًا شجاعًا يحبُّ الله ورسوله، ويعمل على رفع لواء الإسلام ونشره في مشارق الأرض ومغاربها، وكان رسول الله يعرف لعمرو شجاعته وقدرته الحربية؛ فكان يُوَلِّيه قيادة بعض الجيوش والسرايا، وكان يُحبُّه ويُقَرِّبه، وقد وجَّه رسول الله سريَّة إلى ذات السلاسل في جُمَادَى الآخرة سنة ثمان من الهجرة، وجعل أميرها عمرو بن العاص ﷺ وقد جعل النبي عمرو بن العاص واليًا على عمان، فظلَّ أميرًا عليها حتى تُوُفِّيَ النبي ﷺ.

فتوحات عمرو بن العاص

بعد وفاة النبي وفي خلافة أبي بكر الصديق شارك عمرو بن العاص في حروب الرِّدة وأبلى فيها بلاءً حسنًا، ثم قام أبو بكر بتوليته أميرًا على أحد الجيوش الأربعة التي اتجهت إلى بلاد الشام لفتحها، فانطلق عمرو بن العاص إلى فلسطين، وشارك في معركة اليرموك، وتمَّ فتح بلاد الشام، ثم تولَّى عمرو بن العاص إمارة فلسطين، وكان عُمر ﷺ يحبُّه ويعرف له قدره وذكاءه، فكان يقول عنه: "ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلَّا أميرًا.

عمرو بن العاص وفتح مصر

كان عمرو يتمنَّى أن يفتح الله على يديه مصر، فظلَّ يُحدِّث عمر بن الخطاب عنها حتى أقنعه، فأمَّره الفاروق قائدًا على جيش المسلمين لفتح مصر وتحريرها من أيدي الروم، ولكن بعد أن قام الخليفة باستشارة كبار الصحابة في الأمر رأوا ألَّا يدخل المسلمون في حرب قاسية، وقام عمر بن الخطاب ﷺ بكتابة رسالة إلى عمرو بن العاص جاء فيها: "إذا بلغتكَ رسالتي قبل دخولك مصر فارجع، وإلَّا فسِرْ على بركة الله". وحين وصل البريد إلى عمرو بن العاص وفطن إلى ما في الرسالة، لم يتسلَّمْهَا حتى بلغ العريش، فتسلَّمها وفضَّها، ثم سأل رجاله: "أنحن في مصر الآن أم في فلسطين؟ "فأجابوا: "نحن في مصر". فقال: "إذن نسير في سبيلنا كما يأمر أمير المؤمنين".

عمرو بن العاص حاكمًا لمصر

قضى عمرو بن العاص في فتح مصر ثلاث سنوات، وقد استقبله أهلها بالكثير من الفرح والترحيب؛ لمَا عانوه من قسوة الروم وظلمهم، وقد كانوا خير العون لعمرو بن العاص ضد الروم، وكان عمرو ﷺ يقول لهم: يا أهل مصر، لقد أخبرَنا نبينا أن الله سيفتح علينا مصر، وأوصانا بأهلها خيرًا؛ حيث قال: "إِذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا".

دور عمرو بن العاص في الفتنة

أثناء خلافة عثمان بن عفان قام بعزل عمرو عن ولاية مصر وولَّى عليها عبد الله بن سعد العامري، عاد بعدها عمرو إلى المدينة المنورة، وبعد مقتل عثمان بن عفان، سار عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان وشهد معه معركة صفين، ولمَّا اشتدَّت الحرب على معاوية أشار عليه عمرو بطلب التحكيم، فرُفعت المصاحف طلبًا للهدنة، ولما رَضِيَ علي بن أبي طالب بالتحكيم، وُكِّل عمرو بن العاص حكمًا عن معاوية بن أبي سفيان، كما وُكِّل أبو موسى الأشعري حكمًا عن علي بن أبي طالب.

ثم إن معاوية أرسله على جيش إلى مصر فأخذها من محمد بن أبي بكر، ثم ولَّاه معاوية على مصر حتى وفاته.

وفاة عمرو بن العاص

توفي عمرو بن العاص ﷺ سنة (٤٣هـ = ٦٦٣م)، وقد تجاوز عمره ٩٠ عامًا، وقد روى عن النبي ﷺ ٣٩ حديثًا، فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

عبد اللّه بن عباس

رُويَ أن شـابًا نشـأ في بيت النبوة فصار حَبْر الأمَّة وتُرجُمَان القرآن، هو ابن عم رسـول الله وأحد أهم علماء المسلمين ومفسريها، أمُّه أمُّ الفضل لبابة بنت الحارث الهلاليَّة، وُلِد وبنو هاشم بالشِّعب قبل الهجرة بثلاث سنوات، وكان له عند موت النبيِّ ثلاث عشرة سنة.

فعن عبد الله بن عباس قال: "قُبِضَ النبيُّ ﷺ وأنا ابن عشر سنين مختون"، وفي رواية: (وأنا ابن خمس عشرة سنة).

عن عبد الله بن عمر ﷺ: قال: "نِعمَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ".

علم ابن عباس الغزير

دعا النبي لابن عباس فقال: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وعلّمهُ التَّأْوِيل."

وعن ابن عباس قال: "دعا لي رسول الله أن يُؤتيني الله الحكمة مرَّتين".

فكان يُسـمَّى الحبر والبحر لكثرة علمه وحِدَّة فهمه. وعن الشـعبي رحمه الله قال: قيل لابن عباس: أنَّى أصبت هذا العلم؟ قال: بلسانٍ سئول، وقلبٍ عقول.

وثبت عن عمر بن الخطاب أنَّه كان يُجلس ابن عباس مع مشايخ الصحابة ويقول:

نِعْمَ تُرجمان القرآن عبد الله بن عباس.

وكان إذا أقبـل يقـول عمر عنه: جاء فتى الكهول، وذو اللسـان السـئول، والقلب العقول.

وقـال الأوزاعي: قال عمـرُ لابن عباس ﷺ: إنَّك لأصبح فتياننا وجهًا، وأحسـنهم عقلًا، وأفقهم في كتاب الله عز وجل.

وعن عطاء بن يسـار أنَّ عمر وعثمان ﷺ كانا يدعوان ابن عباس فيسـير مع أهل بدر، وكان يُفتي في عهد عمر وعثمان ﷺ إلى يوم مات.

وقد كان ابن عباس من الصحابة المكثرين في رواية الحديث عن رسـول الله، فقد روى ﷺ ١٦٩٦ حديثًا.

تربية النبي لابن عباس

وقد كان ابن عباس من الغلمان المحببين والمقربين للرسول، وقد حظي باهتمام كبير في صغره، وقد أثَّر ذلك بالطبع على بناء شخصيته وتكوين فكره وعلمه، فعن ابن عباسٍ ﷺ قال: إنه ركب خلف النبي يومًا فقال له النبي: "يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَّ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهَّ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُّ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ اللهُّ عَلَيْكَ. رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ".

حرص ابن عباس على اتِّباع سُنة رسول الله، والحرص يكون أزيد كلما كان المرء أكثر فقهًا ودرايةً بالدين وبسنة رسول العالمين. فعنه ﷺ أنَّه طاف مع معاوية بالبيت، فجعل معاوية ﷺ يستلم الأركان كلَّها، فقال له ابن عباسٍ: "لمَ تستلم هذين الركنين ولم يكن رسول الله يستلمهما؟"، فقال معاوية: ليس شيءٌ من البيت مهجورًا، فقال ابن عباسٍ ﷺ: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهَّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: ٢١]، فقال معاوية ﷺ: صدقت.

وله أقوالٌ كثيرةٌ في الحكمة والنصيحة منها: "خذ الحكمة ممَّن سمعتَ؛ فإنَّ الرجل يتكلم بالحكمة وليس بحكيم فتكون كالرَّمِيَّة خرجت من غير رامٍ".

وفاة عبد الله بن عباس

تُوفي ﷺ بالطائف سنة ثمانٍ وستِّين هجريًّا، وكان عمره عند وفاته إحدى وسبعين سنة، وصلى عليه محمد ابن الحنفية وكبَّر عليه أربعًا، وقال: اليوم مات ربَّانِيُّ هذه الأمَّة. وضرب على قبره فسطاطًا. فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

أبو عبيدة بن الجراح

رُويَ أن شابًا نشأ في بيت النبوة فكان أمين الأمة.

قتل والده المشرك في غزوة بدر، ونزل فيه قرآن يتلى إلى يوم الدين.

إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ"، هذه شهادة رسول الله ﷺ لأبي عبيدة بن الجراح.. فأنعم بها من شهادة.

نسبه وكنيته:

هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي ﷺ، ولد سنة ٤٠ قبل الهجرة ٥٨٤م. وبالرغم من أن المصادر التاريخية لم تذكر شيئًا كثيرًا عن حياة أبي عبيدة قبل الإسلام أو عن أسرته برغم كونه قرشيًّا، إلا أنَّ ذلك ربما يشير إلى أنَّ حياة ذلك الصحابي الحقيقية ربما بدأت مع إسلامه؛ فقد سارع أبو عبيدة ﷺ للإسلام في أيامه الأولى ليكون من السابقين الأوَّلين

قصة إسلام أبي عبيدة بن الجراح:

كان أبو عبيدة ﷺ من السابقين الأوَّلين إلى الإسلام، فقد أسلم في اليوم التالي لإسلام أبي بكر ﷺ، وكان إسلامه على يدي الصديق نفسه، فمضى به وبعبد الرحمن بن عوف وبعثمان بن مظعون وبالأرقم بن أبي الأرقم إلى النبي، ﷺ، فأعلنوا بين يديه كلمة الحق، فكانوا القواعد الأولى التي أُقيم عليها صرح الإسلام العظيم.

من مناقب أبي عبيدة بن الجراح:

هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد هاجر الهجرتين وشهد بدرًا وما بعدها، وهو الذي انتزع حلقتي المغفر من وجه رسول الله فسقطت ثنيتاه بسبب ذلك، وثبت يوم أُحد مع رسول الله حين انهزم الناس.

النبي يُثني عليه

روى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "نِعمَ الرَّجلُ أبو بَكْرٍ، نِعمَ الرَّجلُ عمرُ، نِعمَ الرَّجلُ أبو عُبَيْدةَ بنُ الجرَّاحِ، نِعمَ الرَّجلُ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، نِعمَ الرَّجلُ ثابتُ بنُ قَيسِ بنِ شمَّاسٍ، نِعمَ الرَّجلُ معاذُ بنُ جبلٍ، نِعمَ الرَّجلُ معاذُ بنُ عمرِو بنِ الجموحِ".

كيف قتل والده في غزوة بدر؟

عن عبد الله بن شوذب قال: جعل أبو أبي عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة ﷺ يحيد عنه، فلما أكثر الجرَّاح قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله فيه هذه الآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وما كان لأبي عبيدة ﷺ أن يعزم هذه العزمة إلا بروح من الله، تنفض عن قلبه الطاهر السليم كل عَرَضٍ من أعراض الدنيا الفانية، وتجرِّده من كل رابطة وآصرة إلا رابطة العقيدة.

أبو عبيدة بن الجراح وأبو بكر الصديق

بعث أبو بكر ﷺ إلى أبي عبيدة ﷺ هلُمَّ حتى أستخلفك؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن لكل أمة أمينًا، وأنت أمين هذه الأمة". فقال أبو عبيدة ﷺ: ما كنت لأتقدم رَجُلًا أمره رسول الله ﷺ أن يؤُمَّنا.

وقال أبو بكر الصديق ﷺ يوم السقيفة: "قد رضيت لكم أحد هذيْن الرجلين"، يعني عُمر وأبا عبيدة.

أبو عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب:

كان عمر ﷺ يقول: "لم أكن مغيِّرًا أمرًا قضاه أبو عبيدة".

أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد:

لَمَّا عزل عمر خالدًا ﷺ وولّى أبا عبيدة ﷺ، قام خالد ﷺ وقال للناس: "بُعِثَ عَلَيْكُمْ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةَ". وقال أبو عبيدة ﷺ للناس عن خالد ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "خَالِدٌ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنِعْمَ فَتَى الْعَشِيرَةِ".

وفاة أبي عبيدة بن الجراح:

كانت وفاته ﷺ شهادة في سبيل الله، فقد اتفق العلماء على أن أبا عبيدة مات في طاعون عمواس بالشام سنة ثماني عشرة. فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

سعد بن معاذ

رُويَ أن شـابًا نشـأ في بيت النبوة، شـهد بدرًا وأحدًا والخندق، وقال النبي عند موته "اهْتَزَّ العَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ"

أسلم قبل الهجرة بعام على يد مصعب بن عمير، فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام.

نسبه وكنيته:

هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأنصاري الأشهلي، يكنى أبا عمرو، وأمه هي كبشـة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة، لها صحبة، فقد أسـلمت وبايعت رسـول الله، وماتت بعد ابنها سعد بن معاذ. أمَّا زوجته، فهي هند بنت سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصارية.

حال سعد في الجاهلية

كان سيد قومه، ورئيس الأوس، وزعيم قبيلة بني عبد الأشهل.

قصة إسلام سعد بن معاذ

أسلم سعد بن معاذ قبل الهجرة بعام، وكان عمره عند الإسلام واحدًا وثلاثين عامًا، أسلم في المدينة على يد سفير الإسلام مصعب بن عمير، إذ قال أسعد بن زرارة ﷺ لمصعب بن عمير: "أي مصعب، جاءك والله سيد مَن وراءَه مِن قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان."

وقبلها كان قد قال أسيد بن حضير -وهو سيد في قومه- لمصعب بن عمير وأسعد بن زرارة حـين أعلـن إسـلامه:"إن ورائي رجلًا، إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحـد من قومه". يقصد بذلك سعد بن معاذ.

قـال ابـن إسـحاق: "لَمَّا أسـلم، وقف على قومه فقـال: "يا بني عبد الأَشْـهَل، كيف تعلمون أمـري فيكـم؟"، قالـوا: "سـيدنا وأفضلنـا نَقِيبَةً"، قـال: "فإنَّ كلامكـم عليَّ حـرامٌ، رجالكم ونسـاؤكم، حتى تؤمنوا بالله ورسـوله"، قال: "فوالله ما بقيَ في دار بني عبد الأَشْـهَل رجلٌ ولا امرأةٌ إلا أسلموا".

وقد شهد سعد بن معاذ ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق.

سعد بن معاذ يبرأ من المنافقين:

قال ابن زيد: إن هذه الآية حين أُنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء: ٨٨] فقرأ حتى بلغ: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٨٩]، فقال سعد بن معاذ:"فإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من فئته" يريد عبد الله بن أُبيّ بن سلول.

غيرة سعد بن معاذ:

قيل: لما نزلت آية التلاعن، قال سعد بن معاذ: يا رسول الله، إن وجدت مع امرأتي رجلًا أمهله حتى آتي بأربعة؟! والله لأضربنه بالسيف غير مُصْفِحٍ عنه. فقال رسول الله: "أتعجبون من غيرة سعد؟! لأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ مني".

سعد بن معاذ ينصر اللّه ورسوله:

عن محمد بن عمرو الليثي عن جده قال: خرج رسول الله إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال: "كيف ترون؟" قال أبو بكر: يا رسول الله، بلغنا أنهم بكذا وكذا. قال: ثم خطب الناس فقال: "كيف ترون؟" فقال عمر مثل قول أبي بكر، ثم خطب فقال: "ما ترون؟".

فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، إيانا تريد؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرَنَّ معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى من بني إسرائيل: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]،

ولكن: اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما متّبعون، ولعلك أن تكون خرجت لأمرٍ وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامضِ له، فصِلْ حبال من شئت، واقطع حبال من شئت،

وسالم من شئت، وعادِ من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت.

سعد بن معاذ يحكم بما حكم اللّه به

عن أبي سعيد الخدري: أن أناسًا هم أهل قريظة نزلوا على حُكم سعد بن معاذ، فأرسل إليه،

فجاء على حمار، فلما بلغ قريبًا من المسجد، قال النبي: "قوموا إلى خيركم أو سيدكم". فقال:"يا سعد، إن هؤلاء نزلوا على حُكمك". قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتُسبى ذراريهم. قال: "حكمت بحكم الله أو بحكم الملك."

حب سعد بن معاذ لرسول الله وخوفه الشديد عليه:

عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم، أن سعد بن معاذ قال لرسول الله يوم بدر: يا رسول الله، ألا نبني لك عريشًا فتكون فيه، وننيخ إليك ركائبك ونلقى عدونا، فإن أظفرنا الله وأعزنا فذاك أحب إلينا، وإن تكن الأخرى تجلس على ركائبك فتلحق بمن وراءنا. فأثنى عليه رسول الله خيرًا، ودعا له.

من مناقب سعد بن معاذ:

- اهتز لموت سعد بن معاذ عرش الرحمن: عن جابر، سمعت النبي يقول: "اهتز العرش لموت سعد بن معاذ".

- فتحت لوفاته أبواب السماء: عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله لسعد: "هذا الرجل الصالح الذي فُتحت له أبواب السماء شدد عليه ثم فرج عنه".

- شيّعه سبعون ألف ملك لم يطئوا الأرض من قبل: حينما سمع النبي أحد المنافقين يقول: ما رأينا كاليوم، ما حملنا نعشًا أخف منه قط. فقال رسول الله: "لقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا سعد بن معاذ، ما وطئوا الأرض قبل ذلك اليوم".

- صاحب ضغطة القبر التي كشفها الله عنه: عن عائشة ﵂ عن النبي قال: "للقبر ضغطة، لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ."

مناديل سعد بن معاذ في الجنة

عن أنس قال: أهدي للنبي جبَّة سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها فقال: "والذي نفس محمد بيده، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا".

بعض مواقف سعد بن معاذ مع الرسول:

عن عائشة ﵂، أن رسول الله ضرب على سعد بن معاذ خيمة في المسجد ليعوده من قريب. وعن عبد الله بن الزبير قال: أفطر رسول الله عند سعد بن معاذ، فقال: "أفطر عندكم الصائمون،

وأكل طعامكم الأبرار، وصلَّت عليكم الملائكة".

وفاة سعد بن معاذ:

تُـوُفِّي يـوم الخندق سـنة خمس من الهجـرة، وهو يومئذٍ ابن سـبع وثلاثين سـنة، فصلَّى عليه رسول الله، ودُفن بالبقيع.

أبو هريرة

رُويَ أنَّ شـابًا نشـأ في بيـت النبـوة، فـكان إمامًـا وصار سـيد الحفَّـاظ، لازم النبـي وروى الأحاديث.

سيد الحفاظ الأثبات

هو أبو هريرة الدوسي الأزدي، اختلف المؤرِّخون في اسـمه، وأشـهر ما قيل في اسمه واسم أبيـه "عبـد الرحمن بن صخر الـدوسيِّ". ويُروى عنه ﷺ أنَّه قال: كان اسـمي في الجاهلية: عبد شمس، فسمَّاني رسول الله ﷺ "عبد الرحمن".

وكنيته "أبو هريرة" وهو مشـهورٌ بها، هِرَّة كان يحملها ويعتني بها، وكان رسـول الله يدعوه "أبا هِر". ففي الحديث عن أبي هريرة: دخلت مع رسول الله ﷺ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ: "أَبَا هِرٍّ الْحَقْ أَهْلَ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ إِلَيَّ"، وأمه ميمونة بنت صبيح.

إسلام أبي هريرة

أسلم ﷺ بين الحديبية وخيبر، وقدِم المدينة مهاجرًا، وكان إسلامه على يد الصحابي الجليل الطفيل بن عمرو الدوسي، الذي دعا قومه فأسـلموا، وقَدِمَ معه منهم المدينة سـبعون أو ثمانون أهل بيت، وفيهم أبو هريرة.

أثر الرسول في تربية أبي هريرة

كان للنبيِّ الأثر الأكبر في تنشـئة وتربية أبي هريرة؛ فمنذ أن قَدِم إلى النبيِّ لم يُفارقه قط، فقد كان من أحفظ أصحابه ﷺ وألزمه له على شبع بطنه، وكانت يده مع يده يدور معه حيث ما دار.

وفي سنواتٍ قليلةٍ حصَّل من العلم عن الرسول ما لم يُحصِّله أحدٌ من الصحابة، وكان النبيُّ يُوجِّهـه كثـيرًا، فعنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال له: "يَـا أَبَا هُرَيْرَةَ، كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَـدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ".

أهم ملامح شخصية أبي هريرة

استيعاب أبي هريرة للحديث

كان ﷺ من أكثر الصحابة حفظًا للحديث، حيث قال ﷺ: "مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْفَظَ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنِّي كُنْتُ أَعِي بِقَلْبِي وَكَانَ يَعِي بِقَلْبِهِ، وَيَكْتُبُ بِيَدِهِ، اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ فِي ذَلِكَ "فَأَذِنَ لَهُ".

وقد ذكر الشافعي ﷺ أنَّ أبا هريرة أحفظ من روى عن النبيِّ ﷺ؛ حيث روى عنه نحو ثمانمائة رجلٍ أو أكثر من أصحاب النبيِّ ﷺ، وهو من أكثر الصحابة روايةً للحديث؛ فقد روى خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثًا، وقيل: في الأصل، خمسة آلاف حديثٍ وثلاثمائة وأربعة وستُّون.

عبادة أبي هريرة

كان أبو هريرة -ﷺ من عبَّاد الصحابة- حيث كان يُكثر من الصلاة والصيام والذِّكر وقيام الليل، فقد قال عن نفسه: "إِنِّي لَأُجَزِّئُ اللَّيْلَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: فَثُلُثٌ أَنَامُ، وَثُلُثٌ أَقُومُ، وَثُلُثٌ أَتَذَكَّرُ أَحَادِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وكان أبو هريرة يُصلِّي ثلث الليل وامرأته ثلثًا وابنته ثلثًا.

فعن أبي عثمان قال تضيَّفْتُ أبا هريرة سبعًا فكان هو وامرأته وخادمه يَعْتَقِبُون الليل أثلاثًا؛ يُصلِّي هذا ثم يُوقِظ هذا.

ورَع أبي هريرة وخوفه

كان ﷺ من أشدِّ الناس ورعًا، فعن أبي المتوكل أنَّ أبا هريرة كانت له زنجيَّةٌ فرفع عليها السوط يومًا، فقال: "لولا القصاص لأغشيتك به، ولكنِّي سأبيعك ممَّن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنتِ لله".

بعض مواقف أبي هريرة مع التابعين

عن سعيد بن مرجانة أنَّه قال: سمعتُ أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ إِرْبٍ مِنْهَا إِرْبًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَعْتِقُ بِالْيَدِ الْيَدَ، وَبِالرِّجْلِ الرِّجْلَ، وَبِالْفَرْجِ الْفَرْجَ".

وفاة أبي هريرة

قال أبو سَلَمَة: عُدْتُ أبا هريرة فسندته إلى صدري، ثم قلت: اللهمَّ اشفِ أبا هريرة، فقال: "اللَّهُـمَّ لَا تُرْجِعْهَـا"، ثُمَّ قال: "إِنِ اسْـتَطَعْتَ يَا أَبَا سَـلَمَةَ أَنْ تَمُوتَ فَمُـتْ"، فقلت: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنَّـا لَنُحِـبُّ الْحَيَـاةَ، فَقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَـلَى الْعُلَمَاءِ زَمَانٌ الْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَى أَحَدِهِمْ مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ، لَيَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ قَبرَ أَخِيهِ فَيَقُولُ: لَيْتَنِي مَكَانَهُ"

وعَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ، قَالَ: حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: "لَا تَضْرِبُوا عَلَيَّ فُسْـطَاطًا، وَلَا تَتْبَعُونِي بِمِجْمَرٍ، وَأَسْرِعُوا بِي". وقد تُوفِّي أبو هريرة سنة سبع وخمسين من الهجرة وهو الأرجح، وقيل: سنة ثمانٍ وخمسـين، وقيل: سـنة تسـع وخمسـين، وقيل غير ذلك. وقد تُوفِّي وله من العمر ثمانٍ وسبعون. فرضي الله عن شاب نشأ في طاعة الله فحسُنت سيرته.

أُبيٌّ بن كعب

رُويَ أن شـابًا نشـأ في بيت النبوة، لازم النبي فصار كاتب الوحي وأقرأ الأمة، عميد قرّاء الصحابة، هو أُبيٌّ بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي، له كنيتان؛ أبو المنذر، وكنَّاه بها النبي، وأبـو الطفيـل، كنَّاه بها عمر بن الخطاب بابنه الطفيل. وأمـه صهيلة بنت النجار، وهي عمة أبي طلحة الأنصاري، شهد بيعة العقبة الثانية، وشهد له الرسول بالعلم، وله مناقب كثيرة.

إسلام أُبيّ بن كعب

كان ممن أسـلم مبكرًا، وقد شـهد بيعة العقبـة الثانية، وبعد الهجرة آخى الرسـول بينه وبين سعيد بن زيد.

أثر الرسول في تربية أُبيّ بن كعب

روى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة، عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله: "ألا أعلمك سـورة مـا أنزل في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيـل ولا في القرآن مثلها؟" قلت: بلى. قال: "فـإني أرجـو أن لا أخرج من ذلك الباب حتى تعلمها"، ثم قام رسـول الله فقمت معه، فأخذ بيـدي فجعل يحدثني حتـى بلغ قرب الباب. قال: فذكّرته فقلت: يا رسـول الله، السـورة التي قلت لي. قال: "فكيف تقرأ إذا قمت تصلي؟" فقرأ بفاتحة الكتاب، قال: "هي هي، وهي السـبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتُه".

ملامح من شخصية أُبيّ بن كعب "عميد قرّاء الصحابة"

روى البخـاري بسـنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِـكٍ: قَالَ النَّبِيُّ لأُبَيٍّ: "إِنَّ اللهَ أَمَـرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ "لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ". قَالَ: وَسَمَّانِي؟! قَالَ: "نَعَمْ"، فَبَكَى.

جمع القرآن في عهد النبي:

في البخاري بسنده عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي؟ قال: أربعـة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعـاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد ﷺ جميعًا.

وقد شهد له الرسول بأنه أقرأ الأمة. فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أُبيّ بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينًا، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح".

شهد له رسول الله بسعة علمه

في صحيح مسلم بسنده عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله:"يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟" قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟" قال: قلت: "اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ". قال: فضرب في صدري وقال: "وَاللهَّ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ".

وقد أخذ عن أُبيّ قراءة القرآن: ابنُ عباس، وأبو هريرة، وعبدُ الله بن السائب، وعبدُ الله بن عياش بن أبي ربيعة، وأبو عبد الرحمن السلمي ﷺم جميعًا، وحدَّث عنه سُوَيْد بن غفَلَة، وعبد الرحمن بن أَبْزَى، وأبو المهلب رحمهم الله، وآخرون.

يكتب الوحي لرسول الله

أول من كتب لرسول الله عند مقدمه المدينة أُبيّ بن كعب، وهو أول من كتب في آخر الكتاب: وكتب فلان. قال: وكان أُبيّ إذا لم يحضر دعا رسول الله زيد بن ثابت فكتب.

في بيته يُؤتى الحَكَم

عن ابن سيرين قال: اختصم عمر بن الخطاب ومعاذ بن عفراء ﷺما، فحكَّما أُبيّ بن كعب فأتياه، فقال عمر بن الخطاب: في بيته يُؤتَى الحَكَمُ. فقضى على عمر باليمين فحلف، ثم وهبها له معاذ.

بعض المواقف من حياته مع الصحابة

مع عمر بن الخطاب

عن ابن عباس ﷺ قال: قال عمر بن الخطاب: اخرجوا بنا إلى أرض قومنا. قال: فخرجنا، فكنت أنا وأُبيّ بن كعب في مؤخرة الناس، فهاجت سحابة، فقال أُبيّ: اللهم اصرف عنا أذاها.

فلحقناهم وقد ابتلت رحالهم، فقال عمر: ما أصابكم الذي أصابنا؟ قلت: إن أبا المنذر دعا الله أن يصرف عنا أذاها. فقال عمر: ألا دعوتم لنا معكم؟

بعض ما رواه عن الرسول

في سنن أبي داود، عن أُبيّ بن كعب قال: صلَّى بنا رسول الله يومًا الصبح فقال: "أشاهدٌ فلانٌ؟" قالوا: لا. قال: "أشاهد فلان؟" قالوا: لا. قال: "إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبْوًا على الرُّكَبِ، وإن الصف الأول على مثل صف الملائكة، ولو علمتم ما فضيلته لابتدرتموه، وإن صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كثر فهو أحب إلى الله تعالى".

وعن أُبيّ بن كعب قال: كان رسول الله إذا سلَّم في الوتر قال: "سبحان الملك القدوس."

بعض كلماته

من أقواله: "تعلَّموا العربية كما تعلّمون حفظ القرآن. وقوله: الصلاة الوسطى صلاة العصر". وقوله أيضًا: "ما ترك عبدٌ شيئًا لا يتركه إلا لله إلا آتاه الله ما هو خير منه من حيث لا يحتسب، ولا تهاون به فأخذه من حيث لا ينبغي له إلا أتاه الله بما هو أشد عليه".

وفاته

وقد اختُلف في سنة وفاته، فقيل: تُوُفِّي في خلافة عمر سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين، وقيل: سنة اثنتين وعشرين، وقيل: إنه مات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين. قيل في المستدرك: وهذا أثبت الأقاويل؛ لأن عثمان أمره بأن يجمع القرآن.

المصادر

تراجم أعلام النساء – مؤسسة الرسالة.
أنساب الأشراف للبلاذري.
رحمة للعالمين.
البداية والنهاية – ط. إحياء التراث.
موسوعة الدكتور راغب السرجاني.

المراجع:

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني.
صفة الصفوة لابن الجوزي.
المستدرك للحاكم النيسابوري.
الاستيعاب لابن عبد البر.

الفهرس

إهداء ٥
مقدِّمة ٧
الطاهرة ٩
سودة ١٣
حبيبة رسول الله ١٦
الصوّامةُ القوّامة ٢١
أم المساكين ٢٤
الرشيدة الفقيهة الحكيمة ٢٦
الأوَّاهة ٣٠
جويرية ٣٤
حفيدة الأنبياء ٣٦
أم حبيبة ٣٩
التقيَّة النقيَّة ٤٢
أم ولده إبراهيم ٤٤
السيدة زينب ٤٧
السيدة رقية ٥١
السيدة أم كلثوم ٥٣
السيدة فاطمة الزهراء ٥٥
ذات النطاقين ٦١
حِجْرَ النبوة والإمامة ٦٤
أم هانئ ٦٦
شاعرة الهاشميات ٦٨
الرميصاء ٧٠
حاضنة النبي ٧٥
مُرضعة الرسول ٧٨
سمية ٨٠
عاتكة العدوية ٨٢
الشفاء العدوية ٨٤
المجادِلة ٨٧
أم حرام ٨٩
أم السجَّاد ٩٢
بريرة ٩٤
أم عمارة ٩٦
أم المحمدين ٩٨
فاطمة ابنة قيس ١٠١
الخنساء ١٠٣
الممتحنة ١٠٦
أم الدرداء الصغرى ١٠٨
خطيبة النساء ١١١
ليلى العدوية ١١٤
صاحبة الشورى ١١٦
الفدائية صاحبة الخيمة ١١٩
هند بنت عُتبة ١٢١
أم حارس رسول الله ١٢٣

المرأة التي سقتها السماء ١٢٦
المجاهدة ١٢٨
أُمّ عَطِيَّةَ الأنصارية ١٣٠
أم البنين ١٣٢
أم محجن ١٣٤
أُمُّ كلثوم ١٣٦
أروى بنت كريز ١٣٨
دُرَّة بنت أبي لهب ١٤٠
أم سليط النجارية ١٤٣
أم سيد الحفاظ ١٤٥
أم زيد بن ثابت ١٤٧
أميمة بنت رُقيْقة ١٤٩
أم الدحداح ١٥١
الصابرة المحتسبة ١٥٣
أم ورقة الأنصارية ١٥٥
أم الشهداء ١٥٦
سلمى بنت عميس ١٥٨
أم سفيان الثوري ١٥٩
جميلة ١٦٢
علي بن أبي طالب ١٦٤
أنس بن مالك ١٦٩
خبَّاب بن الأرت ١٧٢
خالد بن الوليد ١٧٥
زيد بن حارثة ١٧٩
حمزة بن عبد المطلب ١٨١
الحسين بن علي ١٨٤
أسامة بن زيد ١٨٧
الحسن بن علي ١٩٠
معاذ بن جبل ١٩٣
عبد الرحمن بن عوف ١٩٦
عبد الله بن عمر ١٩٨
الأرقم بن أبي الأرقم ٢٠١
النعمان بن بشير ٢٠٣
عبد الله بن أبي بكر الصديق ٢٠٥
معاوية بن أبي سفيان ٢٠٧
عبد الله بن روَّاحة ٢١٠
عبد الله بن مسعود ٢١٢
أبو موسى الأشعري ٢١٥
عبد الله بن الزبير ٢١٨
صهيب الرومي ٢٢٢
بلال بن رباح ٢٢٥
عمرو بن العاص ٢٢٨
عبد الله بن عباس ٢٣٠
أبو عبيدة بن الجراح ٢٣٢
سعد بن معاذ ٢٣٥
أبو هريرة ٢٣٩
أُبيُّ بن كعب ٢٤٢
المصادر ٢٤٥